الخطب المنبرية من المسجد النبوي

تأليف
د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الثالث

الخُطَبُ المِنْبَرِيَّةُ
مِنَ
المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

ⓒ عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

الخطب المنبرية من المسجد النبوي (الجزء الثَّالث)./ عبد المحسن بن محمد القاسم

- ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ٥٠٤، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٩-٩٧٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ـ خطبة الجمعة أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/٤٥٨٨

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٤٥٨٨

ردمك: ٩-٩٧٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م

الخُطَبُ المِنْبَرِيَّةُ

مِنَ

المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الثالث

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:
a-alqasim.com/khotab/

الباب التَّاسِع

الحـــجُّ

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوَّل : عشر ذي الحجَّة.

الفصل الثَّاني : الاستعداد للحجِّ.

الفصل الثَّالث : أعمال الحجِّ.

الفصل الأوَّل

عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ

فَضْلُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

يَصطفي اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ ما يشاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، فاصطفى مِنَ الملائكةِ رُسلاً ومن النَّاس، واختارَ من الكلام ذِكْرَهُ، ومِن الأرضِ بيوتَه، واجتبَى مِن الشُّهُور رمضانَ والأشهرَ الحرم، وقد كانتِ الجاهليَّةُ تَزيدُ في الأيام وتؤخِّرُ اتِّباعاً لهواها، فكان صيامُهم في غير ميعاده، وحَجُّهم في غير زمانِه، وتَفضَّلَ اللَّهُ على هذه الأمَّة بِبِعْثة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، وقد اسْتَدَارَ الزَّمَانُ كما كان، ووقعت حَجَّتُه في ذي الحجَّة، وقال في خطبته: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ**

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» (متفق عليه)، فاستُوفي العدد، وصحَّ الحساب، وعاد الأمرُ على ما سبقَ من كتاب اللَّه الأول.

والتَّفاضلُ بين اللَّيالي والأيَّام داعٍ لاغتنام الخيرِ فيها، ونبيُّنا ﷺ حثَّ على اغتنام نِعمٍ هي زائلةٌ لا محالة؛ فقال: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (رواه النسائي).

وقد أظلَّتْنا عشرُ ذي الحِجَّةِ، أقسمَ اللَّهُ بلياليها فقال: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وهي من أيَّام اللَّه الحُرُم، وخاتمةُ الأشهرِ المعلوماتِ التي قال اللَّه فيها: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾، نهارُها أفضلُ من نهار العشر الأواخر من رمضان؛ قال ﷺ: «أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا: أَيَّامُ العَشْرِ» (رواه ابن حبَّان)، وفضيلةُ عشر ذي الحِجَّة؛ لمكان اجتماع أُمَّهات العبادة فيها - من الصَّلاة، والصِّيام، والصَّدقة، والحجِّ -، ولا يتأتَّى ذلك في غيرِها.

وكلُّ عملٍ صالحٍ فيها أحبُّ إلى اللَّه من نفس العملِ إذا وقع في غيرها؛ قَالَ ﷺ: «مَا العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي هَذِهِ، قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الجِهَادُ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» (رواه البخاري)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ دَلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى أَنَّ العَمَلَ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ العَمَلِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءِ شَيْءٍ مِنْهَا»، وقد كان السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ يجتهدون في الأعمال الصَّالحة فيها، «كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا دَخَلَتْ عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ اجْتَهَدَ اجْتِهَاداً حَتَّى مَا يَكَادُ يُقْدَرُ عَلَيْهِ».

ومن فضلِ اللَّه وكرمِه: أنْ تنوَّعت فيها الطَّاعات، فممَّا يُشرعُ فيها: الإكثارُ من ذكر اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «هِيَ أَيَّامُ العَشْرِ»، وذِكْرُه سبحانه فيها من أفضل القربات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ العَشْرِ؛ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ**» (رواه أحمد)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «يُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنَ الأَذْكَارِ فِي هَذِهِ العَشْرِ زِيَادَةً عَلَى غَيْرِهَا، وَيُسْتَحَبُّ مِنْ ذَلِكَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ أَكْثَرَ مِنْ بَاقِي العَشْرِ»، وأفضلُ الذِّكر: تلاوةُ كتاب اللَّه فهو الهُدى والنُّور المبين.

والتَّكبيرُ المطلقُ في كلِّ وقتٍ من الشَّعائر في عشر ذي الحِجَّة، و«كَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ العَشْرِ، يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا» (رواه البخاري)، ويُشرع التَّكبيرُ المقيَّد عقب الصَّلواتِ، من فجرِ عرفَةَ للحُجَّاج وغيرهم، قال شيخُ الإسلام رحمه الله: «أَصَحُّ الأَقْوَالِ فِي التَّكْبِيرِ - الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ السَّلَفِ وَالفُقَهَاءِ وَالصَّحَابَةِ وَالأَئِمَّةِ -: أَنْ يُكَبَّرَ مِنْ فَجْرِ عَرَفَةَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ».

وممَّا يُستحبُّ في العشر: صيامُ التِّسعةِ الأولى منها، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «إِنَّهُ مُسْتَحَبٌّ اسْتِحْبَاباً شَدِيداً»، والصَّدقةُ عملٌ صالحٌ، بها تُفرَّجُ كروبٌ وتزولُ أحزان، وخير ما تكون في وقت الحاجة وشريف الزَّمان.

والتَّوبةُ منزلتُها في الدِّين عاليةٌ؛ فهي سببُ الفلاحِ والسَّعادة، أوجبَها اللَّهُ على جميع الأُمَّة من جميع الذُّنوب، فقال لمن ادَّعى له صاحبةً وولداً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾، وقال للمؤمنين: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يسألُ اللَّه في اليوم مئة مرَّةٍ أَنْ يتوبَ عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ**» (متفق عليه)، ونحنُ إلى التَّوبةِ أحوجُ، وخيرُ الأيَّامِ على العبدِ يومُ توبتِهِ؛ قال النَّبيُّ ﷺ لكعب بن مالكٍ رضي الله عنه: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» (متفق عليه)، وما أجملَ التَّائبَ يتوبُ في أحبِّ الأيامِ إلى اللَّه! ومَنْ صَدَق في توبته؛ علا في الدَّرجات، وبدَّلَ اللَّه سيِّئاتِهِ حسنات.

وفي أيام عشر ذي الحِجَّة: حجُّ بيت اللَّه الحرام، أحدُ أركانِ الإسلام، ومبانيهِ العِظام، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ؛ فَحُجُّوا**» (رواه مسلم)، وهو من أفضل الأعمال عند اللَّه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (متفق عليه)، والحجُّ المبرورُ جزاؤُه الجنَّة، به تُحطُّ الذُّنُوبُ والخطايا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ** - مِنْ ذُنُوبِهِ - **كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه)، والعاجزُ عن الحجِّ لعُذرٍ شريكٌ للحُجَّاج في الأُجورِ إذا صدقت نيَّته، ورُبَّما سبق السَّائرُ بقلبه السَّائرينَ بأبدانهم.

وفي العَشْرِ يومُ عرفةَ، صيامُهُ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضية والباقية، و«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ» (رواه مسلم).

وفيها يومُ النَّحْرِ؛ أفضلُ أيَّامِ المَنَاسِك، وأظهرُها، وأكثرُها جمعاً، وهو يومُ الحجِّ الأكبر، قال سبحانه: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾، وهُو أعظمُ الأيَّام عندَ اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ: يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ» (رواه أبو داود)، وهو أحدُ عِيدَيِ المسلمين، يومُ فرحٍ وسرورٍ بأداء ركنٍ من أركان الإسلام، وقد يَغفُلُ الناسُ مع سرورهم عن ذكر اللَّه، فكان الذِّكرُ في أيَّامها فاضلاً، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهي: أيام التَّشريق، وقال النَّبيُّ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ» (رواه مسلم)، قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ ثَبَتَتِ الفَضِيلَةُ لِأَيَّامِ العَشْرِ، فَتَثْبُتُ بِذَلِكَ الفَضِيلَةُ لِأَيَّامِ التَّشْرِيقِ».

وفي أيَّام النَّحرِ والتَّشريقِ عِبادةٌ ماليَّةٌ بدنيَّةٌ هي من أحبِّ الأعمال إلى اللَّه، قَرَنَها اللَّهُ بالصَّلاة؛ فقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وقد حثَّ اللَّه على الإخلاص في النَّحر، وأن يكون القصدُ وجهَ اللَّه وحده، لا فخرَ ولا رياءَ ولا سُمعةَ ولا مجرَّدَ عادة، فقال سبحانه: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾، و«ضَحَّى النَّبيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ» (متفق عليه)، والأَمْلَحُ: الأَسْوَدُ الَّذي يَعْلُو شَعرَهُ بَياضٌ، والأَقْرَنُ: ذُو القُرُون.

ولا بأس أن يَقْتَرِضَ الرَّجُل ليُضحِّيَ، ويَحْتَسِبُ الخُلْفَ من اللَّه، ولا يَتذمَّرُ من غلاء ثمنها؛ فثوابُها عند اللَّه عظيم، ومَنْ أراد أن يُضَحِّيَ حَرُمَ عليهِ في العَشْرِ أن يأخذَ مِن شعرِه أو أظفارِه شيئاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّيَ» (رواه مسلم).

وللحجِّ حِكمٌ عظيمة، وغاياتٌ جميلة، ومقاصدُ نبيلةٌ في الدِّين والدُّنيا، والمعاش والمعاد، وأوَّل تلك الحِكَم: تحقيقُ التَّوحيد، فشعار الحجَّاج: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْك إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْك، لَا شَرِيكَ لَكَ» (متفق عليه)، ومِنْ تمامِه: تجريدُ الإخلاص للَّه، والمتابعةِ لرسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «لِتَأْخُذُوا - عَنِّي - مَنَاسِكَكُمْ» (رواه مسلم)، ومِنْ حِكَمِ الحجِّ: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ في الدُّنيا بما يصيبونه من خيرات، وفي الآخرة بدخول الجنَّات: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾.

والحجُّ تذكيرٌ بالرَّحيل عن هذه الدُّنيا؛ فزمنه آخرُ أيَّام العام، وأدَّاهُ النَّبيُّ ﷺ في آخر حياتِهِ وودَّع فيهِ صحابتَه، وأكملَ اللَّهُ له فيه الدِّين، وأنزل عليه يومَ عرفةَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالسَّعيدُ مَن اغتنم مواسمَ الشُّهورِ والأيَّامِ والسَّاعات، وتقرَّبَ إلى مولاهُ بما فيها من وظائف الطَّاعات، فعسى أن تُصيبَه نفحةٌ من تلك

النَّفحات، فيَسعدَ سعادةً يَأمنُ بعدها من النَّار وما فيها من اللَّفحات، ويفوزَ بجنةٍ عرضُها الأرضُ والسَّموات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

المعاصي سببُ البُعدِ عن اللَّه كما أنَّ الطَّاعاتِ سببُ القُرْبِ منه، فالذُّنوب شُؤْمٌ على الأفراد والمجتمعات؛ قال سبحانه: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾، ويَعْظُم خطرُ المعاصي بارتكابها في مواسم الرَّحمةِ والخيرات؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظُّلْمُ فِي الأَشْهُرِ الحُرُم أَعْظَمُ خَطِيئةً وَوِزْراً مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيماً، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ».

وكما أنَّ الذَّنبَ فيهنَّ جُرمٌ عظيم، فالعملُ الصَّالحُ والبِرُّ فيها أجرُه كبير، فاغتنموا مواسم النَّفحاتِ ورفع الدَّرجات، وابتعدوا عمَّا يَحجُبُ مغفرةَ اللَّه في مواسم الرَّحماتِ وغيرها.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الاستِعْدَادُ لِلْحَجِّ

عِبادَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِمَكَّةَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

يُوالي ربُّ العالمين آياته على عباده لِيُعَظِّموه في النُّفوس، ويُفردوا أعمالهم له بالعبادة؛ آياتٌ في الزَّمان: في شهر اللَّه الحرام، وعِبَرٌ في المكان: في بلد اللَّه الحرام، قال ﷻ: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

في بلد اللَّه الأمين: يُؤدِّي المسلمون ركناً من أركان الدِّين لا يُقامُ إلَّا في تلك البقاع، أكرم اللَّه من وفد إليها بالأمن والأمان، وامتدَّ أمنه إلى النَّبات في الأرض؛ فلا يُعضَد شجرُه ولا يُختلى خلاه، وإلى الطَّير

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العاشر من شهر ذي الحِجة، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

في السَّماء؛ فلا يُنفَّر، وإلى الصَّيد؛ فلا يُقتل، وإلى المال الضَّال؛ فلا تُلْتقطُ لُقَطتُه إلَّا لمُنشِد، وأكرمَهم سبحانه بطِيب المآكل والمشارب فيه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أمْنٌ ورخاء؛ لِتُؤَدَّى العباداتُ فيه بذُلٍّ للَّه وخضوعٍ وخشوعٍ، قال ابنُ كثيرٍ ﵀: «بَلَدٌ أَمِينٌ، وَحَرَمٌ مُعَظَّمٌ آمِنٌ مُنْذُ وُضِعَ».

دعا إبراهيم ﵇ ربَّه أن يَحُجَّ النَّاسُ إلى هذا الوادي الجدْبِ الذي لا زرعَ فيه؛ فاستجاب اللَّه دعاءه، ولبَّى الخلائقُ نداءه فوجاً بعد فوج، وقرناً بعد قرن: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، بيتٌ أُسِّسِ على التَّقوى والإيمان، مَنْ أراده بكيدٍ؛ أهلكه اللَّه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾، ومَنْ همَّ بتبديل ما بُني عليه من التَّوحيد إلى الشِّرك أو الظُّلم أو الأهواء؛ فهو مُتوعَّدٌ بالعقوبة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، قال ابنُ كثيرٍ ﵀: «مِنْ خُصُوصِيَّةِ الحَرَمِ: أَنَّهُ يُعَاقَبُ البَادِي فِيهِ الشَّرَّ إِذَا كَانَ عَازِماً عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يُوقِعْهُ».

والعملُ يُقْبَلُ ويَعْظُمُ بالإخلاص، أظهر اللَّه لعباده أعمال أبيهم إبراهيم ﵇ - من بناء البيت الحرام - إيماءً بأنه لا يبقى من الأعمال إلَّا ما أُريدَ بها وجه اللَّه، قال ابن القيِّم ﵀: «وَالأَعْمَالُ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُوَرِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي القُلُوبِ».

وليس الشَّأنُ في العمل فحسب، إنَّما الشَّأنُ في حفظ الأعمال بعد العمل ممَّا يُفسدها ويُحْبطُها - من الرِّياء، أو حبِّ الثَّناء، أو إرادة الدُّنيا بها، أو فعل سيِّئات بعدها -؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾.

في الحجِّ: تتلاشى فواصل الأجناس واللُّغات، والأقطار والألوان، ويظهرُ ميزان التَّقوى والإيمان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾.

يقفُ الحجيجُ بعرفات، يومٌ مشهودٌ من حجِّهم، يلبسون الإحرام فيه للَّه تذلُّلا، ويُلَبُّون فيه له توحيداً، ويضعون بين يدي الكريم حاجاتهم، ويَرجون تَفريجَ كُرُباتهم وتحقيق مُناهم، واللَّهُ سبحانه وهَّابٌ رزَّاقٌ قدير، لا يُخيِّبُ مَنْ رجاه، ولا يردُّ سؤال من دعاه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾، ثمَّ يُشرقُ عليهم وعلى المسلمين أعظمُ أيَّام العام؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ: يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ** - أَيِ: اليَوْمُ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ العِيدِ -» (رواه أبو داود)، قال ابنُ رجبٍ ؒ: «عِيدُ النَّحْرِ: هُوَ أَكْبَرُ العِيدَيْنِ وَأَفْضَلُهُمَا».

واللَّهُ أمر رسوله أن يَشكرَ ربَّه على إعطائه الكوثر بالصَّلاة والنَّحر، وشرع اللَّه للجميع في يوم عيد الأضحى وثلاثة أيام بعده - في اللَّيل أو النَّهار -: التَّقرُّبَ إليه بذبح الأضاحي، ولا بأس في الاقتراضِ لشراء الأضحية.

والمعصيةُ تُكَدِّر صَفْوَ اللحظات؛ فَلْيَحذرِ المسلمُ من فعل المحرَّم في أيَّام العيد وغيرها - من المعازف، أو التَّبرُّج، أو الاختلاط، أو الإسراف -، وكلُّ يومٍ لا يَعْصِي المسلمُ فيه ربَّه؛ فهو عيدٌ له.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ عفا عمَّن ظَلَمَه علا، ومَنْ حَلُم على مَنْ أَخْطَأ عليه عظُم، والعَفْوُ والتَّسامحُ مِنْ مروءات النُّبلاء، وتمام فرحة العيد بتركِ الهُجران بين الإخوة، ونَبْذِ الخلاف بين الأصحاب، ونسيانِ الزَّلَّات بين الأرحام، وتصافي النُّفوسِ على المحبَّة والرِّضا؛ ليكونَ العيدُ على الجميع عيداً ظاهراً وباطناً، يلتقون فيه على البِشْر والابتسامة والصَّفاء، والتَّهنئة والوِئام والدُّعاء؛ قال جُبَير بن نُفَير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا الْتَقَوْا يَوْمَ العِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ».

فأظهِروا محاسنَ الأخلاقِ ومكارمَ الفضائل، وكُلُوا من هديِكُم وتصدَّقوا، وافرَحوا بفضلِ اللَّه عليكم بنعمة الإسلام ومواسم الخيرات، واحرِصُوا على اغتنامها بأنواع الطَّاعات والقربات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضْلُ الحَجِّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

مواسمُ الخيراتِ تتجدَّدُ على العباد فضلاً مِن اللَّه وكرماً؛ فمَا إنْ تنقَضِي شعيرةٌ إلَّا وتَلِيها عبادةٌ أُخرى، وها هي طلائعُ الحُجَّاج قد أمَّت بيتَ اللَّه العتيق، مُلبِّين دعوةَ إبراهيم الخليلِ عليه السلام بأمرِ اللَّه له: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

قصدُ البيتِ فرضٌ وقُربةٌ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ؛ فَحُجُّوْا**» (رواه مسلم).

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الحجُّ عبادةٌ في الإسلام عظيمةٌ؛ فهو أحدُ أركان الإسلام، ومِنْ أجَلِّ الطَّاعاتِ وأحبِّها إلى اللَّه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (متفق عليه).

بِهِ محوُ أَدْرَانِ الذُّنوبِ والخطايا؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**الحَجُّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**» (رواه مسلم)، وهو طُهرةٌ لأهلِه ونقاء، قال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه).

بالحُجَّاج يُباهِي اللَّهُ ملائكتَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**» (رواه مسلم)، وليس للمُخلِصِ في حجِّه جزاءٌ إلا الجنَّة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**» (متفق عليه).

الحجُّ مَجمَعُ الإسلام الأعظم، يربِطُ حاضِرَ المسلمين بماضِيهم ليعيشَ العِبادُ أمَّةً واحدةً مُستمسِكين بدينِهم، ولا طريقَ لذلك إلا بالاعتِصامِ بالكتابِ والسُّنَّةِ والسَّيرِ على منهَجِ سلَفِ الأُمَّة.

في الحجِّ: تتلاشَى فواصِلُ الأجناسِ واللُّغات والألوان، ويبقَى ميزانُ التَّفاضُل هو التَّقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وخَيرُ زادٍ يصحَبُه الحُجَّاجُ في نُسُكِهم هو التَّقوَى؛ قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

ومَنْ أَمَّ البيتَ فحرِيٌّ به أن يَلزَمَ ورَعاً يحجِزُه عن المعاصِي، وحِلْماً يكُفُّه عن الغضبِ، وحُسنَ عِشرةٍ لمَن يصحَب.

وأعظمُ ما يَتقرَّبُ به العبادُ في حجِّهم: إظهارُ التَّوحيد في مناسِكِهم، وإخلاصُ الأعمال للَّه في قُرُباتهم؛ قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾، وإعلانُ وحدانيَّة اللَّه في الحجِّ شِعارُ أهلِه، وبه شَرَفُهم؛ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ» (متفق عليه)، ومَنْ حجَّ مُوقِناً بلِقاءِ ربِّه فلْيتمسَّكْ بتوحيدِ اللَّه وإفرادِه بالعبادةِ حتى الممات؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

وتكبيرُ اللَّه وتعظيمُه أنيسُ الحُجَّاج في طوافِهم وسعيِهم ورميِهم ونحرِهم وفي ليلِهم ونهارِهم؛ لتبقَى القلوبُ مُتعلِّقةً باللَّهِ، نقيَّةً عن كلِّ ما سِواه.

الحجُّ درسٌ في تحقيقِ الاتِّباعِ والتَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ؛ فلا نُسُكَ ولا عبادةَ إلا بما وافقَ هَديَه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (رواه مسلم)، والاتِّباعُ دليلُ الصِّدقِ والإيمانِ والمحبَّة؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وكلُّ عبادةٍ على خلافِ هَديه عليه الصلاة والسلام فإنَّ اللَّهَ لا يَقبلُها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم).

ومِن مقاصِدِ الحجِّ العُظمى: إقامةُ ذِكرِ اللَّه والإكثارُ مِنه؛ قال ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ؛ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ» (رواه أبو داود)؛ فذِكرُ اللَّه تعالى يُصاحِبُ الحُجَّاجَ كلَّما أقامُوا أو ارتَحلُوا وإذا هَبَطُوا أو صعِدُوا، ولا يزالُ مُرافِقاً لهم حتى انقِضاء نُسُكِهم؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وأفضلُ الحُجَّاج أكثرُهم للَّه ذِكراً.

الحجُّ طاعةٌ يصحَبُها طاعات، مليءٌ بالمنافِعِ والعِبَر والآيات، ففيه إخلاصُ القلبِ للَّه تعالى، وتسليمُ النفسِ له عبوديَّةً ورِقّاً، قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَجُّ مَبْنَاهُ عَلَى الذُّلِّ وَالخُضُوعِ لِلَّهِ، وَلِهَذَا اخْتَصَّ بِاسْمِ النُّسُكِ».

وفي الحجِّ يَأْتلِفُ المسلمون وتَقوَى أواصِرُ المحبَّة بينَهم، فيَظهرُ للخلق عظمةُ الإسلام وفضلُه، قال سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾، وفي اجتِماع الحُجَّاج في موقِفٍ واحدٍ إعلامٌ وتذكيرٌ بفضلِ هذه الأمة وعلوِّ شأنِها.

وزِينةُ الحُجَّاج: إظهارُ جمالِ أخلاقِهم، وبِهِ ينالُون أعاليَ الدَّرجات؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾.

وفيه توطِينُ النَّفسِ على الصَّبر؛ قالت عائشةُ ﵂: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ» (رواه البخاري).

والمُسلمُ يَعتزُّ بدينِه وينأى بنفسِه عن أفعالِ الجاهليَّة وسُلُوكِهم، وفي الحجِّ تأكيدٌ على ذلك تِلْوَ تأكيد، قال ابن القيِّم ﵀: «اسْتَقَرَّتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى قَصْدِ مُخَالَفَةِ المُشْرِكِينَ لَا سِيَّمَا فِي المَنَاسِكِ».

وكلُّ ساعةٍ من العُمر إن لم تُقرِّب المرءَ مِن ربِّه أبعَدَتْه، والعبادُ في سعيٍ حثيثٍ إلى اللَّه، ويتجلَّى للمرءِ ذلك في شعائِرِ الحجِّ ومناسِكه، إن فرَغَ مِن عبادةٍ نَصَبَ إلى أُخرى؛ قال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾، وهذا نهجُ المسلم إلى الممات؛ قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾.

والطَّاعةُ تَزيدُ صاحِبَها افتِقاراً لربِّه وإخباتاً، فيشهَدُ فضلَ اللَّه عليه بها، ويَستغفِرُه على التقصيرِ فيها، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومَنْ كفَّ نفسَه عن المحظُورات في حَجِّه حرِيٌّ به أن يَكُفَّها عن المعاصِي في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

وبعدُ: أيُّها المسلمون:

فثمرةُ الحجِّ: إصلاحُ النفس وتزكيتُها، والظَّفرُ برِضا اللَّه تعالى، والفوزُ بجنَّات النَّعيم، ويتحقَّقُ ذلك للحَاجِّ إن أدَّى حجَّه بنيَّةٍ صالِحةٍ

خالِصةٍ، وعلى علمٍ وبصيرةٍ، ومِن نفقةٍ طيبةٍ، وملأَ قلبَه ولِسانَه بذِكرِ اللَّه، ولازَمَ في حجِّه الإحسانَ إلى الخلقِ ونفعَهم مع حُسن الخُلق معهم.

ومَنْ أحسَنَ في حجِّه، وابتَعَد عن قوادِحِه؛ عادَ مِنه بأحسَن حالٍ وانقَلَبَ إلى أطيَبِ مآلٍ، وأَمَارةُ القَبول: فِعلُ الحسنة بعد الحسنة، وتركُ التَّفاخُر والعُجبِ بالطَّاعة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

بارِكَ اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظِيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّفاضلُ بين اللَّيالِي والأيَّام داعٍ لاغتِنامِ الخير مِنها، وعمَّا قريبٍ تحِلُّ بنا أفضلُ الأيَّام عند اللَّه؛ قال ﷺ: «**أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا: أَيَّامُ العَشْرِ**» (رواه ابن حبَّان)، أقسَمَ اللَّه بلياليها فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وكلُّ عملٍ صالحٍ فيها أحبُّ إلى اللَّه ما لو كان في غيرِها؛ قال ﷺ: «**مَا العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي هَذِهِ**، قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: **وَلَا الجِهَادُ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**» (رواه البخاري).

فأكثِرُوا فيها مِن العملِ الصَّالِح - مِن ذكرِ اللَّه وتلاوةِ كتابِه العظيم -، قال ﷻ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾، وممَّا يُستحبُّ في العشر: صِيامُ التِّسعةِ الأُولَى مِنها؛ وخُصَّ مِنها يومُ عرفة لغير الحَاجِّ بمزيدٍ من الفضل؛ فصِيامُه يُكفِّرُ السَّنةَ الماضِيةَ والباقِيةَ.

ومن العمل الصَّالح فيها: المزيدُ من البرِّ والإحسان إلى الوالدين والنَّاس، وصِلةِ الرَّحِم، والصَّدقةِ، والإكثارِ من نوافل العبادات؛

فالسَّعيدُ مَنِ اغتَنَمَ مواسِمَ الخيرات قبل فواتِها، وبادَرَ بالأعمال الصَّالِحة، ونافَسَ السَّابِقين فيها، والحياةُ مغنَمٌ للعباد، والموفَّقُ مَن عُدَّ في المحسِنين.

ومن الأعمال الصَّالِحة: ذَبْحُ الأُضحِية يوم العِيد وأيَّام التَّشريق، ومَنْ أراد أن يُضحِّيَ فلا يأخذ مِنْ شَعْرِه ولا مِنْ أظفارِه ولا مِنْ بَشَرَتِه شيئاً بعد دخول شهر ذِي الحِجَّة حتى يُضحِّي، أما الوكيلُ على الأضحية أو المضحَّى عنه فلا يَلزَمه شيءٌ من ذلك.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الرِّحْلَةُ إِلَى الحَجِّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

مواسمُ الخيرات على العباد تَتْرَى؛ فمَا إنْ تنقضي شعيرةٌ إلَّا وتتراءى لهم أخرى، ها هي أفواج الحجيج قد أمَّتْ بيتَ اللَّه العتيق، مُلَبِّيَة دعوة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

بيتٌ جعله اللَّه مثابةً للنَّاس وأمْناً، حولَه تُرتَجى من الكريم الرَّحمات والعطايا، حَرَمٌ مباركٌ فيه هدًى وخيراتٌ وآياتٌ ظاهرات: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَاتٌ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث من شهر ذي الحِجة، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾، حَجُّهُ من عِماد الإسلام؛ قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

جاء الشَّرعُ بالأمر ببلوغ رحابِه لأداء فريضة الدِّين؛ قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ؛ فَحُجُّوا**» (رواه مسلم).

حَجُّه من أجلِّ الأعمال عند اللَّه، فيه بذلٌ وعَطاءٌ وعَناءٌ وجزاء؛ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (متفق عليه).

في أداء ركن الإسلام الخامس: غفرانُ الذُّنوب، وغسلُ أدرانِ الخطايا والعصيان؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه)، ومَنْ لَازَمَ التَّقوى في حجِّه أعدَّ اللَّهُ له الجَنَّة نزلاً، قال عليه الصلاة والسلام: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «لَا يَقْتَصِرُ لِصَاحِبِهِ مِنَ الجَزَاءِ عَلَى تَكْفِيرِ بَعْضِ ذُنُوبِهِ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ».

والأعمال توزن بالإخلاص، وإذا شَابَها شركٌ أو رياءٌ أفسدها؛ قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ولا يَتِمُّ بِرُّ الحجِّ إلَّا بكسبٍ طيِّب تنزَّه عن شوائب المُحرَّمات ودَنَس الشُّبهات.

والصُّحبةُ الصَّالحة في الحجِّ عونٌ على الطَّاعة وحُسْن العبادة، والمُرُوءةُ في السَّفر بذل الزَّاد وقِلَّة الخلاف على الأصحاب، والإحسان إلى الرِّفقة عبادة متعديَّة النَّفع، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي السَّفَرِ لِأَخْدِمَهُ؛ فَكَانَ يَخْدِمُنِي»، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَشْتَرِطُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي السَّفَرِ أَنْ يَخْدِمَهُمُ اغْتِنَاماً لِأَجْرِ ذَلِكَ».

وخير زادٍ يَحملُه الحاجُّ: زادُ الخشية والتَّقوى؛ قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، ومن وصايا النَّبيِّ ﷺ لمعاذ بن جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» (رواه الترمذي).

ومِنَ البِرِّ في الحجِّ: إطعامُ الطَّعام فيه، وإفشاءُ السَّلام، وطِيبُ الكلام، ومعاملةُ الخلق بالإحسان إليهم، فلا تَحقِرنَّ في حجِّك من المعروف شيئاً، «**وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»، وأعزُّهم أصبرُهم على أذاهم، وخادم الحجيج المخلِصُ للَّه في رعايتهم شريكٌ لهم في الأجر والثَّواب؛ يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةً الجَنَّةَ: صَانِعَهُ - يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ -، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالمُمِدَّ بِهِ**» (رواه الترمذي).

ومَنْ أَمَّ البيتَ حقيقٌ بلزوم ثلاثِ خصال: ورعٍ يَحْجِزُه عن معاصي اللَّه، وحِلمٍ يكفُّ به غضبَه، وحُسنِ الصُّحبةِ لِمَنْ يصحَبُه.

أيُّها المسلمون:

خيرُ ما يتقرَّبُ به العباد إلى ربِّهم: إظهارُ التَّوحيد في نُسُكِهم، وإخلاص الأعمال للَّه في قرباتهم، وما كان منها لغير اللَّه يَضمحلُّ؛ قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

وإظهار النُّسك بالقول: فيه وحدانية للخالق؛ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»، وخيرُ ما نطق به النَّاطقون يومَ عرفةَ: كلمة التَّوحيد؛ قال ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (رواه الترمذي).

والتَّوكُّل على اللَّه من أجلِّ العبادات؛ قال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، واليأسُ ليس من دين اللَّه في شيء؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وما قدَّم أحدٌ حقَّ اللَّه على هوى نفسه وراحتها إلَّا ورأى سعادةَ الدُّنيا والآخرة؛ هَاجَر تَلْتَمِسُ الماء لها ولرضيعها في وادٍ غير ذي زرع بين جبلين، أَنْهَكَها العطش، وأَضْنَاها الإشفاق على صبيِّها، وبعد توكُّلٍ على اللَّه وبَذْلِ الأسباب؛ وجَدَت نَبْعاً مُتَدَفِّقاً لها وللأجيال بعدها، يقول النَّبيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ؛ لَكَانَتْ عَيْناً مَعِيناً» (رواه البخاري).

واللَّه جَلَّ وَعَلَا بيده النَّفع والضُّر، فَارِجُ الكروب وكاشفُ الخطوب، متعالي على عباده، بيده مقاليد السَّموات والأرض، متَّصفٌ بالكبرياء

والعظمة، يُعْلِنُ ذلك الحاجُّ بالتَّكبير في أنساكه - في الطَّواف والسَّعي، ورَمْي الجمار، وفي يوم النَّحر وأيَّام التَّشريق -؛ ليبقى القلب مُجرَّداً للَّه، متعلِّقاً به، منسلخاً عن التَّعلُّق بما في أيدي المخلوقين.

وفي رَمْيِ الجمار تذكيرٌ لبني آدم بعدوٍّ مُتربِّص بهم يدعوهم إلى النَّار، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ فكنْ على حذرٍ من تقصيرٍ في واجبٍ أو وقوعٍ في معصيةٍ تُورِدُكَ المَهالِك.

واعلم أنَّ لحظاتِ الحجِّ عزيزةٌ وساعاته ثمينة، قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾؛ فسابق فيه إلى كلِّ خيرٍ وقُربةٍ - من الذِّكر، والاستغفار، والتَّكبير، وتلاوة القرآن -؛ قال سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾.

وبعد انقضاء النُّسك: احْمَدِ اللَّهَ على الهداية، واشْكُرْه على العبادة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾.

وفي ثنايا النُّسك: استغفارٌ ورجوعٌ إلى اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الِاسْتِغْفَارُ مِنْ أَكْبَرِ الحَسَنَاتِ، وَبَابُهُ وَاسِعٌ، فَمَنْ أَحَسَّ بِتَقْصِيرٍ فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ حَالِهِ أَوْ رِزْقِهِ أَوْ تَقَلُّبِ قَلْبٍ؛ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ، فَفِيهِمَا الشِّفَاءُ إِذَا كَانَا بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ».

والعباد في الحجِّ على قَدْر هِمَمِهم؛ منهم من يطلبُ الدُّنيا العاجلة، ومنهم من يطلبُ مرضاةَ اللَّهِ والدارَ الآخرة؛ قال سبحانه: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

والموفَّق من أدَّى حجَّه بنيَّة صالحة خالصة، ونفقة طيِّبة، وعطَّر لسانه بذكر اللَّه، وصاحَبَ عبادتَه إحسانٌ ونفعٌ للمخلوقين؛ فكونوا في حجِّكم كذلك، وأخلِصوا دينكم للَّه، واجتهدوا في الأعمال الصَّالحة، وسارعوا إلى جنَّات ربِّكم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُ اللَّه ورسوله، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أظلَّتْكم أيَّامُ عشرٍ مباركة، الأعمالُ فيها فاضلة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ - يَعْنِي: أَيَّامَ العَشْرِ -، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» (رواه أبو داود)؛ فأكثِروا فيها من التَّكبير والتَّحميد، وقراءة القرآن، وصلة الأرحام، والصَّدقة، وبرِّ الوالدين، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، وسائر أنواع الطَّاعات، قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيَّامُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ العَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَاللَّيَالِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ لَيَالِي عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ».

ولقد كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم يُحيُون في العشر سُنَّة التَّكبير بين النَّاس؛ «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ العَشْرِ، يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا» (رواه البخاري).

والخيرُ يتتابع في العشر بذبح الأضاحي يوم العيد وأيَّام التشريق، وقد «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ» (متفق عليه)، وأفضل الأضاحي: أغلاها ثمناً وأنفسُها عند أهلها، وتُجزي شاة واحدة عن الرَّجُل وعن أهل بيته، ويَحْرُم على من يضحِّي أن يأخذ - في العَشْر - شيئاً مِنْ شَعرِه أو أَظْفَارِه أو بَشَرَتِه إلى أن يضحِّيَ؛ فِطيبوا بها نفساً، وكُلُوا، وأَطْعِموا، وتصدَّقوا، وتحرَّوْا بصدقاتكم فقراءكم، وبهداياكم منها أرحامكم وجيرانكم، وصُونُوا أعيادكم عمَّا يُغْضِب خالقكم، وشاركوا الحجيج في الدُّعاء والتَّهليل والتَّكبير.

ومَنْ أقام في بلده وسَبَقَهُ الحجَّاجُ إلى المشاعر؛ شُرِعَ له صيامُ يوم عَرفة؛ يقول ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**» (رواه مسلم).

فاغتنموا مواسم العبادة قبل فواتها؛ فالحياة مَغْنَم، والأيَّام معدودة، والأعمار قصيرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَقَاصِدُ الحَجِّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

يُوالِي اللَّهُ على خلقِه مواسِمَ الطاعات؛ لِيَغسلوا فيها درَنَهم، وتَعلُوَ بها درجاتُهم، ورُكنٌ من أركان الإسلام أقسمَ اللَّه بالزَّمان الذي هو فيه: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وأقسمَ بالمكان الذي يُؤدَّى فيه؛ فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ بِمَكَّةَ أُمِّ القُرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّاكِنِ فِيهَا حَلَالاً؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى عَظَمَةِ قَدْرِهَا فِي حَالِ إِحْرَامِ أَهْلِهَا»، وهو من أفضلِ الأعمالِ عند اللَّه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أيُّ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر ذي الحِجة، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (متفق عليه)، قال ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا ظَهَرَ الإِسْلَامُ وَفَشَا وَصَارَ الجِهَادُ مِنْ فُرُوضِ الكِفَايَةِ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ؛ فَالحَجُّ حِينَئِذٍ أَفْضَلُ».

وفي يومٍ من أيامِه يُباهِي اللَّه بحُجَّاج بيتِه أهلَ سمواته؛ قال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**» (رواه مسلم).

في أدائِه غسلُ الذُّنوبِ والخطايا، قال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَظَاهِرُهُ: غُفْرَانُ الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ وَالتَّبِعَاتِ»، وبالحجِّ تُهدَمُ الآثامُ والأوزارُ، قال ﷺ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟! وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟! وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟!**» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: يُسْقِطُهُ وَيَمْحُو أَثَرَهُ».

رُكنٌ مليءٌ بالدُّروس والعِبَر، أعظمُ مقصدٍ فيه: توحيدُ اللَّه وإفرادُه بالعبادة، فالدُّخولُ فيه بإعلانِ التَّوحيد والبراءةِ من الشِّرك: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»؛ ولإظهار التَّوحيد والتَّنزُّهِ من الشِّرك بُنِيَت الكعبة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وإذا ظَهرَ التَّوحيدُ في الأوطانِ؛ حلَّ الأمنُ والأمانُ فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً

لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾، في الحجِّ يتجلَّى الإيمانُ بالرُّسل وتتجدَّدُ محبَّتُهم، فالنَّحرُ والرَّميُ والطَّوافُ سُنَّةُ أبينا إبراهيم عليه السلام.

والدُّعاءُ هو العبادة، ودعواتُ الحاجِّ تُرْتَجى إجابتُها، ودعواتُ الخليلِ إبراهيمَ عليه السلام بقبول العمل والثَّباتِ على الإسلام ورُؤيةِ المناسِك، وأنْ يُبْعَث في مكَّة رسولٌ يتلو عليهم آياتِ اللَّه ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمة، وأنْ تكون مكَّةُ بلداً آمناً والرِّزقُ فيها دارّاً، والنَّاسُ تهوِي إليها، وأنْ يُجنَّبَ هو وأبناؤُه عبادةَ الأصنام، وأنْ يكون هو وذُريَّتُه من مُقيمِي الصَّلاة، ودعاؤُه لنفسِه وللمؤمنين بالمغفِرة، كلُّ ذلك كان عند بيت اللَّه الحرام.

ودعواتُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم تَنوَّعتْ في مواطنَ مِنْ حَجِّه - كيوم عَرَفَة -، وعلى الصَّفا والمروة، والحاجُّ يغتنِمُ في حجِّه الإكثارَ من الدُّعاء أُسوةً بالأنبياء.

والتَّوكُّل على اللَّه أحدُ رُكنَي العبادة، إبراهيمُ عليه السلام بنَى الكعبةَ مُتوكِّلاً على اللَّه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾؛ فرأى النَّاسُ ثمرةَ توكُّلِه: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، وفي اجتماعِ الخلقِ في موقفٍ واحدٍ تذكيرٌ بفضلِ هذه الأمَّة وعظَمَةِ دينِها.

في الحجِّ توثيقُ عقيدةِ الولاءِ والبراءِ؛ أمر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه أنْ يُناديَ في الموسم: «**أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ**

العَامِ مُشْرِكٌ» (رواه البخاري)، وفيه مُخالفةُ الكُفَّارِ في عباداتهم الجاهليَّة - من التَّلبِيَة، وزَمَن الدَّفْع من مُزدلِفَة، وكثرة ذِكر اللَّه وحدَه بعد انقِضاء النُّسُك -، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسْتَقَرَّتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى قَصْدِ مُخَالَفَةِ المُشْرِكِينَ لَا سِيَّمَا فِي المَنَاسِكِ».

الحجُّ أطولُ عبادةٍ بدنيَّة وأدقُّها في الإسلام، والعباداتُ فيه مُتنوِّعةٌ - من تلبيةٍ، وطوافٍ، وسعيٍ، ومَبيتٍ، ورميٍ، وحلقٍ، ونحرٍ -، وتعظيمُ الشَّعائِر فيها وتكميلُ العُبوديَّة فيها من تقوى القُلوب، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَرُوحُ العِبَادَةِ هُوَ: الإِجْلَالُ وَالمَحَبَّةُ، فَإِذَا تَخَلَّى أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ؛ فَسَدَتْ».

في النُّسُك حثٌّ على توطِين النَّفس على الصَّبرِ على الطَّاعات، قالت عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ» (رواه البخاري).

والاستِجابةُ للَّه - وإن لم تظهَر الحكمةُ للمأمور - من واجِبات الاستِسلام للَّه، قال اللَّه لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وهو في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ -: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، فاستجابَ لأمرِ اللَّه وأذَّن بالحجِّ، وقَدِمَ النَّاسُ إلى بيتِ اللَّه الحرامِ، مُتشوِّقةً إليه نفوسُهم، باذِلةً في سفَرها الأموالَ وهي فرِحةٌ مُستبشِرة، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ إِلَّا وَهُوَ يَحِنُّ إِلَى رُؤْيَةِ الكَعْبَةِ وَالطَّوَافِ، فَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهَا مِنْ سَائِرِ الجِهَاتِ وَالأَقْطَارِ».

رُكنٌ يُحقّقُ الامتِثالَ لأوامرِ النَّبيِّ ﷺ، قال عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه - عن الحجَر الأسود -: «وَاللَّهِ، إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

والعباداتُ مبناها على الاتِّباع ولا محلَّ فيها للابتِداع؛ فالطَّوافُ والسَّعيُ سبعةُ أشواطٍ، وتخفَى حكمةُ عددها على العقول، لذا قال النَّبيُّ ﷺ للحَجيج: «لِتَأْخُذُوا - عَنِّي - مَنَاسِكَكُمْ» (رواه مسلم)، والطَّوافُ لم يأذن اللَّهُ به إلَّا حولَ الكعبَة، وطوافٌ بغيرِها تبَاب.

والوقتُ عند المُسلم ثمينٌ، ولكلِّ يومٍ في الحجِّ عبادةٌ مُغايرةٌ لأُختِها، ولكلٍّ منها زمنٌ بانقِضائِه تنقضِي؛ فالإفاضةُ من عرفة بعد الغروب، وزمنُ المَبيتِ بطُلُوع الشَّمسِ ينقضِي، والتَّجرُّدُ عن المَخيطِ مُذكِّرٌ بدنُوِّ ساعةِ لُبس أكفَان الموت، وساقَ اللَّه في آخرِ آياتِ الحجِّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تذكيراً بذلك.

وتفاضُل منازِل النَّاس بالتَّقوى، وتحصيلُها في الحجِّ خيرُ مغنَم: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾، والقلوبُ تحيَا بذِكر اللَّه، واللَّهُ أمرَ بالإكثارِ من ذِكره تعالى في جميعِ أيَّام الحجِّ، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾، وخصَّ تعالى مواطِنَ يُكثَرُ فيها من ذِكرِه؛ فقال: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾، وقـال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾.

وإذا فَرَغ الحاجُّ من المناسِك أمرَه اللَّه بالإكثارِ من ذِكرِه، فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وقال ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالكَعْبَةِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ؛ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ» (رواه أحمد).

في الحجِّ غَرْسُ الصِّفاتِ والأخلاقِ الحَميدة، والحثُّ على كلِّ خيرٍ، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، وفيه ترسيخُ مبدأ الأُخوَّةِ وتبادُل المنافِع الدِّينيَّة والدُّنيويَّة؛ قال سبحانه: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «مَنَافِعُ لَهُمْ مِنْ نُسُكٍ وَتِجَارَةٍ وَمَغْفِرَةٍ، وَمَنْفَعَةِ دُنْيا وَأُخْرَى»، وفي شعائِره أُلفةُ المُجتمع ولُحمَتُه؛ قال سبحانه: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فثمرةُ الحجِّ الفوزُ بجنَّات النَّعيم، قال ﷺ: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» (متفق عليه)، فطُوبَى لمن حجَّ بيتَ اللَّهِ الحرام مُخلِصاً نيَّتَه للَّه تعالى، مُقتدِياً في نُسُكِه بالنَّبيِّ ﷺ، راجِياً ثوابَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ ﷻ لطيفٌ بعباده، فمَنْ لم يستطِع حجَّ بيت اللَّه العتيق شُرِع له مُشاركةُ الحَجيج بالذِّكر والتَّكْبِير في هذه العَشرِ المُبارَكة، وصومُ يوم عرفةَ لغير الحاجِّ فيه تكفيرُ الخطايا، قال ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**» (رواه مسلم).

وأيَّامُ المُسلمين أيامُ فرَحٍ وسُرورٍ، واللَّهُ شرعَ لهذه الأُمَّة إظهارَ فرحِها بالعبادة بعد أداء رُكنَين من أركان الإسلام؛ فعِيدٌ بعد صيام رمضان، وعِيدٌ ثانٍ بعد يوم عرفة، وشرعَ اللَّهُ فيها الأكلَ والشُّربَ وذِكرَه سبحانه، قال ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ**» (رواه مسلم)، وذِكرُ اللَّه تعلُو منزلتُه حين غفلَةِ النَّاسِ بأفراحِها، أو الانشغالِ عنه في أتراحِها، وخيرُ أيَّامِ العيدِ ما كان ذِكرُ اللَّه فيها ظاهراً.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عِبَرٌ مِنَ الحَجِّ[(١)]

الحمد للَّه العزيزِ الجبَّار، المُتَعالِي عن إدراكِ الخواطرِ والأَبْصَار، أَحْمَدُه تعالى حمداً يليقُ بِمِنَنِه العُظمى، وأَشْكُرُه شكراً يزيدُ مِنْ كُلِّ نَعْمَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، الواحدُ القهَّارُ.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه المُفضَّلُ بأشرفِ الرِّسالةِ وأوضحِ الدِّلالة، جاء بالأمر صادعاً، وللَّهِ خاشعاً، ولأُمَّتِه شافعاً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه أُولِي الجِدِّ في الطَّاعة والتَّشمير، ومَنْ سار على نهجهم إلى يوم المآب والمصير.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ صَدَقَه لم يَنَلْهُ أذى، ومَنْ رجاه كان حيث رَجا.

أيُّها المسلمون:

في البلد الأمين تَعلو نفوسُ الصَّالحين بتحقيق الأماني، ويتنعَّمون بصفوِ الأيام والليالي، وحَوْلَ بيت اللَّه يأمن الخائفون: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع من شهر ذي الحِجة، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ءَامِنًا﴾، لقد امتدَّت قداسةُ البيتِ المُعظَّمِ إلى النَّباتِ في الأرضِ والطَّيرِ في الفَضَاء.

البيتُ المُشرَّفُ هو الرَّمزُ الخالدُ للحَنِيفِيَّة السَّمْحَة، رُفِعَتْ قواعدُه على الإخلاص ونَهَض على الخشية؛ فأصبح شامخَ البنيان، ثابتَ الأركان، يُطاولُ الزَّمان في مَنَعَة من اللَّه وأمان، تتعاقب الأجيال على حَجِّه، ويَتنافسُ المسلمون في بلوغ رِحابه، في وَاحَته الأمنُ والاطمئنان، وفي جواره الخيراتُ والثَّمرات: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، عند البيت تَصفُو الأرواح، ويَرِقُّ القلبُ والطبع، وحولَه يَستظلُّ المسلمون براية الهدى والإيمان.

أيُّها المسلمون:

الحجُّ مَجْمَعُ الإسلام الأعظم، ومَحفَلُ المسلمين الأكرم، تلتقي فيه الجموع على دعوة أبيهم إبراهيمَ عليه السلام لِيُهَذِّبوا النُّفوس ويُصحِّحُوا كَدَر المعتقَد، فيه تَخَلُّصٌ من النَّار وفوز بالجنان؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (متفق عليه)، ولمَّا سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ» (متفق عليه)، «وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» (متفق عليه).

تتلاشى في الحجِّ فواصلُ الأجناس واللُّغات، والأقطارِ والألوان، ويظهرُ فيه ميزان التَّقوى والإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾، فيه براءةٌ من الذُّنوب، وفَكَاكٌ من أَسْرِ العذاب، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ**» (رواه مسلم).

الحجُّ عبادةٌ ونسك، طاعةٌ وانقياد، مجاهَدةٌ وصبر، تلبيةٌ وشكر، سكينةٌ ووقار، ذلٌّ وانكسار، تنوُّعٌ في العبادة واختلافٌ في القرب، تُسكَبُ فيه العبرات وتُقالُ فيه العثرات، فحبذا العملُ المبرور، ونِعْم السَّعيُ المشكور، فلِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُون، وفي بذل الثَّمين لطاعة اللَّه فليتنافس المتنافسون، فطوبى لمن لبَّى نداء ربِّه، وطاف بالكعبة المشرَّفة البهيَّة، ويا فوزَ من وقفَ بعرفات، ولبَّى وكبَّر فحُطَّتْ عنه السَّيِّئات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

أيُّها المسلمون:

ليس الحجُّ عبادةً مجرَّدةً مُمَثّلةً في نزع المَخِيط؛ بل أُسُسٌ وقواعدُ وضوابطُ في مِنْهَاج الدنيا والدين، فمِنْ لحظةِ الدُّخولِ في النُّسكِ أَمْرٌ بإخلاص الأعمال للَّه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾، فحقِّقِ المتابعةَ والإخلاصَ في حجِّك، واجعلْ مُبْتَغَاكَ حَطَّ السَّيِّئاتِ والأوزار، والانتقالَ من الرَّدى إلى الهُدى.

وفي التَّلبية صدْعٌ بإعلان التَّوحيد وإيماءٌ لعزَّة المسلم بإظهار أعلام دينه في جميع أحواله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ويَقْبُحُ بالحاجِّ بعد رفع كَفَّيْه إلى العليِّ الأعلى بالضَّراعة في عرفات أن يُطَأْطِئ رأسه للغابرين في لُحودهم، وللموتى في قبورهم

ويدعوَهم من دون اللَّه، وقد عَاهَدَ نفسَه في حجِّه: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

أيُّها المسلمون:

لقد وجَدَتْ هَاجَرُ عَلَيْهَا السَّلَامُ نفسَها في وادٍ ومعها ابنُها الرَّضيعُ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي ضَنْك حالِ هَاجَر وعَنَتِ العيش مع ابنها وتَجَرُّعِ مُصابِها وغيابِ زوجِها في وادٍ جَرْدٍ وأرضٍ بَوْرٍ لا مُزْنَ فيها ولا زرع، اتَّجهَتْ إلى من يُجيبُ المضطَّر ويكشفُ السُّوء، لم تجثُ عند صَنَمٍ لزوال مُصابها، ولم تركعْ لوَثَنٍ لكشف ضُرِّها، ولم تخنعْ لِنِدٍّ لِعَوْدِ زوجها، ففي طلب الغوثِ منهم فواتُ المطلَب وحسرة المأثم، ولو عَكَفْتِ الدَّهرَ كلَّه في دعائهم لم يَتحققْ مَرامُها: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾، وما رجا أحد مخلوقاً إلَّا خاب ظَنُّه فيه، ففوَّضَت أمرها إلى الواحد الأحد، وقالت لزوجها: «آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا».

ولمَّا توكَّلَتْ على اللَّه حقَّ التَّوكُّلِ جاءها الغوث من السَّماء؛ فعند موضِع زمزم بحث الملَك بجناحه حتى ظهر الماء في صحراء اللَّأْوَاء والجدب، فجعلت تُحوِّضه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ؛ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً» (رواه البخاري).

فإن لَاحَ لك عُسرٌ فارْجُ يُسْراً بالتَّوكُّل على اللَّه؛ فقد قضى ربُّك أنَّ العسرَ يَتْبعُه اليسرُ، وبالصَّبر والتَّقوى تُنال الجنَّة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

أيُّها المسلمون:

في تقبيل الحجر الأسود تعَبُّدٌ محض، فيه معنى الاستسلام للَّه والانقيادِ لأوامره، ولو مع خفاء الحكمة، يقول الفاروق رضي الله عنه: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَولَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

إنَّ الكبرياءَ والعظمةَ من خصائصِ صفات الرَّحْمَن؛ يقول النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ» (رواه أحمد)، والحجُّ دعوة لِنَبْذ الفخر والخُيَلاء، والعُتُوِّ والاستعلاء، وإعلانٌ بأنَّ الكِبْرَ له وحده سبحانه، إعلان ذلك بالتَّكبير عند الرَّمي والطَّواف وفي يوم النَّحر وأيَّام التَّشريق.

إنَّ الحياة السَّعيدة ما كان مبناها على الإكثار من ذكر اللَّه، والحجُّ منطلَق للذِّكر، تلبيةٌ وتكبير، استغفارٌ عند المشعر، وتعظيمٌ للَّهِ أيَّام التَّشريق، يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ» (رواه مسلم).

إنَّ إتقانَ العملِ وإدراكَ أهمِّيَّةِ الوقت سِيَّمَا المسلمين في حياتهم وعباداتهم، بغروب الشَّمس تحوُّلٌ من بُقعة إلى بقعة، وانتقالٌ من مَنْسَكٍ إلى منسك، لا يَسْبِق فِعلٌ فعلاً، نظامٌ عامر في الحياة والشَّعائر، منه المنطلق في الجديَّة والاتِّباع.

وفي رمي الجمار تذكيرٌ بعُمْقِ عداوة الشَّيطان لعباد اللَّه، فاحذر أن تقعَ في شِرَاكه! لقد عرض لخليل الرَّحمن، يُوَسْوِس له بعصيان المَلِك الديَّان؛ فرماه بقلبه وجوارحه وأراد إتمامَ أمرِ ربه بذبح ولده، لكنَّ رَحْمَةَ أَرْحمِ الرَّاحِمِين أَدْرَكَتْهُ بعد ما امتثل الأمرَ وأعلن الاستسلام.

إنَّ بشائرَ الإيمانِ إلى المدينة النَّبويَّة انطلقت من مؤتمرِ الحجيج بعد بيعةِ العقبة، فكن بعد حجِّك داعياً إلى اللَّه في بلادك، وادْعُ الخلقَ إلى الحقِّ بحكمةٍ وموعظةٍ حسنة على وَفْق الشَّرع المطهَّر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فمِنْ مقاصدِ الإسلامِ في تشريع الحجِّ: تقريرُ مبدأ الأخوَّة الإسلاميَّة تحتَ كلمةِ التَّقوى وشهادةِ الحقِّ، وفي الحجِّ يأْتلفُ عِقْدُ المسلمين، وتتَّضحُ معاني المساواة الإسلاميَّة الظاهرة في أجلِّ صُورِها وأبهى معانيها؛ تَتَجلَّى الوحدةُ والأُلْفةُ حين يقفُ المسلمون جميعاً على صعيد واحد، في زمن واحد، لدعاء ربٍّ واحد، في ضراعة وخشوع للَّه، لا فرق بين جنس وجنس، ولا امتياز لفرد على فرد، ولا تفضيل لِلَون على لون، ولا عجبَ أن أنزل اللَّه في هذا اليوم في حجَّة الوداع آيةَ الكمالِ للدِّين الإسلاميِّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾.

أيُّها المسلمون:

القاعدُ لعُذْرٍ عن العمل الصَّالح شريكٌ للعامل، ورُبَّما سَبَقَ السَّائرين بأبدانهم، فكم من نيَّةٍ صالحةٍ سبقت العمل؟! ومَنْ فاته الوقوفُ بعرفة فقد شُرع له صيامه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ

أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» (رواه مسلم).

فشارِكوا الحجيجَ في هذه الأيَّام الفاضلة بالدُّعاء والتَّهليل والتَّكبير، وأكثِرُوا منها كلَّ حين في هذه الأيَّام العشر، فـ«مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ» (رواه الترمذي)، واغتنموا مواسمَ العبادة قبل فواتِها؛ فالحياةُ مغنَم، والأنفاسُ قصيرة، والأيَّامُ معدودة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّالث

أَعْمَالُ الحَجِّ

أَطْوَلُ عِبادَةٍ بَدَنِيَّةٍ: الحَجُّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ سبحانه هو الغَنيُّ القويُّ، وما سواه مُفتقِرٌ إليه مُحتاجٌ له؛ فلم يَخلُقِ الخلقَ تكثُّراً بهم ولا تقويةً لجلاله، بل خَلقَهم لحكمةٍ عظيمةٍ هي: عبادتُهم له، وبعبادتهم له يَسعَدون.

ولِفَضلِه ورحمتِه بِخلقِه شرعَ لهم أعمالاً وأقوالاً يتقرَّبون بها إليه، ولِتتضاعَفَ أجورُهم ولتُقضى عنده حاجاتُهم، وفاضَلَ سبحانه بين عباداته فجَعَلَ تَحقيقَ التَّوحيد والعملَ به واجتنابَ نواقِضِه أجلَّ عملٍ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الأول من شهر ذي الحِجة، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يُحبُّه اللَّه، وجعل إظهارَ هذه العبادةِ بالقول أزكى الأقوالِ إليه؛ قال ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (رواه مسلم)؛ بل جعل سبحانه توحيدَه شرطاً لِقَبولِ أيِّ عملٍ صالحٍ، وإن انتقضَ هذا الشَّرطُ لم ينتفعِ العبدُ بعمله ورُدَّ عليه؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

ولتحقيقِ أساسِ الدِّين وإظهارِه في أقوال العباد وأعمالهم؛ نوَّع سبحانه الطَّاعاتِ والأعمالَ الصَّالحةَ ليُعظِّمَ الرَّبُّ في كلِّ حين، فما إنْ ينتهي موسمٌ إلَّا ويَعْقُبُه موسمٌ آخر يُظهِرون فيه توحيدَه سبحانه والتُّذلُّلَ إليه؛ فشرعَ سبحانه أطولَ عبادةٍ بدنيَّةٍ مُتَّصلةٍ يتلبَّسونَ بها أيَّاماً لإظهارِ إفرادِ اللَّهِ بالعبادةِ وحدَه وأنَّ عبادةَ ما سواه باطلة، ولِتَزْكُوَ بها أبدانُهم وأموالُهم، وتَطهُرَ بها قلوبُهم وأفواهُهم، فمَنْ أدَّاها كما أَمَرَهُ اللَّهُ عادَت صحائِفُ أعمالِه بلا أدرانٍ ولا خطايا، قال ﷺ: «مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (متفق عليه).

ويَتعرَّضُ الحُجَّاج في هذه العبادة لنفَحاتِ ربهم في مكانٍ عظيم، وفي يومٍ هو أكثرُ أيامٍ تُعتقُ فيه الرِّقابُ من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» (رواه مسلم)، ومَنْ كان حافظاً لحجِّه ممَّا حرَّم اللَّه وعدَه اللَّه بالجنَّة؛ قال ﷺ: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» (متفق عليه).

الحجُّ ركنٌ من أركان الدِّين، مليءٌ بالمنافع والعِبَر، أمرَ سبحانه بفِعلِه في أطهر بُقعةٍ وأشرفِها؛ لِيجتمِعَ شرفُ العمل والمكان، بنى الخليلُ فيها بيتَ اللَّه وأسَّسه على التَّقوى والإخلاص، وأبقَى اللَّه ما بناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيرَى العبادُ أنه لا يبقى من العمل إلَّا ما كان خالصاً لوجه اللَّه، ويَستفتِحُ الحُجَّاجُ عبادتَهم بإظْهار الوَحدانيَّةِ للَّه وحده، والبراءةِ من عبادة ما سواه: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**».

وشهادةُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ اللَّه لا تَتِمُّ إلَّا بطاعة النَّبيِّ ﷺ واقتفاءِ أثَره، وتقبيلُ الحجرِ الأسودِ منهجٌ في الطَّاعة والاتِّباع، فتقبيلُه تعبُّداً لا تبرُّكاً بالحجر، فهو لا يَنفعُ ولا يضُرُّ؛ جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحجَر فقبَّله وقال: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

وفي التَّلبُّسِ بالإحرام دعوةٌ للنَّفس إلى عصيان الهوى - فلا لُبسَ مخيطٍ ولا مسَّ طِيبٍ ولا تقليمَ أظافر ولا خِطبةَ نكاح -.

وسوادُ الحجرِ الأسود تذكيرٌ للعباد بشُؤم المعصيةِ حتى على الجمادات، وعِظَمُ أثرها على القلب أشدُّ؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ؛ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ**» (رواه الترمذي).

ويرى الحاجُّ أثرَ المعصية على العاصي، فإبليسُ ظهر لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث مرَّاتٍ ليمنَعه عن امتثال أمر ربِّه بذبح ابنه إسماعيل؛ فرماهُ الخليلُ

بالحجَر مُهيناً ومُظهِراً له العداوة، وعودةُ خروجه على الخليل تذكيرٌ من اللَّه لنا بأنَّ إبليس يُعاوِدُ وسوستَه لبني آدم وفي عدة مواطن.

والحجُّ إعلامٌ بأنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الحقّ، فلا ترى خَلْقاً يجتمعون من بِقاع الأرض على تبايُنِ أجناسِهم ومواطِنهم وطبقاتهم إلَّا في الحجّ، وهذا من عظمة الإسلام.

وفي الحجِّ إظهارُ معنًى من معاني الرُّبوبيَّة، وأنَّ قلوبَ العباد يُصرِّفُها اللَّه كيف يشاء، فيرى الحاجُّ وغيرُه أن الهدايةَ بيد اللَّه وحده، وفضلُ اللَّه يُؤتيه من يشاء.

وفي أداءِ هذا الرُّكن انتظامُ عبادةٍ بعد أخرى، ودِقَّةٌ في العمل والزَّمن، فعبادةٌ باللَّيلِ - كالمبيت بمُزدلِفة -، وأخرى بالنَّهارِ - كالوقوف بعرفة -، وعبادةٌ باللِّسانِ بالتَّكبيرِ والتَّلبية، وأخرى بالجوارح - كالرَّمْيِ والطَّواف -، وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ حياةَ المسلم كلَّها للَّه.

والأعمالُ بالخواتيم، وقد يُرى أَثَرُ خِتامها في المحشَر؛ فالمُتصدِّقُ يُظَلُّ يوم القيامة بظلِّ صدقَته، والعادلُ في حُكمه على منابِرَ عن يمين الرَّحمن، ومَنْ مات مُحرِماً بُعِثَ مُلبِّياً.

وعلى العبدِ إذا انشقَّ فجرُ يومه أن يَعُدَّه خِتامَ عُمره؛ عملاً بقول النَّبيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (رواه البخاري)، ومَنْ علَّق قلبَه باللَّهِ والدَّارِ الآخرة، وقصَّرَ أمله في الدُّنيا وتزوَّد بزاد التَّقوى ظفَرَ بالنَّجاة والفلاح.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

خصَّ اللَّه أمكنةً بالشَّرفِ والفضلِ، واختارَ اللَّه من العام أزمِنةً يزكُو بها العملُ الصَّالحُ ويتضاعَف؛ فاختارَ من الشُّهور: أشهُرَ الحجِّ ورمضان، ومن اللَّيالي والأيام: العَشْرَ الأخيرَة من رمضانَ وعشرَ ذي الحِجَّة، وأيَّامُ ذي الحِجَّة تفضُلُ على أيَّام العَشْرِ الأواخِر من رمضان، قال ﷺ: «**مَا العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي هَذِهِ**، قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: **وَلَا الجِهَادُ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**» (رواه البخاري).

ومِنَ العَمَلِ الصَّالح فيها: المزيدُ من برِّ الوالدين وصِلَةِ الرَّحِم، والصَّدقَةِ والصَّوم، والذِّكرِ وتلاوةِ القرآن، وتفريجِ الكُرُوب والتَّكبير، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم يُكبِّرون حتى في الأسواق.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَيَّامُ الحَجِّ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واعتصموا به؛ فمَنِ اعتصمَ بحبلِ رجائِه وفَّقَهُ وهدَاه، ومَنْ لجأ إليه حفِظَه ووَقَاه.

أيُّها المسلمون:

في ربوعِ الأمنِ تَتَحقَّقُ الأماني، وفي البلدِ الأمينِ ترتفعُ نفوسُ الصالحين، ويتنعَّمُون بصفو الأيام والليالي، وحولَ بيتِ اللَّه يأمن الخائفون: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، وقداسةُ البيت الحرام امتدَّت إلى أعظمَ من ذلك؛ فهو حرَمٌ لا يُصادُ فيه الطَّير، ولا يُنفَّر فيه الحيوان، ولا يُقطَع فيه النَّبات، ولا تُلتَقطُ لُقطَتُه إلَّا لِمُنْشِد.

والبيتُ المشرَّف هو العلَمُ الخالدُ للحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَة، ومَقْصِدُ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر ذي الحِجة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

حُجَّاجِ بيت اللَّه، رُفِعتْ قواعدُه على الإخلاص، ونهض على الخشية والتَّقوى، رُفِع بأكفِّ نبيٍّ، وبمشاركة نبيٍّ، وهما يرفعان أشرفَ معمورٍ يخشيان أن لا يُتقبَّل منهما العمل، فلجآ إلى اللَّه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ فأصبح البيتُ المشرَّفُ شامخَ البنيان، ثابتَ الأركان، يُطاولُ الزَّمان في مَنَعَةٍ من اللَّه وأمان، يَتعاقبُ الأجيالُ على حجِّه، ويتنافسُ المسلمون في بلوغ رِحابِه.

في وَاحَتِه الأمنُ والاطمئنان، وفي جِوَارِه الخيرُ والثَّمرات: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

عند البيت تصفو الأرواح، ويرِقُّ القلب، إنَّه القِبلة التي يتوجَّهون إليها وتَستديرُ الصُّفوفُ حوله، يجدون عنده الرَّايةَ التي يَستظلُّون بها، ويسيرون في ركابها، إنَّها رايةُ الإيمان التي تتوارى في ظلِّها فوارقُ الأجناس والألوان، واللُّغاتِ والأقطار، يجدون قوةَ الاجتماع، وثمرةَ التَّضامن، داعي هذا الجمع العظيم دعوةُ خليلِ الرَّحْمَن: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾.

وغايةُ هذا اللِّقاء: تجريدُ القصدِ والعملِ للَّه.

أيُّها المسلمون:

الحجُّ مَجْمَعُ الإسلام الأعظم، تلتقي فيه الجموعُ على دعوة أبيهم إبراهيم، ولا تزال أفئدةُ المسلمين تهوي إلى البيت الحرام، وتتشوَّفُ إلى رؤيتِه والطَّوافِ به، والعكوفِ حوله.

وتَستَجْمِعُ الأحداثَ الماضية؛ فتتذكَّرُ إبراهيمَ وهو يودِّع إسماعيلَ وأمَّه قربَ البيت، ويفوِّضُ أمرَهم إلى الخالق، ويتوجَّه إلى اللَّه تعالى بالدُّعاء توكُّلاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.

ويتذكَّرُ هَاجَرَ وهي تَلْتَمِسُ الماءَ لها ولِرَضِيعِها في ذلك الوادي - وهي تُهَرْوِلُ بين الصَّفا والمَرْوَة - وقد أَنْهَكَهَا العطش، وأضعَفَها الجَهد، وأَرْهَقَها الإشفاق على طفلها، وفي تلك الحال العسيرة: لم تلجأ إلى صنمٍ أو وثنٍ أو حجرٍ لِتتوسَّلَ به؛ بل جَأَرَتْ إلى اللَّه الواحد الأحد، فإذا الماءُ يتدفَّقُ بين يدي الرَّضيع، وإذا هو زمزم - ثمرةُ التَّوكُّلِ على اللَّهِ - ينبوعُ الرَّحمةِ والخيرِ والبركةِ في صحراء اللَّأواء والجدب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾.

وفي سَعْيِ هَاجَرَ: إشعارٌ بأهمية الدُّعاءِ والتَّوكُّلِ على اللَّه، في ظلٍّ من رحمةِ اللَّه وتوفيقِه إلى الارتباط به في كلِّ مسعًى - سواءٌ أكان بين الصَّفا والمَرْوَة، أم كان بين دروب الحياة وصعابها -.

ثمَّ تتواكبُ المواقفُ والأحداثُ في خواطر الحاجِّ؛ فيتذكَّرُ رسولَ الهدى ونبيَّ الرَّحمةِ - مُحمَّداً ﷺ - وهو يعيشُ في طفولته وصباهُ في بَطْحاءِ مكَّة، يتيمَ الأبوين، يرعى الغنمَ حول هذا البيت، وإذا الرِّفعةُ بالرِّسالةِ الخالدةِ تُحِيطُ به، ويلاقي بسببها الكثيرَ من السُّخرية والإيذاء، ثمَّ يهاجرُ إلى المدينة، ويَلتمسُ القوَّةَ والمَنَعَة للإسلام، ثمَّ يعودُ إلى مكَّة وهو يقود النَّاس في حجَّة الوداع، وأصحابُه الكرامُ حولَه يُحيطون

به من كلِّ جانب، ويَتحقَّقُ وعدُ اللَّه لأنبيائه وأتباعهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾.

أيُّها المسلمون:

في الحجِّ إخلاصُ القلب من كلِّ حظٍّ وهوًى، وتسليمُ النَّفس عبوديةً للَّه ورِقّاً؛ فيه براءةٌ من الذُّنوب وخَلاصٌ من التَّبِعَات، وتخلُّصٌ من النَّار وفوزٌ بالجنَّة. ويتلاشى فيه فواصلُ الجنسِ واللُّغةِ واللَّون، ويثبتُ فيه ميزانُ التَّقوى الثَّابت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

في الحجِّ عبادةٌ ونُسُك، طاعةٌ وانقياد، مجاهدةٌ وصبر، شكرٌ وتلبية، سكينةٌ ووقار، ذلٌّ وانكسار، فيه تنوُّعٌ في العبادة واختلافٌ في القُرَب؛ فَذِكْرُ اللَّه مع الحاجّ: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾، وفيه الاستغفار: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾، ذِكْرُ اللَّه مصاحبٌ لهم كلَّما أقاموا أو ارتحلوا، أو هَبطوا ثَنِيَّة أو صَعِدوا، وشرفُ الحجيج: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

عبادَ اللَّه:

في يومِ عرفاتٍ الأغرِّ تشهدُ أرضُها أفواجاً من الحجيج، تُسْكَبُ فيه العبرات، وتُقَالُ فيه العثرات، وتُمْحَى السَّيِّئات؛ فما من يوم أكثر عتقاً من النَّار من يوم عرفة، مع غفران المولى للذُّنوب ومباهاةِ اللَّه ملائكتَه بأهل الموقف.

وقوفُهم وانصرافُهم؛ تذكيرٌ للمؤمن بموقف العباد في أرض المحشرِ لفصلِ القضاءِ في عرصاتِ القيامة، ولو رأيتَهم إذْ باتوا في مزدلفة، فبيَّتُوا الطَّاعة، وازدلفوا إلى اللَّه صباحاً بالذِّكر عند المشعر الحرام، ثمَّ بَلَغُوا مِنى - فيتمُّ لهم بذلك بلوغ المُنى - ورمَوُا الجَمَرَات، وحلقوا الرُّؤوس، ونحروا الهَدْيَ، والتَمَسُوا من اللَّه الرَّشادَ والهُدَى، وأمُّوا البيتَ الحرامَ لطواف الإفاضة والسَّعْي بين الصَّفا والمَرْوَة؛ فأتمُّوا بذلك الحجّ.

فحَبَّذا العملُ المبرور، ونِعْمَ السَّعيُ المشكور؛ فعلى مثل هذا النَّهج فليعملِ العاملون، وفي بذل الجهد لطاعة اللَّه فليتنافسِ المتنافسون؛ فطُوبى لِمَنْ لبَّى نداءَ ربِّه، وطافَ بالكعبة المُشرَّفة! ويا فوزَ من وقفَ بعرفاتٍ ولبَّى وكبَّر؛ فغُفِرَت ذنوبُه ونالَ الحظَّ الأوفر!

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه الَّذي وفَّقَ مَنْ شاء مِنْ عباده لزيارةِ بيتِه الحَرَام، وخصَّهُم بالشَّوْقِ إلى تلك المَشَاعِرِ العِظَام، أَحْمَدُه سبحانه على جزيلِ الفضلِ والإِنْعَام.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، المَلِكُ العلَّام.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبده ورسوله، خيرُ معلِّمٍ وإمام، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه البَرَرَةِ الكرام.

أيُّها المسلمون:

إنَّ من مقاصدِ الإسلام في تشريعِ الحجِّ: تقريرَ مبدأ الأخوَّةِ الإسلاميَّةِ تحتَ كلمةِ التَّقوى وشهادةِ الحقّ.

وفي الحجِّ يأْتَلِفُ عِقْدُ المسلمين، ويُشْعَرُ بعظمةِ الإسلام وعزَّةِ الإيمان، تَتَّضِحُ فيه معاني المساواةِ الإسلاميَّةِ الظاهرة في أظهرِ صوَرِها وأبهى معانيها، وتسود المحبَّة والوئام.

تتجلَّى الوِحْدةُ والأُلفة حين يقفُ المسلمون جميعاً على صعيدٍ واحد، في وقتٍ واحدٍ بلباسٍ واحد، بدعاءِ ربٍّ واحد، في ضراعةٍ وخشوعٍ للَّه، لا فرقَ بين جنسٍ وجنس، ولا امتيازَ لفردٍ على فرد، ولا تفضيلَ للونٍ على لون، ولا عجبَ أنْ أنزلَ اللَّه في هذا اليوم - في حجَّة الوداع - آيةَ الكمال للدِّينِ الإسلاميِّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، ومنطلَقُ الوحدةِ على هَدْي كتاب اللَّه وسنَّةِ رسوله ﷺ؛ يُثْمِرُ التَّعاونُ على البرِّ والتَّقوى الموصلةِ إلى جَمْعِ الكلمةِ وفهمِ الإسلام فهماً حقيقيّاً والعملِ به.

عبادَ اللَّه:

القاعدُ لعذرٍ عن العملِ الصَّالحِ شريكٌ للعامل، ورُبَّما سَبَقَ السَّائرُ بقلبه السَّائرين بأبدانهم، فكم من نيَّةٍ سبقت العمل؟! ومَنْ فاته الوقوفُ بعرفة؛ فليقم للَّه بحقِّه الذي عرَّفه، ومَنْ عجَز عن المبيت بمزدلفة؛ فلْيُبَيِّتْ عزمَه على طاعة اللَّه، وقد شُرِعَ له صيامُ يوم عرفة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» (رواه مسلم).

فشاركوا الحجيج بالدُّعاء والتَّهليل، والتَّكبير والتَّحميد، وسائرِ أنواع الذِّكر؛ فربُّكم كريم، واغتَنِموا مواسم العبادة قبل فواتها؛ فالحياة مغنَم، والأيامُ معدودة، والأعمارُ قصيرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عَرَفَاتُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه نِعْمَ الزَّاد، وهي النَّجاة يومَ المعاد.

أيُّها المسلمون:

تتوالى مواسمُ الخيرات محفوفةً بفضل الزَّمان وشرف المكان، أفئدةُ المسلمين تَهفو لبيتٍ معمورٍ، يتجهون إليه كلَّ يوم في صلاتهم: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وأنظارهم تَتطَلَّعُ لِبقاعٍ مباركَةٍ تتجدَّدُ فيها العبر والعظات؛ قال سبحانه: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾.

الأمنُ والأمانُ في ربوعه بأمان من اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن من شهر ذي الحِجة، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، نَفْعُهُ متعدٍّ للحاضر والباد: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾، الأرزاقُ عليه دارَّة، والنِّعمُ حولَه متوالية؛ قال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

رِكَابُ الحجيجِ مُيَمِّمةٌ بيتَ اللَّه العتيق، منكسرةٌ في رحابه، راجيةٌ موعودَ اللَّه وجزيلَ نوالِه، مستقبِلةٌ طاعةً من أجلِّ العبادات وركيزةً من دعائم هذا الدِّين، حجُّ بيت اللَّه الحرام بابٌ رَحْبٌ لحطِّ الأوزار والآثام؛ يقول النَّبيُّ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه عند إسلامه: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟! وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟! وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟!» (رواه مسلم)، فيه غسلُ أَدْرَانِ الخطايا والرَّزايا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (متفق عليه)، ثوابُه جنَّاتُ النَّعيم، يقول المصطفى ﷺ: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» (متفق عليه).

في الحجِّ مَنافعُ وعِبر: توحيدُ اللَّه وإفرادُه بالعبادة شعارُ الحجِّ، وافتتاحُ النُّسك: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ» استجابةٌ لأوامر اللَّه، وأعظمُ أمْرٍ أَمَرَ اللَّهُ به: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ» البراءةُ من الشِّرك وأهلِه والإقرارُ بالتَّوحيد، وهو أساسُ الدِّين وأصلُه وشرطُ قبول الأعمال، «لَبَّيْكَ إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ» فيها تذكيرٌ بإسداء النِّعم والثَّناءِ على المنعِم؛ لِتُصرفَ الأعمالُ له وحده، ومن لبَّى في بلدِ اللَّه الحرام؛ فعهدُه غليظٌ مع ربِّه بإفرادِه بالعبوديَّة له في كلِّ مكان.

والتَّجرُّد من المخيط تذكيرٌ بلباس الأكفان بعد الرَّحيل، وإرشادٌ إلى التَّواضُع ونبذِ الكبرياء، الجمعُ كلُّه إزار ورداء، الرأس خاضعٌ للجبَّار مُسْتَكينٌ للرَّحْمَن.

وفي رؤية البيت المعمور مشهدٌ لإخلاص الأعمال للَّه، الخليل وابنه يرفعان أشرف معمور ومع هذا يسألان اللَّه قَبول العمل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُؤْمِنُ جَمَعَ إِحْسَاناً وَشَفَقَةً، وَالمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْناً».

وواجبٌ على الحاجِّ إخلاصُ أعمالِ الحجِّ وغيرها للَّه، فلا يريد بعمله رياءً ولا سُمعةً، ولا مباهاةً ولا مُفاخرةً؛ بل طلبَ رضا اللَّه وتكفيرِ السَّيِّئات، ويسألُ اللَّهَ العونَ على العبادة.

وللطَّوافِ وقعٌ على القلوب ومهابةٌ في النُّفوس في بِساط بيت اللَّه الآمن؛ فلا مَوْطِنَ على الأرض يُتقرَّبُ فيه إلى اللَّه بالطَّواف سوى ما حول الكعبة المُشرَّفة: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

وفي تقبيل الحجر الأسود حُسنُ الانقياد لشرع اللَّه وإن لم تظهر الحكمة، قال عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

والتَّوكُّلُ نصفُ الدِّين، وفي السَّعْيِ بين الصَّفا والمَرْوَةِ تذكيرٌ به، أمُّ إسماعيلَ مع ابنها بوادٍ لا زرعَ فيه ولا ماء، فَسَعَت في قَفْرٍ بين

جبلَين تَطلبُ الماء لها ولصغيرِها - وما رجَا أحدٌ ربَّه فخاب ظنُّه فيه - فكان زَمزمُ من ثمارِ توكُّلِها على ربِّها آيةً للنَّاس بعدها.

وفي مناسك الحجِّ درسٌ في التَّمسُّك بالسُّنَّة وحُسنِ الاتِّباع، يقول النَّبيُّ ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ» (رواه مسلم)، فعلى المسلم اتِّباعُ المصطفى ﷺ في كلِّ قربة، واقتفاء أثره في كلِّ طاعة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾.

أيُّها المسلمون:

يوم عرفة يوم مبارك، هو ملتقى المسلمين المشهود، يومُ رجاءٍ وخشوعٍ، وذلٍّ وخضوعٍ، يومٌ كريمٌ على المسلمين، يقول شيخ الإسلام ؒ: «الحَجِيجُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ يَنْزِلُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الإِيمَانِ وَالرَّحْمَةِ وَالنُّورِ وَالبَرَكَةِ مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ بِهِ».

والدُّعاءُ عظيمُ المكانة رفيعُ الشَّأن؛ يرفعُ الحاجُّ إلى مولاه حوائجَه ويَسألُه من كرمه المتوالي؛ فتقيَّدْ بشروطه وتمسَّكْ بآدابه، واحذَرْ من الوقوع في شيء من موانع إجابته، وتحرَّ الأوقات والأمكنة الفاضلة لقبوله، وتوجَّه إلى اللَّه بقلبك امتثالاً لأمره في قوله: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وارفَعْ له سُؤْلَك، وناجِه بكروبك، وأَيقِنْ بتحقيق الإجابة، وأَلِحَّ على الكريم في الطَّلب، ولا تيأسْ من تأخُّرِ العطاء؛ ففي التَّأخير رَحْمةٌ وحكمة وهو الخلَّاق العليم: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وأفضل الدُّعاء: دعاء ذلك اليوم، يقول ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ مُجَابٌ كُلُّهُ فِي الأَغْلَبِ»، والإكثارُ فيه من كلمةِ التَّقوى مع فهمِ مدلولِها ومعانيها مِن سُننِ المرسلين؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (رواه الترمذي).

يومٌ يَكْثُرُ فيه عُتقاءُ الرَّحمنِ، ويباهي بِهِمْ ملائكتَه المُقرَّبين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» (رواه مسلم)، قال ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبَاهِي بِأَهْلِ الخَطَايَا وَالذُّنُوبِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ التَّوْبَةِ وَالغُفْرَانِ»؛ فكُنْ مُخْبِتاً للَّه في ذلك اليوم، مُتَواضِعاً خاضعاً لِجَنابه، مُنْكسِراً بين يديه، طَامِعاً في كَرَمِه، راغباً في وعده، راهباً من وعيده.

واجتماعُ النَّاسِ في عَرَفة تذكيرٌ بالموقف الأكبر يومَ الحشر؛ لِفَصْلِ القضاءِ بين الخلائق؛ ليصيروا إلى منازلهم؛ إمَّا نعيم وإمَّا جحيم.

ونَحْرُ النُّسُكِ - من هَدْيٍ أو أُضحيةٍ - عبادةٌ مَحْضَةٌ للَّه، يتقرَّبُ بها المسلمون لربِّهم: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾، وفي وضع النَّواصي بين يدي ربِّها - حَلْقاً أو تقصيراً - استسلامٌ لِهَيْمَنَةِ اللَّه، وخضوعٌ لعظمته، وتذلُّلٌ لعزَّته.

أيُّها المسلمون:

ذكرُ اللَّه حياةٌ للقلب وتهذيبٌ للنَّفس وتزكيةٌ للفؤاد، وإقامةُ ذكرِ اللَّه والإكثارُ منه في المشاعر مَقْصَدٌ من مقاصد أداء تلك الشَّعيرة، وأرجى لِقَبولها، وأصْدَقُ في إخلاص فِعلها؛ قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾، وقـــال ﷻ: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾؛ فصاحِبْ ذكرَ اللَّه في سائرِ حَجِّك؛ فشعائرُ الحَجِّ شُرِعَتْ لذلك، قال ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالبَيْتِ، والسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ؛ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ**» (رواه أبو داود).

وأقربُ الحجيجِ عندَ اللَّه منزلةً: أكثرُهم له ذِكْراً، يقول ابن القيِّم رحمه الله: «أَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْراً، فَأَفْضَلُ الصُّوَّام: أَكْثَرُهُمْ ذِكراً لِلَّهِ فِي صَوْمِهِمْ، وَأَفْضَلُ المُتَصَدِّقِينَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلَّهِ، وَأَفْضَلُ الحُجَّاجِ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً».

أيُّها المسلمون:

إذا انقضى الحجُّ فأكثِرْ من الاستغفار؛ فهو ختامُ الأعمال، والاستغفارُ يُخرِجُ العبدَ من العملِ الناقصِ إلى العمل التام، ويَرفعُ العبدَ من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل.

ومَنْ أَحسنَ في حجِّه وابْتَعَدَ عن قوادِحِه؛ عاد منه بأحسن حال، وانقلبَ إلى أطيب مآل، ومِنْ أمارةِ الرِّضا والقَبول: فِعلُ الحسنةِ بعد الحسنة.

ومَنْ فاز بمَغْنَم الحجِّ حقيقٌ به أن يعود إلى بلده بحالٍ زاكيةٍ صالحةٍ مطمئنَّة، مليئةٍ بالإيمانِ والتَّقوى، نفْسُه قويمةُ السُّلوك، ذاتُ عزيمةٍ قوية في الطَّاعة، وإقبالٍ على الرَّبِّ، ومن أمارةِ الرِّضا والقَبول: فعل الحسنة بعد الحسنة.

وإذا انقلب الحاجُّ إلى دياره فَلْيَكنْ فيها قدوة؛ بالصَّلاح والاستقامة والدَّعوة إلى اللَّه على بصيرة والتَّمسُّك بالدِّين، ورحيلُك من المشاعر تذكيرٌ لك بالرَّحيل من هذه الدَّار، فأنت في سفرٍ سيعقُبُه سفر إلى قبرك، فتزوَّد من هذه لتلك، يقول ابن القيِّم رحمه الله: «النَّاسُ مُنْذُ خُلِقُوا لَمْ يَزَالُوا مُسَافِرِينَ، وَلَيْسَ لَهُمْ حَطٌّ عَنْ رِحَالِهِمْ إِلَّا فِي الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ»؛ فاغتَنِمْ مواسمَ العبادة قبل فواتها، فالحياة مَغْنَم، والأيَّام معدودة، والأعمار قصيرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أيَّامُ عشرِ ذِي الحِجَّة أيامٌ مباركة، والأعمالُ فيها فاضِلة؛ قال ﷺ: «مَا العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي هَذِهِ - يَعْنِي: أَيَّامَ العَشْرِ -، قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الجِهَادُ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ؛ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» (رواه البخاري).

ومن العمل الصَّالح فيها: التَّكبيرُ والتَّحميدُ، والصَّيام، وقراءةُ القرآنِ وصِلةُ الأرحام، وبرُّ الوالدين والصَّدقة، وتفريجُ الكُرُبات وقضاءُ الحاجات، وسائِرُ أنواعِ الطَّاعات، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أَيَّامُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ العَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يُحْيُونَ في العشرِ سُنَّةَ التَّكبير بين النَّاس، و«كَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ العَشْرِ يُكَبِّرَانِ؛ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا» (رواه البخاري).

والخيرُ يتتابَع في العشرِ بذبحِ الأضاحِي يومَ العيد وأيَّامَ التشريق، وقد «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، سَمَّى وَكَبَّرَ، وَذَبَحَهُمَا

بِيَدِهِ» (متفق عليه)، وأفضلُ الأضاحي: أغلاها ثمناً وأنْفسُها عند أهلها، وتُجزئُ شاةٌ واحدةٌ عن الرَّجل وعن أهل بيته.

ويَحْرُم على من أرادَ أن يضحِّي أن يأخذَ - في العَشْر - شيئاً مِنْ شَعرِه أو أَظْفَارِه أو بَشَرَتِه؛ حتى يذبَح أضحيتَه؛ فِطِيبُوا بها نفساً، وكلُوا وأَطْعِموا وتصدَّقوا، وتحرَّوْا بصدقاتكم فقراءَكم، وبهداياكم منها أرحامَكم وجِيرانكم، وصونوا أعيادَكم عمَّا يُغضِبُ خالقَكم.

ومَنْ أقام في بلدِه وسبَقه الحُجَّاجُ إلى المشاعِر؛ شُرِع له صيامُ يوم عرفة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «صِيامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» (رواه مسلم)؛ فاغتنِموا مواسمَ العبادةِ قبل فواتها؛ فالحياةُ مغنَمٌ، والأيَّامُ معدودة، والأعمارُ قصيرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَاذَا بَعْدَ الحَجِّ؟(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تفضَّلَ اللَّهُ على خلقه بتنوُّع العبادات؛ منها ما هو باطنٌ في القلب، ومنها ما هو ظاهرٌ على الجوارح، وأركان الإسلام والإيمان مدارُها على ذلك، وقد عاد الحجيجُ من بيت اللَّه الحرام والمشاعر بعد أداء أطول عبادةٍ بدنية، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدِ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَوَّلِ حَجَّةٍ حُجَّتْ مِنْ مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعِلْمُ المَنَاسِكِ أَدَقُّ مَا فِي العِبَادَاتِ، وَلَوْلَا سَعَةُ عِلْمِ أَبِي بَكْرٍ بِهَا لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ النَّبِيُّ ﷺ»

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العشرين من شهر ذي الحِجة، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أميراً على الحجِّ في السَّنَةِ التَّاسعة؛ ليُعلِّم النَّاسَ أحكام الحجِّ، لأنَّه أفقه الصَّحابة.

في الحجِّ تظهرُ عظمةُ الإسلام في توحيدِ الشُّعوب على الحقِّ، وجَمعِهِم على كلمة الإسلام، يقصِدون مكاناً واحداً، ويَدعون ربّاً واحداً، ويتَّبِعون نبيّاً واحداً، ويتلون كتاباً واحداً.

فيه تزولُ فوارقُ زُخرف الدُّنيا، ويظهر الخلقُ سَوَاسِيةً لا تَمَايُز بينهم في المظهر؛ فالجميع في لباسهم كلباس الأكفان.

واللَّهُ سبحانه يُظهِرُ آياتٍ لخلقه على صدق رسله؛ فإبراهيم يدعو ربَّه: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾؛ فاستجاب اللَّه دعاءه، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾، قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ إِلَّا وَهُوَ يَحِنُّ إِلَى رُؤْيَةِ الكَعْبَةِ وَالطَّوَافِ، وَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهَا مِنْ سَائِرِ الجِهَاتِ وَالأَقْطَارِ».

والمُخلِصُ يَستجيبُ اللَّه دعوتَه ولو بعد مماته، وفي كلِّ عامٍ يَظهرُ أثرُ دعوةِ الخليلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فيَستجيبُ المسلمون لدعوته، ويَقصِدون - مع مَشقَّة السَّفر - وادياً لا زرع فيه؛ ليُظهِروا افتقارَهم إلى اللَّه بوقوفِهم في عرفات والمشاعر، وذُلَّهم للرَّبِّ سبحانه بتجرُّدِهم من المخيط، وحَلْق رؤوسهم خضوعاً له.

واللَّهُ سبحانه وعد بحفظ هذا الدِّين، ومع تطاوُلِ الزَّمان وتقلُّبِ الأحوال، ووجود الكثير من الحروب والفتن، والفقر والرَّخاء، إلَّا أن هذا الدِّين بقِيَ ناصعاً تامّاً مُبيَّناً كأن الوحي نزل اليوم، فيلبَسون ما لَبِس

النَّبيَّ ﷺ من إزار ورِداء، ويُلَبُّون بِتَلْبِيَته، ويَرْمُون كما رمى، ويطوفون بالبيت كما طاف.

والوفاءُ من شِيَم الرِّجال، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ صبر على الأذى والكروب؛ لِتَنْعَمَ أمته بالهداية، قال لعائشة رضي الله عنها: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ» (متفق عليه).

والصَّحابةُ رضي الله عنهم هجَروا الأوطان، وتغرَّبوا في البلدان؛ لحمل رسالة النَّبيِّ ﷺ وتبليغِها بعزمٍ وأمانة، ونَشْرِ الإسلام في الآفاق بالدَّعوة والقدوة.

وواجبٌ على المسلم أداء حقوق النَّبيِّ ﷺ لِمَا قدَّمه لهذا الدِّين بمحبَّته والتَّأسِّي به، والوفاء لصحابته رضي الله عنهم بمحبَّتهم، والتَّرضِّي عنهم، والذَّبِّ عنهم.

والإخلاصُ للَّه في كلِّ عملٍ شرطٌ في قَبوله، واللَّه غنيٌّ عزيز، لا يقبل عملاً لم يُرَد به وجهه، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ» (رواه النسائي)، ومَنْ أَدْخَلَ في عبادتِه رياءً، أو سُمْعَة، أو ابتغى مدح النَّاس له؛ لم تُقبَلْ منه عبادتُه، ولن يكون له منها سوى التَّعب والنَّصَب؛ قال اللَّه عز وجل في الحديثِ القُدسيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (رواه مسلم)، ومَنْ أَخْلصَ للَّه تقبَّلَ اللَّهُ عملَه وضاعف أجره، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أَيْ: بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ فِي عَمَلِهِ».

ومَنِ اقتفى أثر النَّبيِّ ﷺ في حجِّه؛ حريٌّ به التَّأسِّي به في شأنه كُلِّه، وذلك سبيلُ الظَّفرِ والفلاح؛ قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي» (رواه الحاكم).

والنِّعَمُ تدومُ وتزيدُ بالشُّكر، ومن أدَّى عبادةً وحمِدَ اللَّه عليها؛ يسَّر اللَّهُ له عبادةً بعدها لينالَ ثوابَها؛ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، ولذا شُرِع قولُ: «الحمد للَّه» ثلاثاً وثلاثين مرة دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مفروضة؛ لشُكرِ اللَّهِ على أداء تلك الفريضة.

وأمارةُ قَبول العمل الصَّالح: الحسنةُ بعده، قال سعيدُ بن جُبيرٍ رحمه الله: «مِنْ ثَوَابِ الحَسَنَةِ: الحَسَنَةُ بَعْدَهَا، وَمِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ: السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا»، والمسلمُ إذا فرغَ من عبادةٍ أعْقَبَها بعبادةٍ أخرى؛ كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾، قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: «أَيْ: فَادْأَبْ فِي العَمَلِ»، ولا تَنقطعُ العبادةُ إلَّا بالموت؛ كما قال سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

وإذا عمل المسلمُ عملاً صالحاً؛ وَجَبَ عليه حِفظُه بالحَذَر من الوقوع في الشرك، إذ أنه يُحبطُ الحسنات؛ قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خيراً؛ سَلَبَ رُؤْيَةَ أَعْمَالِهِ الحَسَنَةِ مِنْ قَلْبِهِ، وَالإِخْبَارَ بِهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَشَغَلَهُ بِرُؤْيَةِ ذَنْبِهِ»، وسؤالُ اللَّه قبولَ

العملِ الصَّالح؛ من صدق الإيمان، بنى إبراهيمُ عليه السلام الكعبةَ ودعا ربَّه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

والثَّباتُ على الدِّين من عزائم الأمور، ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**» (رواه ابن ماجه).

ومَنْ لبَّى في حجِّه بالتَّوحيد، وكبَّرَه في العيد؛ وجَبَ عليه الوفاء بوعده مع اللَّه، وذلك بأن لا يدعوَ سواه، ولا يَلجأَ إلى غيره، ولا يطوفَ بغير الكعبة، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾، ومَنْ توجَّه إلى اللَّه أعانه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾.

وليس من شرط صحَّة الحجِّ زيارةُ المدينة؛ بل قَصْدُ مسجدِها سنَّةٌ رغَّب فيها النَّبيُّ ﷺ للحاجِّ وغيرِه بالصَّلاة فيه؛ فهو أحد المساجد الثَّلاثة التي لا تُشدُّ الرِّحال إلَّا إليها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى**» (متفق عليه)، وصلاةٌ فيه خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجد الحرام.

ومَنْ وَصَلَ إلى المدينة وسلَّمَ على النَّبيِّ ﷺ وعلى صاحبيه - أبي بكر وعمر رضي الله عنهما -؛ فمن المشروع له: زيارةُ مسجد قُباء، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ صَلَّى فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ؛ كَانَ لَهُ أَجْرُ عُمْرَةٍ**» (رواه النسائي)، ويُشرع له زيارةُ مقبرة البقيع وشُهداءِ أُحُد؛ للدُّعاء لهم وللعِظَة والعِبْرة بِتَذَكُّرِ الآخرة، والميِّتُ لا يَمْلِكُ لأحدٍ نفعاً ولا ضرّاً،

ولا يَتعلَّقُ به، وإنما يُدعَى له بالمغفرة والرِّضوان، ومَنْ يُدْعَى له لا يُدْعَى مع اللَّه، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾، والمُوفَّقُ مَنِ اجتهد في طاعة ربِّه، وسارَ على هَدْيِ نَبيِّه ﷺ، وحاسَبَ نفسَه في حياته، وسارَع إلى الخيرات، وفاز بالباقيات الصَّالحات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من أدَّى فريضة الحجِّ حرِيٌّ به بعد أداءِ هذا الرُّكن أن يحفَظَ صحيفتَه بيضاءَ نقيَّة، فإنه «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (متفق عليه)، وأن يكونَ قدوةً لغيره في الصَّلاحِ والاستقامةِ والتَّفقُّهِ في الدِّين، والمحافظةِ على الصَّلوات جماعةً في بيوت اللَّه، ويجبُ أن يكون داعياً بالحكمة والموعظة الحسنة، مُبتدئاً دعوته بذوي القُربى، وصادقاً مع ربِّه في دعوته وفي سائر أعماله كلِّها.

فالْزَموا سنَّة نبيِّكم، وأخلِصوا لربِّكم، واحرِصوا على نفعِ إخوانِكم المسلمين، وتعليمِهم ما ينفعُهم وما يُصلِحُهم من أمور الدِّين، «فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (متفق عليه).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب العَاشِر

الأمرُ بالمَعرُوف والنَّهيُ عن المُنْكَر

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : أهمِّيَّتُه.

الفصل الثَّاني : النَّصِيحَة.

الفصل الأوَّل

أَهَمِّيَّتُهُ

الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ؛ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ(١)

الحمد للَّه المُتفرِّدِ بالكمال، المُتفضِّلِ بجزيلِ النَّوال، أَحْمَدُه تعالى على سِتْرِه الجميل، وأَشْكُرُه ﷻ على برِّه الجزيل.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، هَدَى بفضلِه مَنْ شاء إلى سواءِ السَّبيل.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه شريفُ الخِلال، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ سار على هداهم إلى يوم الحشر والمآل.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فاللَّهُ وليُّ مَنِ اتَّقاه، ومَنِ اعتمدَ عليه كفاه، ومَنْ لَاذَ به وَقَاه.

أيُّها المسلمون:

إنَّ المُنكراتِ إذا كَثُرَ على القلبِ وُرودُها، وتَكرَّر في العين شهودُها؛ ذَهَبَتْ من الصُّدورِ وحشتُها، وسَلَبَتْ من القلوب نورَها، وتمامُ السَّعادة: السَّعيُ لهداية الخلق وإرشادهم إلى طريق الحق، لِتَظَلَّ حدودُه قائمةً وأعلامُه ظاهرةً.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع من شهر شعبان، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والمرء في حياتِه مُعرَّضٌ للزَّلَّةِ والهفوَةِ، ولا غِنى له عمَّن يُقوِّمُ عِوَجَه ويُصلِحُ أمره، وأعلى الناسِ قدراً وأرفعُهم شرفاً: مَنْ أصلح نفسَه، ثمَّ امتدَّ بالإصلاح والخير إلى غيره - بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر -، إذ هو من أعظمِ قواعدِ الإسلام وألْزَمِ واجبات الشَّرائع، جعله اللَّه من أخصِّ صفاتِ صفيِّه مُحمَّدٍ ﷺ؛ فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾، وهذه الخَلَّةُ جعلت هذه الأُمَّةَ غُرَّةً في جبين الأمم وتاجاً على علوِّ هامها، به سَمَتْ وعَلَتْ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تنمو في المجتمعات الآدابُ والفضائل، وتختفي المنكراتُ والرَّذائلُ، مدح اللَّه به المؤمنين وجعل تركَه من أبرز صفات المنافقين؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

التَّعبُّدُ به صدقةٌ بلا مال؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوْفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ**» (رواه مسلم)، يكفِّرُ الذُّنوبَ ويَمحو الخطايا، يقولُ المصطفى ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ؛ تُكَفِّرُهَا: الصَّلاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**» (متفق عليه).

إنَّ الذُّنوبَ والآثامَ آفاتٌ متلازمة، بعضُها يأخذُ برقاب بعض، ولا يفتُّها سوى الأمر والنَّهي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَمْ

يَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ بِمَا يُضَادُّ الشَّرِيعَةَ».

إنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر حِصْنُ الإسلام المنيع، يَحْجِز عن الأُمَّة الفتنَ وشرورَ المعاصي، ويحمي أهلَ الإسلام من نزوات الشَّيطان ونزغاتِ الهوى، وهو البناءُ المتينُ الذي تتماسكُ به عُرى الدِّين، يَحفظُ العقائدَ والسُّلوكَ والأخلاق، ويدرأُ المحنَ والرَّذائل، أوجبه اللَّهُ على عموم الرِّجال والنِّساء.

في القيام به صلاحُ الأمم وحِفْظُ النِّعَم ووفرةُ الأمن وإجابة الدُّعاء، وصَرْفُ كَيْد الأعداء مع رفعةِ الدَّرجات والإحسانِ إلى الخلق، قيل لابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: «مَنْ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يُنْكِرُ مُنْكَراً».

أيُّها المسلمون:

يُحْجِم أقوامٌ عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ لنيل العيش والمعاشرة وحفظ الوُدِّ وإرضاء الخلق، وذا قد استَجْلَبَ مودَّتهم بالمعصية وسوَّى بين الخبيث والطَّيِّب في معاملاته، وآثر حظوظه الذاتيَّة، وتلك مُخالَّة منقطعة؛ فـ«مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» (رواه ابن حبَّان).

ومَنْ تَرَكَ الأمرَ بالمعروف مخافةَ المخلوقين؛ نُزِعت منه الطَّاعةُ وزَالت عنه المهابة، فاحْذَرِ المداهنةَ فهي بابٌ من الذُّلِّ والهوان عريضٌ، ولا تأسَفْ على مَنْ قَلَاكَ ولا مَنْ فَارَقَك لأمرك أو نهيك له،

واقطعْ أطماعَك من الخلق، وثِقْ بكفالة ربِّ الخلق؛ فالأمر بالمعروف لا يقطع رزقاً ولا يُقرِّبُ أجلاً، يقول الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رِضَا النَّاسِ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَلَا مَطْلُوبٍ، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾».

ولا يَسْقُط النَّهيُ عن المنكرِ عن المُكلَّف لِسلْبِ النَّفع فيه بالتَّخيُّل، بل عليه الأداءُ وعلى الرَّبِّ الهداية، وفي تبليغه معذرةٌ وإنذارٌ، وإقامةُ الحُجَّةِ وإظهارُ الشَّعيرة، ومَنْ رأى ذا مُنْكَرٍ ولَمْ يَنْهَهُ فقد أعانه عليه بالتَّخْلِيَةِ بينه وبين معصيتِه.

والسُّكوتُ عن الذَّنب تزيينٌ للمعصيةِ في الصُّدور، ومجانبةُ المنكر من مقتضيات الإنكار بالقلب، وتوقِّي الذَّنب ليس شرطاً في النَّاهي؛ بل ينهى العُصاةُ بعضُهم بعضاً، ويلزم المسلمَ الأمرُ بالمعروف وإن لم يمتثله، ويلزَمُه النَّهيُ عن المنكر وإن ارتكَبَهُ، وتَبْقى ثَلْمَةُ مخالفة الفِعل القولَ.

إنَّ أقواماً توهَّموا أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر قَدْحٌ في الحريَّات الشَّخصيَّة، وهذا من مجانبة الصَّواب في فَهْمِ نصوص الشَّريعة؛ بل هو حِفظٌ لحقوق الآخرين من انتهاكها؛ فاحْذَرِ الازدِرَاءَ بالآمِرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر، أو التَّنقُّصَ من قدرهم، أو أذيَّتَهم بالفعال أو المقال، فهم حُرَّاسُ الدين، صُوَّانُ الأعراض، بهم - بإذن اللَّه - تَعْلُو رُتَبُ الفضائل، وتُوصَدُ الفِتَنُ، ويُدفَع البلاءُ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ**» (رواه أبو داود).

أيُّها المسلمون:

إنَّ الآمرَ بالمعروف والنَّاهيَ عن المنكر مُعرَّضٌ للأذى من بعض الوَرَى، فمَنْ أَقامَه فلا يستَوْحِشْ من سلوك طريقه، ولْيجعَلْ له من الصَّبر حِصناً مكيناً، واثقاً بالثَّواب ممَّا يتلقَّى من المشاق، يقول ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الآمِرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ، لَا بُدَّ أَنْ يَنالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذًى».

وإيَّاكَ وأهلَ التَّخذيل! أو الرُّكونَ إلى الضَّعف! وقِفْ مع البلاء بالإيمان والتَّوكُّل، واصْبِر واحتَسِبْ وواصِلِ الجهد، وخاطِبِ النَّاس على ضوء قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، واعْلَم أنه ليس في كل أمرٍ أو نهيٍ إزالةُ المحذور؛ فزِمامُ الاستقامةِ بيَدِ الهادي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾، والأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر مَسؤُوليَّةُ المسلمين جميعاً وليس خاصّاً بآحاد المكلَّفين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

بارك اللَّه ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكر أصلٌ من أصول الشَّريعة، وقاعدةٌ من قواعد الأمن في المجتمع، ولو طُوِيَ بساطُه وأُهمل عملُه لاضْمَحلَّت الديانة، وفَشَتِ الضلالة، وشَاعَت الجهالة، وخَرِبَتِ البلادُ، وعمَّ الفسادُ، واستعجَلُوا بالعذاب، يقول الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُرُوا بِالمَعْرُوف، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ؛ وَإِلَّا كُنْتُمُ المُوعِظَاتِ لِغَيْرِكُمْ».

«**إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا! اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ**» (رواه أبو داود).

والمجتمعُ الذي لا يَنْهَى عن المنكر مُعرَّضٌ لِلَعْنَةِ اللَّه ومَقْتِه، وما يَنشأُ عنها من الذُّلِّ والخذلان وتنوُّع الفتن؛ قال سبحانه: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، ويقول

النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (رواه الترمذي).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

ثَمَرَاتُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

كان النَّاسُ أُمَّةً واحدة على الفِطْرة القويمة، فاجْتالَت الشَّياطين مَن حادَ منهم عن الطَّريق السَّويِّ، فبعث اللَّه النَّبيِّين مبشِّرين ومنذرين، والشَّيطان ملازِمٌ للإنسان يُوَسْوِسُ له ويُغْوِيه، ومِنْ رأفةِ اللَّه بعباده: أَنْ جعل للبشر أعواناً من جنسهم يدعونهم إلى الخير، ويحذِّرونهم من الفتن واتِّباع الهوى - وهم الرُّسلُ وأتباعُهم -؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾، وقــال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وقال شعيبٌ عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾، وقال اللَّه لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۞ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، ومن صفات نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ في كتاب اللَّه: أنَّه آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر؛ قال عز وجل عنه مُثْنِياً عليه: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾.

والأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر ركنٌ مِنْ أركان الدِّين، وهو المُهمَّة التي بعث اللَّه بها النَّبيِّين، وقدَّمه اللَّه في آيات على الإيمان باللَّهِ مع أنه جزء منه؛ قال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾، وذكره سبحانه قبل الصَّلاة والزَّكاة؛ فقال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، قال ابنُ العربيِّ رحمه الله: «الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ أَصْلٌ فِي الدِّينِ، وَعُمْدَةٌ مِنْ عُمَدِ المُسْلِمِينَ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ مَثْنَى وَفُرَادَى».

ولا فلاحَ لهذه الأُمَّة إلَّا بإقامتِه؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، وأقسم اللَّه أنَّ الإنسان خاسر إلَّا إنْ أَمَرَ بالخير ونَهَى عن ضدِّه؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالأمر والنَّهي ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

والأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر أَصلٌ من أصولِ أهل السُّنَّة والجماعة، يعتقدون شرعيَّته بقلوبهم، ويُقِرُّون به بألسنتهم، ويُؤَدُّونه

بجَوَارحهم بحسب استطاعتهم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ هُمْ - أَيْ: أَهْلُ السُّنَّةِ - مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ: يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ**» (متفق عليه)»، قال الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَتَى تَخَلَّفَ العَمَلُ بِمُوجَبِ مَا اعْتَقَدُوهُ؛ دَلَّ عَلَى تَخَلُّفِ الاِعْتِقَادِ، وَمَتَى ضَعُفَ؛ دَلَّ عَلَى ضَعْفِ الاِعْتِقَادِ».

ولقد كان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يبايعون النَّبيَّ ﷺ عليه، قال جرير بن عبد اللَّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (متفق عليه).

وإقامته من شكر نِعَم اللَّه على العبيد؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وهو من مكفِّرات الذُّنوب والخطايا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ؛ تُكَفِّرُهَا: الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**» (متفق عليه)، وهو صدقةٌ من الصَّدقات؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ**» (رواه مسلم)، وأَمَرَ النَّبيُّ ﷺ مَنْ جَلَسَ في طريقٍ أن يؤدِّيَ تلك العبادة وهو على حاله؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**، قَالُوْا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: **غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوْفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ**» (متفق عليه).

وواجِبُ الحِسْبَة ليس خاصّاً بفئة دون أخرى؛ بل كلُّ فردٍ مكلَّفٌ بأداء تلك الطَّاعة؛ قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» (رواه مسلم)، قال ابنُ عطيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ النَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَرْضٌ عَلَى مَنْ أَطَاقَهُ».

وهو دليلُ كمالِ الإيمان، وحُسْنِ الإسلام، ومعنًى من معاني الخير والحبِّ للأُمَّة، ومن أسباب نيل رحمة اللَّه على العباد، وأمارة على ائتلاف المجتمع وتعاضده وسعادته، فالخير في الناس ماضٍ، والفِطَر مجبولة عليه وعلى حُبِّ من دعاها إليه.

فلا تَتَوانَ عن أداء تلك العبادة ودعوة الآخرين والصَّبر عليهم، فقلوبُهم للخير مُقبِلَة، والأجرُ على قَدْر الإخلاص والنَّصَب، واحذرِ السآمة، وعاوِدِ النصيحةَ تلوَ الأخرى بحِكمة، نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَبِثَ في قومه ألفَ سنة إلَّا خمسين عاماً، يدعوهم سرّاً وجهاراً، ليلاً ونهاراً، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يَسْقُطُ عَنِ المُكَلَّفِ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ لِكَوْنِهِ لَا يُفِيدُ فِي ظَنِّهِ».

بتركه يُرَدُّ دعاء المسلمين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**» (رواه الترمذي)، والإعراضُ عنه من أسباب هلاك الأمم؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا**

دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا! اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» (رواه أبو داود)، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ؛ وَإِلَّا كُنْتُمُ المُوعِظَاتُ».

والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر عبادةٌ شُرِعَت لكلِّ الأُمَم، واللَّهُ أثنى على مَنْ قام بها من أهل الكتاب قبل نسخ دينهم؛ قال سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، وقال لقمانُ - وهو من الأمم السَّابقة - ناصحاً ابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، فلا عَجَبَ في هذه الأُمَّة إذاً إنْ أُمِرَ رجلٌ بأداء الصَّلاة، أو ذُكِّرَتِ امرأةٌ بالحجاب، أو أُرشِدَ تائهٌ إلى طريق الرَّشاد، أو كُفَّ شرُّ ساحرٍ عن العباد.

أيُّها المسلمون:

الدِّين عند اللَّه الإسلام، وأبى اللَّه إلَّا أن يُتِمَّه؛ قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شُعَاعَ الشَّمْسِ بِنَفْخِهِ، وَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ؛ لَا بُدَّ أَنْ يُتَمَّ وَيَظْهَرَ»، واللَّهُ سبحانه تكفَّلَ بنشر هذا الدِّين وفَتح القلوب

له؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ - أَيْ: مَا طَلَعَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ -، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ» (رواه أحمد)، ولن يُشادَّ أحدٌ هذا الدِّين أو يَرُدَّ أحكامه وشرعه؛ إلَّا غلبه، قومُ هود لَمَّا قالوا لنبيِّهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾؛ أرسل اللَّهُ عليهم الرِّيح العَقِيم، وقومُ لوطٍ لَمَّا قالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾؛ أخذتهم الصَّيحةُ مشرقين.

ومَن زَعَم أنه سَيُطفئُ الدِّين، أو يُبْطِل شعيرةً من شعائره؛ فقد طلب مُحالاً؛ قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وما عادى أحدٌ هذا الدِّينَ أو أهلَه إلَّا أذلَّه اللَّه؛ قال فرعون لأتباع موسى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾؛ فأغرقه اللَّهُ بالماء، وقومُ شعيبٍ سَخِروا بنبيِّهم، وقالوا له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾؛ فقال اللَّه عنهم: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾، ومَنْ لَمَزَ شعيرةً من شعائر اللَّه، أو سَخِر منها، أو أَبْغَضَها؛ فقد عرَّض نفسه لوعيد اللَّه في قوله: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾.

ومَنْ طلب الرفعةَ والعِزَّة والعلوَّ فلن يجدَها في غير التَّمسُّك بالدِّين؛ قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، بالدِّين بَقِيَتْ سِيَرُ الأنبياء والصَّحابة والسَّلف خالدةً، وبِمُعاداة الدِّين طُوِيَت أيَّامُ

أبي جَهْل وأبي لهب وأُبَيٍّ وأصبحت كاسدة؛ فأَقْبِلْ على هذا الدِّين بقلبِك ولسانِك وجوارِحك، وافرَحْ به وبأحكامه وتَمسَّكْ به، وعظِّمْه وشِدْ به في المجالس والمحافل وغيرها، وأظهرْ فضائلَه ومحاسنَه، وادْعُ غيرَك إليه، وأَعْلِنْ سُرورَكَ بهدايتك إليه؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، فما قرُب أحد من الدِّين إلَّا عَزَّ وعَظُم، وسدَّد اللَّه أقواله وأفعاله.

ومَنْ قام بالدِّين والدَّعوة إليه والذَّبِّ عنه؛ فحقُّه الشُّكر والثَّناء، والتَّبجيل والدُّعاء؛ الأنصار نصروا دين اللَّه؛ فقال عنهم النَّبيُّ ﷺ: «الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، وورقةُ بنُ نوفل عاش في الجاهلية بفطرته، وأدرك نزول الوحي على النَّبيِّ ﷺ وهو شيخٌ مسنٌّ، وتمنَّى إدراك الرِّسالةِ لنُصرةِ الدِّين، وقال للنَّبيِّ ﷺ: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً - أَيْ: شَابّاً - حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً» (متفق عليه)، فمَنْ عاش في الإسلام أَوْلَى بنصرِه ونشرِه ومحبَّتِه، ممَّنْ عاش في الجاهلية وتمنَّى أن يدركَ النَّبيَّ ﷺ ويَنْصُرَ دينَه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

المجتمعُ المسلمُ متآلفٌ متآزرٌ، والمرءُ بمفرده يَضْعُفُ مع الهوى والشَّيطان، ومِنْ حقِّ الأُخوَّةِ في الدِّين: بذلُ النَّصيحةِ والخير للآخرين، قال أبو بكرٍ المُزنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ؛ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ اللَّهِ وَالنُّصْحُ لِخَلْقِهِ».

والدُّعاءُ في ظهر الغيبِ بهداية الآخرين مِنْ صِدْق النُّصحِ لهم ومِنْ محبَّتِهم، وعلى المدعو أن يقبلَ النَّصيحةَ ويَفرحَ بها، ويَسُدَّ بها خَلَلَه، فَمَنْ سعى لإكمال صفاتك وتدارُكِ معايِبك؛ فهو المُحبُّ لك حقّاً، فاقْبَل نصحَهُ وكافِئْهُ ولو بالدُّعاءِ له.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

النَّصِيحَةُ

الدِّينُ النَّصِيحَةُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، من يَهده اللَّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

بصَّرَ اللَّهُ عبادَه بالحقِّ، ويَسَّرَ لهم سُلُوكَه، وأَمَر مَن يُعينهم عليه بنصيحةٍ مِنْ صاحبٍ صالحٍ وناصحٍ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ تَأَمَّلَ فَسَادَ العَالَمِ عُمُوماً وَخُصُوصاً؛ وَجَدَهُ نَاشِئاً مِنَ الغَفْلَةِ وَاتِّبَاعِ الهَوَى».

والمسلمُ إن رأى في أخيه قُصوراً أو خللاً؛ وَجَبَ إصلاحُه، يفعل ذلك عقيدةً في قلبه، ويظهرُ ذلك على جوارحه؛ إذ النَّصيحَة أصل الدِّين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَدَارُ الدِّينِ عَلَى حَدِيثِ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»».

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والنَّصيحَة من مُعتقد أهل السُّنَّة والجماعة، قال شيخ الإسلام ﷺ: «وَيَدِينُونَ - أَيْ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ - بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ»، وهي دأْبُ الأنبياء والمرسلين؛ قال نوحٌ عليه السلام لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾، وقال هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، وقال صالحٌ عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾، وقال شعيبٌ عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾، وبعث اللَّه موسى عليه السلام؛ لتذكير النَّاس، قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، ومن أخصِّ صفات نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: أنه مُذكِّر، قال اللَّه تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾، قال عليٌّ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا، فَيُذَكِّرُنَا بِأَيَّامِ اللَّهِ» (رواه أحمد).

وهي من أعمال الصَّالحين؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وامتثلها الصَّحابة رضي الله عنهم في حياتهم؛ فكان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما: «يَا أَبَا مُوسَى! ذَكِّرْنَا رَبَّنَا، فَيَقْرَأُ عِنْدَهُ» القرآنَ، وكان ابن مسعودٍ رضي الله عنه يقول: «أَتَخَوَّلُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا» (متفق عليه).

واشترط النَّبيُّ ﷺ على من أسلم من الصَّحابة فِعلَ هذه العبادة، قال جريرٌ رضي الله عنه: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ؛ فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: **وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» (متفق عليه)، وهي من حقوق المُسلم على أخيه المُسلمِ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ**

فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» (رواه مسلم)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ تُرْفَعُ الأَعْمَالُ كُلُّهَا عَنِ العَبْدِ فِي بَعْضِ الحَالَاتِ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْهُ النُّصْحُ لِلَّهِ».

ومِنْ خصالِ الإيمان الواجبة: حبُّ الخير للمسلمين، والخوفُ عليهم من السَّيِّئات والعقوبات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه)، قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَمْ يَنْصَحْ لِلَّهِ وَلِلْأُمَّةِ وَلِلْعَامَّةِ؛ كَانَ نَاقِصَ الدِّينِ».

النَّصيحَة تُصلِح المجتمعَ، وتجلِبُ له الأُلفةَ، وتُبعِدُ عنه الغِيبة، وهي من الأعمال الدَّالة على صفاءِ السَّريرة، قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مِنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ الأَنْفسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ».

وأَنْصَحُ النَّاسِ لك: مَنْ خاف اللَّه فيك، وكان السَّلف يُحبُّون مَنْ يُبصِّرُهم بِعُيُوبِهم، قال مِسعَرُ بن كِدام رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي فِي سِرٍّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ».

ولا غنى لأحدٍ عن التذكير، فإن كان المنصوح ذا خيرٍ عمَّ خيرُهُ، أشار عُمرُ على أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بجمْعِ القرآن، فجَمَعَه؛ فانتفعَت الأُمَّةُ برأيه، وقال رجلٌ في مجلسٍ فيه الإمام البخاري: «لَوْ جَمَعْتُمْ كِتَاباً مُخْتَصَراً لِسُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ البُخَارِيُّ: فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِي، فَأَخَذْتُ

فِي جَمْعِ الصَّحِيحِ»؛ فكان غُرَّةً في جبين الزَّمان، وجمع الإمام مسلمٌ «صحيحَه» بطلبٍ من غيره؛ فصار نفعُهُ في الآفاق.

والغافلُ أيضاً يحتاجُ إلى نُصحِ النَّاصح، دُعِيَ عمرُ بنُ الخطَّاب إلى الإسلام، فكان فاروق هذه الأُمَّة، وأبو بكرٍ رضي الله عنه دعا عثمان بن عفَّان، وعبدَ الرَّحْمَن بن عوف، وطلحة، وأبا عبيدة، والزُّبير إلى الدِّين؛ فكانوا من العَشَرَةِ المُبشَّرين بالجنَّة.

والنَّصيحَةُ واجبةٌ على كلِّ عبدٍ، فينصحُ لنفسه: بطاعتِه لربه والبُعد عن معاصيه، ولكتاب ربه: بتعلُّمه، وتعليمه، وفهمه، والعملِ به، ولرسوله: بامتثالِ أوامره، وعدمِ الابتداعِ في الشَّريعة، ولأئمَّة المسلمين: بإعانتِهم على الحقِّ وتذكيرِهم به والدُّعاءِ لهم، والنُّصح لعامَّة المسلمين: بجلب الخير لهم، ودرءِ الشَّرِّ عنهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم).

واللَّهُ أمر بنصحِ كلِّ أحدٍ وإن علا وطغى؛ قال اللَّه لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، وأَمَرَ اللَّهُ رسولَه أَنْ يَعِظَ المنافقين؛ فقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾، ونصح النَّبيُّ ﷺ الصِّبيان، فقال لابن عبَّاس وهو صغير: «**يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي)، وقال للجارية الصَّغيرة: «**أَيْنَ اللَّهُ؟** قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» (رواه مسلم).

ومَنْ نَصَحَ وجَبَ أن يَبذُل غايةَ النُّصح للمنصوح، وأن يَعدِلَ في قوله ولفظه، والحياءُ لا يَمنعُ من النَّصيحَة، وتكونُ بأحسن الألفاظ وأحكمها؛ قال سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾، وتكونُ بالقول اللَّيِّن؛ قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، وفي حال سرٍّ بينك وبين مَنْ تنصحُه، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَ السَّلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ؛ وَعَظُوهُ سِرّاً».

وإن رُدَّ قولُه فلا يحزن؛ فقد أدَّى عبادةً، فَلْيَرْجُ قبولَها، وليس أحدٌ من الناس لا تُرجَى هدايَتُه، قال سبحانه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾.

ومَنْ قام بالنَّصيحة وتَجرَّدَ للَّه، وبَذَلَ المجهودَ فيها بالصِّدق مع اللَّه؛ فحقُّه الإكرام، والدُّعاء والثَّناء، قال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا زَالَ لِلَّهِ نُصَحَاءُ يَنْصَحُونَ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَيَنْصَحُونَ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ فِي الأَرْضِ».

ومَنْ أعرضَ عن نصيحةٍ قُدِّمَت له ندمَ، قومُ صالحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نصحَهم نبيُّهم، فردُّوا نُصحه؛ فعاقبهم اللَّه، وقال لهم نبيُّهم: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، وسعادة المجتمع بِحُبِّ النَّصيحة والعملِ بها، ومحبة النَّاصحين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

مِنْ فضلِ اللَّهِ على عباده: أنْ وَضَعَ مع نُصْحِ النَّاصحين دلائلَ وأسباباً تعِظُ النَّفس وتُحيي القلب؛ فالقرآن والسُّنَّة موعظة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾، والتَّفكُّرُ في خلق اللَّه يُعظِّمُ الخالقَ، قال ﷻ: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

ونِعَمُ اللَّه واستشعارُها تَجْلِبُ الحياءَ من اللَّه، وتُباعِدُ عن المعاصي، قال اللَّه لموسى عليه السلام: ﴿أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾، وزيارةُ الرِّجال للمقابر من المُوعِظات، قال النَّبيُّ ﷺ: «زُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ» (رواه مسلم)، والابتلاءاتُ نذيرُ عودةٍ إلى اللَّه؛ قال جلَّ شأنه: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾.

فواجبٌ على المسلم أن يُصغي لنصيحة النَّاصح، وتذكيرِ المُذكِّر، وأن يُقابلَ ذلك بالقَبول والعمل، إما قياماً بواجبٍ، أو كفّاً عن مُحرَّم.

ثم اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

آدَابُ النَّصِيحَةِ لِلْوُلاةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستقيموا على أمرِه سرّاً وجَهْراً.

أيُّها المسلمون:

بعث اللَّهُ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ لتَقصِدَ قلوبُ الأفراد والجماعة الرَّبَّ وحده، وشعائرُ الإسلامِ تعلو بأمر اللَّه بِالأُلفة واجتماع أفراد المجتمع على هذا الدِّين.

بعثه اللَّه والنَّاس أشدُّ تقاطعاً وتعادياً، وأكثرُ اختلافاً وتمادياً، فأتى بالأمر بربط أواصر المودَّة بين أفراده؛ ليُفرِدوا خالقهم بالعبادة،

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع من شهر رجب، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وجعل ذلك من أُولَيَات قواعد الدِّين، يقول عَمْرُو بن عَبَسَة ﵁: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» (رواه مسلم)، ودعا إلى لُحْمَة الائتلاف بين المسلمين وحرَّم ضدَّها؛ فقال: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً» (متفق عليه)، ولِتبقى القلوبُ سليمةً؛ نَهَى عن الهَجْرِ فوقَ ثلاثِ ليالٍ، فقال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ» (متفق عليه).

ولَمَّا هاجر ﵊ إلى المدينة؛ كان مِنْ أَوَّلِ أعمالِه: تأليفُ القلوبِ على طاعة اللَّه؛ فألَّف بين الأَوْسِ والخَزْرَجِ بعد حُروبٍ طاحنةٍ بينهم، فزالت إِحَنُهُم، وانقطعتْ عداوتُهم، وصاروا بالإسلام إِخْواناً متحابِّين، وبألفة الدِّين أعواناً مُتناصرين: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾، فكانت تلك نعمةً سابغةً امتنَّ بها على الأنصار، فقال ﵊: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟» (متفق عليه).

والمُجْتَمَعُ المُتآلِفُ يَنْتَصِرُ على أعدائه، ويُؤدِّي الإسلامُ رسالتَه، وتقومُ الشَّريعةُ كما أمر اللَّه، ومِنَ القواعد التي استقرَّت عليها المِلَّة، وجاءت بها الفِطْرَة: ضرورةُ إقامةِ وَالٍ على الرَّعيَّة يَسوسُ الدُّنيا

بالدِّين، لِيَصْدُرَ التَّدبيرُ عن دِينٍ مشروع، وتجتمع الكلمة على رأيٍ متبوعٍ، فلا دينَ يَنْتَشِرُ إلَّا بجماعة، ولا جماعةَ إلَّا بإمامة، قال المَاوَرْديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَوْلَا الوُلَاةُ لَكَانُوا فَوْضَى مُهْمَلِينَ».

الوالي يَحفظُ اللَّه به الدِّين ليكونَ مَحْرُوساً من الخَلَلِ، ويُنفِّذَ الأحكامَ بين الأخصام، فلا يَتعدَّى ظالمٌ، ولا يَضعُفُ مظلومٌ، ويَذُبُّ عن الحرمات ليأمنَ النَّاسُ في المعاش، يَحفَظُ الحقوقَ ويُقيمُ الحدودَ لِتُصانَ محارمُ اللَّه عن الانتهاك، يرفعُ رايةَ الدَّعوة إلى اللَّه، ويُظْهِرُ الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر، ليذوقَ الناسُ حلاوةَ الدِّين، به تُقامُ شعائرُ المِلَّة وأعلامُ الإسلام.

وعِبْءُ أمانةِ الوِلايةِ ثقيلٌ، يُعينُ على حَملِه النَّصيحَةُ الصَّادقةُ المُخلصةُ من الرَّعيَّة للرَّاعي، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ: مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وَتَذْكِيرُهُمْ بِهِ، وَتَنْبِيهُهُمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ، وَحَثُّ الأَغْيَارِ عَلَى ذَلِكَ».

ونُصْحُ الوُلاةِ من الأعمال الفاضلة التي يُحبُّها اللَّه ويَرتضيها؛ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ**» (رواه أحمد).

والنَّصيحَةُ تكون سرّاً بين النَّاصحِ الصَّادق، وبين الوالي؛ لتكونَ أخلصَ عند اللَّه، وأرجى لقبولها عند المنصوح، وعلى هذا سار السَّلف الصالح، سُئل ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن أمرِ السُّلطانِ بالمعروفِ ونَهْيهِ عن المنكر فقال: «إِنْ كُنْتَ فَاعِلاً؛ فَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ»، قال الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله: «الوَاجِبُ مُنَاصَحَتُهُمْ عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ بِرِفْقٍ، وَاتِّبَاعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ عَدَمِ التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ فِي المَجَالِسِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ، أَمَّا مُخَالَفَةُ ذَلِكَ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ مِنْ إِنْكَارِ المُنْكَرِ الوَاجِبِ إِنْكَارُهُ عَلَى العِبَادِ؛ فَإِنَّهُ غَلَطٌ فَاحِشٌ، وَجَهْلٌ ظَاهِرٌ، لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ المَفَاسِدِ العِظَامِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَعَرَفَ طَرِيقَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَئِمَّةِ الدِّينِ».

وتوقيرُ الولاةِ مع النُّصحِ لهم من الفقهِ في الدِّين، يقول سَهْلُ بن عبد اللَّه رحمه الله: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالعُلَمَاءَ؛ فَإِنْ عَظَّمُوا هَذَيْنِ أَصْلَحَ اللَّهُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَإِذَا اسْتَخَفُّوا بِهَذَيْنِ فَسَدَتْ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ»، ونُصْحُهمْ يكونُ بتلطُّفٍ في العبارة وحكمة ولينٍ، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مُخَاطَبَةُ الرُّؤَسَاءِ بِالقَوْلِ اللَّيِّنِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ شَرْعاً وَعَقْلاً وَعُرْفاً؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُ النَّاسَ كَالمَفْطُورِينَ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُخَاطِبُ رُؤَسَاءَ العَشَائِرِ وَالقَبَائِلِ».

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

من تمام النُّصح: دعوةٌ صادقةٌ خفيةٌ لولي الأمر ابتغاء ثواب اللَّه، وكان الإمام أحمد والفُضيل بن عياض رحمهما الله يقولان: «لَوْ كَانَتْ لَنَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَدَعَوْنَا بِهَا لِلسُّلْطَانِ»، وواجبٌ على الرَّعيَّةِ مع النَّصيحَةِ السَّمعُ والطَّاعةُ له في غير معصية اللَّه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**» (رواه مسلم)، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ أُمُورِ المُسْلِمِينَ فِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا، وَبِهَا تَنْتَظِمُ مَصَالِحُ العِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَبِهَا يَسْتَعِينُونَ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِمْ وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ».

وبالأُلْفَة بين الرَّاعي والرَّعية يَظهرُ الدِّينُ، ويَهنأُ العيشُ، ويُطاعُ الرَّبُّ بالعملِ بنصوص الشَّريعة في ذلك، فترتفعُ منزلةُ العبد عند اللَّه في الآخرة، وتَتَحقَّقُ له الرِّفعة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب الحَادِي عشر

العِلْمُ وَالعِبَادَةُ

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : العِلْم.

الفصل الثَّاني : العِبَادة.

الفصل الأوَّل

العِلْــــــمُ

أُسُسُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ(١)

الحمد للَّه الَّذي بنِعْمته اهتدى المهتدون، وبعدْلِه ضلَّ الضَّالُّون، لا يُسألُ عمَّا يَفْعَلُ وهم يُسأَلُون، أَحْمَدُه سبحانه حَمْدَ عبدٍ نَزَّه ربَّه عمَّا يقول الظَّالمون.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وسبحان اللَّه ربِّ العرش عمَّا يصفون.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّادقُ المأمون، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابِه الذين هم بهديه مستمسكون وبنوره مُقْتَدُون.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى هي الَّتي لا يَقْبَلُ ربُّنا غيرَها، ولا يَرْحَمُ إلَّا أهلها، ولا يُثِيبُ إلَّا عليها.

أيُّها المسلمون:

لقد أرسل اللَّه تعالى رسولَه بالهُدى ودين الحق إلى النَّاس جميعاً، ورسالته باقية إلى يوم الدِّين، وغايتها: هدايةُ الخلقِ أجمعين، ليظفروا بسعادة الدَّارين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقد بلَّغ رسالة ربِّه، وأمر المسلمين بالسَّيْر على مِنْهَاجِه والنُّهوضِ من بعده.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشَر من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والدَّعوة إليه سبحانه هي وظيفة الرُّسل جميعاً، ومِنْ أَجْلِها بَعثهم اللَّهُ إلى أقوامهم؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، ومِنْ نعوت اللَّه لصَفْوَة خلقه: أنه مِن دعاةِ اللَّه؛ فقال اللَّه سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾، وقد كرَّر اللَّه في القرآن الخطابَ إليه بأمره بالدَّعوة إلى اللَّه والاستمرار عليها وعدم التَّخلِّي عنها؛ فقال ﷻ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾.

وظلَّتِ الدَّعوةُ إلى هداية الخلق وصيَّةَ المرسلين لأتباعهم؛ فقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**» (متفق عليه)، وأَمَرَ اللَّهُ عمومَ المجتمعات بالقيام بها؛ فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، وكلُّ مُتَّبعٍ لرسول اللَّه حقٌّ عليه أن يقتديَ به في الدعاء إلى الإيمان به وتوحيدِه والعملِ بما شرعه لعباده: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وفي ثنايا العُمُر خيرُ ما يُغتَنَمُ هو القربُ من اللَّه، والتَّعبُّدُ بالاقتداء بالمصطفى الكريم في دعوةِ عبادِ اللَّه إلى دين اللَّه، والعمل بطاعته بإعانتهم على فعل الطَّاعات واجتناب السَّيِّئات.

وفي إيضاح ذلك نَقِفُ وقفات:

الوقفة الأولى: خيرُ الأعمال وأبرُّها عند اللَّه: السَّعيُ إلى إخراجِ

النَّاس من العَمَى إلى الهُدى، وقولُ الدَّاعيةِ أحسنُ الأقوال في ميزان اللَّه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وكلُّ عملٍ يقوم به المهتدي؛ لك فيه نصيب، فأبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه أسلم على يديه عثمانُ بن عفَّان رضي الله عنه، وعثمانُ جَهَّزَ جيشَ العسرة، وفي جيشِ العُسْرةِ مَنْ ضوعِفت له الدَّرجات، وهكذا سارت بشائر جحافل الدَّعوة من داعية إلى داعٍ، وللأوَّلِ النَّصيب الأوفى منها؛ يقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» (رواه مسلم)، ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» (رواه مسلم)، وقَطْفُ ثمرة الدَّعوة بصلاح البَشَر خيرٌ ممَّا في زينة الحياة؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (متفق عليه).

الوقفة الثَّانية: البلاغةُ والفصاحةُ في البيان ليست شرطاً في الدَّعوة إلى اللَّه، فكليمُ الرَّحْمَن موسى عليه السلام ثَقُل لسانه عن البيان وسأل اللَّه سبحانه بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾، وعدوُّه فرعونُ أَبْيَن منه في الكلام، لذا قال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، ولم يكن ذلك مانعاً من إبلاغ رسالة ربه فأَصْبَحَت أُمَّتُه أكثرَ الأمم بعد أمَّة مُحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام؛ فَبلِّغْ بما أوتيتَه من علم وفصاحة على قدر الجَهْد والطاقة، ولا يكن حياؤك مانعاً لك عن تبليغ الخير لغيرك؛ فربُّك يقول: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

الوقفة الثَّالثة: مِن رأفةِ اللَّه بعباده: أنَّ الدَّعوة إليه ليست مقتصرة على موعظة على مِنْبَرٍ، أو نصيحة في محفَل، بل إنَّ الدَّعوة إليه متنوعة؛ فالإنكارُ على الفرد على خلوةٍ به دعوة، ونصح الأب لابنه قربة، ودعمُ سُبُلِ الخير بالمال فضيلةٌ، وتسهيلُ طرق الدَّعوةِ دعوةٌ، وبهذا يُصبحُ المجتمعُ كلُّه على اختلاف فئاته دُعاةً إلى اللَّه بالمالِ والقلمِ واللِّسان.

الوقفة الرَّابعة: اسْلُكْ مسلَكَ الأنبياء في دعوة أهلك ومَنْ حولَك وسائرِ عبادِ اللَّه، ومطلَع دعوتِهم إلى العقيدة الصَّحيحة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، وسِرْ في دعوتك للآخرين وَفقَ ضوابط الشَّريعة، ولا تُلَوِّثْ دعوَتك بارتكابِ معصيةٍ فيها ولو خُيِّل إليك أن القلوبَ تنجذبُ بها إليك، ودينُك دينٌ عظيمٌ منصورٌ بنصرِ اللَّه له، فلا تُداهِنْ غيرَك حالَ الدَّعوة إليه، فذلك مُبْتغَى بعضِ العاصين؛ يقول اللَّه ﷻ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾.

وعلى المسلمين التَّكاتفُ والتَّآزرُ وعدمُ الفُرْقَة والنِّزاع؛ فثمرتُه الحسدُ والشَّحناءُ وشماتةُ الأعداء، وأنتم مِنظَارُ دين الإسلام لبقية الأديان، وأفعالُكم داعيةٌ أو مُنَفِّرَة عن دينكم، والمدعوُّ لا يرغبُ في اعتناق دينٍ فيه الشَّحناء والبغضاء وإنهاكُ العقولِ بالفُرقَة، فاجتَمِعوا على العقيدة الإسلامية الصَّحيحة النَّابعة من الكتاب والسُّنَّة، ففيها الخير والنُّور، والسَّعادة والسُّرور، والفُرقةُ والنِّزاعُ طلائعُ الهزيمةِ وبشائرُ الرَّدى؛ يقول اللَّه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾.

الوقفة الخامسة: قضت سنة اللَّه أنَّ ذَوِي العصيانِ أكثرُ عدداً ممَّن يُطِيعُ الرَّحْمن، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، فلا تَتزعْزَعْ عن هداية الخلق ولو كَثُرَ الانحراف، ولا تيأسْ من السير في دعوتك ولو قَوِيَ الباطل، يقول الفُضَيْلُ بن عياض رحمه الله: «لَا تَغْتَرَّ بِالبَاطِلِ لِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ مِنَ الحَقِّ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ»؛ فاثْبُتْ على الحقِّ فإنَّك على صراطٍ مستقيم، يقول ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «أَنْتَ أُمَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ».

الوقفة السَّادسة: لا تتطلعْ إلى ثمرة دعوتِك بكثرة المستجيبين، ففَتْحُ القلوبِ مردُّه إلى علَّام الغيوب، وعملُك مقصورٌ على البيان والدَّعوة، وليست لك الهدايةُ وتحويلُ القلوب؛ يقول اللَّه: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾، فأنت بلِّغ وربُّك المسدِّد: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

كم سعى النَّبيُّ ﷺ إلى إسلام عمِّه أبي طالبٍ فلم يحصل ما أراد: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾، ومن الأنبياء مَنِ اجتهد في دعوة قومه سنين عدداً فلم يستجيبوا لهم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ؛ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**» (متفق عليه)، وعليك بالتَّزَوُّد من العلم واسْلُكْ سبيل الحكمة والموعظة الحسنة.

الوقفة السَّابعة: لا تتوانَ عن الدَّعوة على اختلاف الأزمان والأحوال، فرُبَّ كلمةٍ قد تُسْعِدُ وتَسْعدُ بها على مرِّ الدهور؛ فنوح عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجِهاراً، ويوسف عليه السلام وهو في سجنه دعا إلى توحيد ربه: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

ومَنِ استضاءَ بنورِ الهداية؛ فعليه أن يُضيءَ غيرَه مِنْ ضيائها، وأنتَ - أيُّها الأب - كُنْ داعيةً في بيتك بإصلاحِ أهلك، وأنتِ - أيَّتُها الزَّوجة - قُومِي بواجبِك نحوَ إصلاحِ أولادك من البنين والبنات، هيئي لهم كلَّ ما يُعينهم على طاعة اللَّه، وأبعدي عنهم كلَّ ما يُقربُهم من سخط اللَّه، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً؛ فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**» (متفق عليه)، ويقول عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ فواصلِ الدَّعوةَ إلى اللَّه على نورٍ من اللَّه إلى لقاء اللَّه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

والوقفة الثَّامنة: مِن أَمَارةِ صِدْقِ الدَّاعية: الدُّعاء للمدعوِّ في ظهر الغيب، فكم دعوةٍ صادقةٍ في سَحَرِ الليل كانت سبباً في إصلاح أحوال! وتغيَّرَ فيها الحال، فأكْثِرْ من الدُّعاء للعاصي بالهداية والثَّبات، ودعوتُك مثابٌ عليها ولك مثلُها، يقول أبو بكر المُزَني رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ؛ كَانَ فِي قَلْبِهِ الحُبُّ لِلَّهِ وَالنَّصِيحَةُ لِخَلْقِهِ»، واصْبِرْ على ما تُلاقِيه من الأذى، واعْلَمْ أن العاقبة للتَّقوى.

الوقفة التَّاسعة: الإحسانُ إلى الخلق يستميلُ القلوب، وبحُسْنِ المنطِقِ والخُلُق ينجذبُ الخَلْقُ، والنَّبيُّ ﷺ كان داعيةً في أخلاقه ومعاملاته، وقد كان غلامٌ يهودي يَخدمُ النَّبيَّ ﷺ فمرض؛ فعاده الرَّسولُ ﷺ، فقعد عند رأسه فقال له: «أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ؛ فَأَسْلَمَ، فَخرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» (رواه البخاري)، وقد فُتحت بلادٌ من أصقاع المعمورة بالكلمةِ الطَّيِّبةِ والمُعامَلَةِ الحَسَنة.

الوقفة العاشرة: الطَّاعة نورٌ يُقذَفُ في الصُّدور، فَيُؤَثِّر في استجابة القلوب، فأَكْثِرْ - أيُّها الدَّاعية - من التَّعبُّد للَّه والخضوع له، فهي نِعْمَ العون على تحقيق المبتغى، وعليك بالإكثار من ذكر اللَّه وتلاوة كتابه والقيام في ظُلَمِ اللَّيل، فالقلب إذا صَفَى أثَّر، وإذا تَكَدَّر أضرَّ، واستَعْن في دعوتك بالضَّراعة إلى اللَّه أن يباركَ فيك وفي دعوتك وأن يُسدِّد خُطاك، ولا تركنْ إلى الأسباب، وأكثِرْ من الثناء على اللَّه أنِ اصطَفَاك من جُملَةِ البشر للقيام بدعوة الرُّسل، وأنْ جعل سببَ هدايةِ خلقه على يديك وقد حُرمها غيرُك.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

العِلْمُ وَالتَّعَلُّمُ (١)

الحمد للَّه المُتوحِّدِ بالعظمةِ والجلال، المُتَّصِفِ بصفاتِ الكمال، المُنَزَّه عن الأشباه والأمثال، أَحْمَدُه سبحانه وأَشْكُرُه شكراً يزيدُ النِّعَمَ ويحفظُها من الزَّوال.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، الكبيرُ المُتعَال.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبده ورسوله، أَنْقَذَ اللَّهُ به من الضَّلال، وهَدَى إلى أشرفِ الخِصال، صلَّى اللَّه وسلَّم وبارك عليه وعلى أصحابِه والآل، والتَّابعين ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ المآل.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه -؛ فإنَّ التَّقوى مَنبعُ الفضائل، ووَائِدةُ الرَّذائل.

أيُّها المسلمون:

العُلومُ تختلف فضلاً وقدراً باختلاف مقاصِدها، وتَتَفَاوتُ سُموّاً ورفعةً باختلاف مصادرها ومواردها، وأفضلُ العلوم وأشرفُها وأنفعُها للإنسان: ما تَحصلُ به سعادةُ قلبِه، وانشراحُ صدرِه، واطمئنانُ نفسِه؛

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر جمادى الأولى، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وهو ما أُخِذَ من كتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ، إنَّه عِلْمُ الدِّين، الذي يَعْرِفُ الإنسانُ به ربَّه، ويَعرفُ به نفسَه، ويهتدي به إلى غايتِه.

لقد أمر اللَّهُ بالأخذِ بأسبابِ العلم، وأعلى شأنَه، ورفع درجات أهلِ العلمِ من المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وإنَّ العلمَ باللَّهِ وأسمائِه وصفاتِه وأحكامِه وشرعِه أجلُّ المطالب، وأسمى المواهب، وهو حياةُ القلوب من الجهل، ومصابيحُ الأَبصارِ من الظُّلَمِ، يبلغ العبدُ به منازلَ الأخيار، والدَّرجات العُلَى في المآل، هو إمامُ العمل، والعملُ تابعُه يُنمِّي الإيمان، ويُحْيِي الضَّمائر، ويَغْرِسُ الفضائل، ويَقِي الإنسانَ شُحَّ نفسِهِ، وطغيانَ غرائزِه على عقله، خيرُ ما أنفقت فيه الأنفاس، وبُذلت فيه المُهَج.

من آفاقِه تُشرقُ شمسُ المعارف، فتنيرُ وهادَ الحياةِ وأنجادَها، فتتدرج إلى الخير المعقود والعزِّ المنشود، به انشراحُ الصدور وزكاةُ النفوس ونورُ البصائر وهو الوسيلةُ لكلِّ الفضائل، يلحق به المتأخرون السَّابقين الأوائل، وهو الأنيسُ في الوحدة، والصَّاحبُ في الخلوة، والدَّليل في السَّرَّاء والضَّرَّاء، ومنارُ سبل الجنَّة، به يطاع الرَّبُّ ويُعبَدُ، وبه توصلُ الأرحام، ويُعرف الحلالُ من الحرام.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ تعالى الإنسانَ ودعاه إلى تعلُّمِ البيان، والأخذِ من المعارف؛ لأنَّ العلم يُوسِّعُ المدارك، وينيرُ العقلَ بالدَّليلِ القاطع، والبرهانِ السَّاطع، والحُجَّةِ الدامغة.

العلمُ أفضلُ مكتَسب، وأشرفُ منتسَب، وأنفسُ ذخيرة تقتنى، وأطيبُ ثمرة تُجْتَنى، نور زاهرٌ، وقوتٌ هنيء، تنشرحُ به النفوس، وتُسَرُّ به الأفئدة.

وما اكتسب مكتسِبٌ مثلَ علم يَهدي صاحبَه إلى هُدى أو يردُّه عن ردَى، يقول بِشْر الحافيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ».

العلمُ دليلٌ على الخير وعونٌ على المروءة وإحياءٌ للدِّين وإذلالٌ للشَّيطان، يقول سفيانُ بنُ عُيَيْنَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ؛ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

العلمُ شرطٌ للعمل، وهو المُوضِّحُ لأركانِ العبادة وشروطِها وآدابِها، وما يصْلِحُها وما يُبْطلها، وما يكمِّلها أو يُنقِصُها، مع العلم باللَّهِ ينفعُك قليلُ العملِ وكثيرُه، ومع الجهلِ باللَّهِ لا ينفعك قليلُ العملِ ولا كثيرُه.

لقد امتنَّ اللَّهُ على الأنبياءِ الكرام بما آتاهم من العلم، وذكرَ اللَّهُ هذا الفضلَ العميمَ في كتابه، فقال عن يوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾، وقال عن كَلِيمِه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾، وقال عن داودَ وسليمانَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾، إنَّه ميراثُ النُّبوَّة؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾.

أيُّها المسلمون:

لقد عُني الإسلام بالعلم أبلغَ عنايةٍ وأتمَّها، دعوةً إليه، وترغيباً فيه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً بأهله، وحثّاً على طلبِه وتعلُّمِه وتعليمِه، وبياناً لآدابه، وتوضيحاً لآثاره، وترهيباً من التهاونِ به، أو الازدراء بأهلِه.

طلبُ العلم والاستزادةُ منه شرفٌ لا يُضاهَى وفضلٌ لا يُحد، ثمراتُه عاجلة وقطوفُه دانية، فوائدُ شتَّى وعوائدُ حميدة، تُحفِّز ذا الهمةِ إلى طلبِه والاشتغال به.

انطلق العلمُ في هذه الأمة ببسم اللَّه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ومِن كرم الخالق: رفعُ هذا العلق إلى درجةِ الإنسان الذي يُعلَّم فيتعلَّم.

إنَّ العلمَ نورٌ في قلبِ المؤمن مُستمَدٌّ من مصباحِ مِشْكاةِ النُّبوَّة، وهو روحُ الحياة، تَشْرُف النَّفسُ به، وتزكو بجمعِه وتحصيلِه، ثوابه نهرٌ يتدفقُ في الحياة والممات، وسلوكُ طريقِه تسهيلٌ لطريق الجنة، العقلاءُ مطبقون على تعظيمِ العلمِ والحثِّ على تحصيله، يرفع اللَّه بالعلمِ أقواماً فيجعلُهم في الخير قادة، فكم مِنْ وَضيعٍ رَفَعَهُ العلمُ إلى مَصَافِّ الشُّرَفاء؟! وكم مِنْ حَقيرٍ عند النَّاسِ نَظَمَهُ العلمُ في سلكِ العظماء؟!

هو الوسيلة إلى القُرْبِ من ربِّ العالمين، قبضُه إيذانٌ بزوالِ الكونِ بأسره، تُحِبُّ الملائكةُ مُجالَسةَ أهله وبأجنحتِها تَحفُّهُم، ومن في السَّموات ومن في الأرض مستغفرٌ لهم، يقول المصطفى ﷺ:

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً؛ سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضىً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

العلماء وارِثو علم الرِّسالة، بهم قام الكتاب وبه قاموا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ۗ﴾، هم النُّجومُ، بهم يُهتدَى ويُقتدى، يَنفون عن الأُمَّةِ المزاعمَ الباطلة، وهم مثالُ الاستقامةِ ومَعْقِلُ الدِّين، بالعلم عاملون، وعلى الحقِّ سائرون، يهدون بالحق وبه يعْدِلون.

استشهد اللَّهُ بهم على أجلِّ مشهودٍ به وأعظمِه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وجعل كتابَه آياتٍ بيناتٍ في صدورهم وهم أهلُ خشيته، خصَّهم من بين الناس بذلك، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ بَصِيرٍ بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ»، ذلك لأنَّهم حاملو كلمةِ التَّوحيد، يدعون إلى اللَّه على بصيرةٍ وهدًى وكتابٍ منير، دعا اللَّه النَّاس إلى سؤالهم فيما يجدُّ من مسائلَ وقضايا؛ فإجابتُهم تُزيلُ الشبهات وتُزيحُ السُّدودَ أمامَ العقلِ الظامئِ إلى

المزيد من المعرفة، فتتوثَّقُ عُرى الصِّلةِ بين السَّائلِ وربِّه فيستقيمُ في سلوكِه وأحوالِه معَ مجتمعه.

أيُّها المسلم:

إذا جالسْتَ العلماء؛ فكن على أن تسمعَ أحرصَ منك على أن تقول، وَلْيَكن سؤالُك تفقُّهاً لا تعنُّتاً، إن من وصايا لقمان: «يَا بُنَيَّ! جَالِسِ العُلَمَاءَ وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي القُلُوبَ بِنُورِ الحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الأَرْضَ بِوَابِلِ المَطَرِ»، فعليك بتبجيل العلماءِ أهلِ الفضلِ والإيمان، ومَنْ عَرَفَ لِذِي الفَضْلِ فضلهم؛ فقد وَلَجَ طريقَ الخير.

أيُّها المسلمون:

إنَّ التَّعليمَ عملٌ جوهريٌّ في نفسه، سامٍ في غايته، وهو خيرُ ما يَرْفعُ من شأنِ صاحبِهِ، وهو أوفرُ الوسائلِ إلى تهذيبِ النفوس.

والمعلِّمون هم الأُمناءُ على أبناءِ هذه الأُمَّة، والفِطَرُ السَّليمة تُقبِل على حديثِ من أحسن الدَّرسَ أدبُه، وهذَّب الأدبُ منطقَه، ودُورُ التَّعليمِ في جميع مستوياتِها هي محاضنُ الجيل، وهي الحصنُ الحصينُ لحمايةِ الأمةِ والحفاظِ على أصالتِها وبقائِها وثقافتِها.

إنها تحوي أثمنَ ما تَمْلِكُه الأمة، تَحْتَضِنُ الثَّروةَ البَشريَّة - رجالَ الغدِ وجيلَ المستقبل -، وإذا حُفظت العقولُ والأخلاقُ وأحيطت التربيةُ بسياجِ الدِّينِ المتين ورُبِطَتْ برباطِ العقيدة الوثيق؛ صَلَحت الأعمالُ واتَّضح السَّبيلُ، فصلاحُ الأعمالِ في صحةِ العلوم، والتَّربيةُ الصَّحيحة

الجاريةُ على السُّننِ المستقيمة تُنتِجُ رجالاً أمناءَ أوفياء، ذوي نصحٍ وإخاء.

ولأهميةِ التَّعليمِ في تكوين الأمم؛ كان الرُّسلُ الكرامُ ينشرون العلمَ في أمَّتهم، يقولُ عمرُو بنُ عُتْبَةَ لمُعلِّم ولدِه: «لِيَكُنْ أَوَّلُ إِصْلَاحِكَ لِوَلَدِي إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ عُيُونَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ؛ فَالحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ، وَالقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَ، عَلِّمْهُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا تُمِلَّهُمْ فِيهِ فَيَتْرُكُوهُ وَلَا تَتْرُكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ، رَوِّهِمْ مِنَ الحَدِيثِ أَشْرَفَهُ وَمِنَ الشِّعْرِ أَعَفَّهُ».

أيُّها المسلمون:

إنَّ التَّحلِّيَ بمحاسنِ الآداب، ومكارمِ الأخلاقِ، والهدي الحسنِ والسَّمتِ الصَّالح سمةُ أهلِ الإسلام، وإنَّ العلمَ والإيمان هما أثمنُ دُرَّة في تاجِ الشَّرعِ المطَهَّر.

وخيرُ العلومِ ما ضُبِطَ أصلُه، واستُذْكِر فرعُه، وقاد إلى اللَّه تعالى، ودلَّ على رضاه، ومدارُ الأعمال على النيات، ولا يَتِمُّ أمرٌ، ولا تحصُلُ بركةٌ إلَّا بصلاحِ القصدِ والنِّيَّة، والإخلاصُ للَّه تعالى في طلب العلمِ عُنوانُ الوقارِ، وسُموِّ الهمَّةِ، ورجحانِ العقل.

العلمُ نورٌ يَقذفُه اللَّه في القلب، يَزيدُ بالخشية، ويَضْعُفُ بالمعصية، وليس العلمُ أن تعرفَ المجهول، ولكن أن تستفيدَ من معرفتِه، فالعلوم ما وُضعَتْ إلَّا لتهديَ إلى العلمِ النَّافع، فلا شرفَ لها في نفسِها، وإنَّما شرفُها بما يترتب عليها من عملٍ صالح وأثر حسن،

العلومُ النَّافعة تُصْلِحُ العقائد، وتُزكِّي النُّفوسَ، وتُهذِّبُ الأخلاق، وتكونُ بها الأعمالُ صالحةً مثمرةً للخيرات، فمن غرس العلم؛ اجتنى النباهة، ومن غرس الوقارَ؛ اجتنى المهابة.

فالعلمُ النَّافعُ حقّاً هو الذي يُرى أثرُه على صاحِبه نوراً في الوجه، وخشيةً في القلب، واستقامة في السُّلوك، وصدقاً مع اللَّه وصدقاً مع النَّفس ومع النَّاس.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه رافعِ أهلِ العلم درجات، والمُفضِّلِ ذوي العلمِ في الحياةِ والممات، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ مَنْ علَّمَ وهَدَى، وعلى آله وأصحابِهِ ومَنِ اسْتنَّ بسنَّتِه وبِهَدْيِه اهتدى.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فإنَّ مَنِ اتَّقى اللَّه وَقَاه، ومَنْ توكَّلَ عليه كفاه.

أيُّها المسلمون:

من أورثه اللَّه علمَ الكتابِ والسُّنَّةِ فقد اصطفاه، يقول ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (متفق عليه)، فعليكم بالعلمِ النَّافعِ والسَّمتِ الحسن، داوموا على السَّكينةِ والوقارِ، والخشوعِ والتَّواضع، واطلبوا العلمَ من ينابيعه ومناهله الصافية، اطلبوا من العلم آكدَه وأوجبَه، وأغزرَه نفعاً، وأقربَه طريقاً إلى رضا ربكم، تكونوا من سادات الأُمَّة.

والعلمُ أكثرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ به، والعاقلُ يأخذُ منه أحسنَه، فالنَّبيلُ يكتب خيرَ ما يسمع، ويحفظُ أحسنَ ما يكتب، ويُحدِّثُ بأحسنِ ما يحفظ، ولا تُكابِرِ العلمَ فإنَّه أودية، فأيُّها أخذتَ فيه قطعَ بك قبل أن تَبْلُغَه، ولَكِنْ خُذْهُ مع اللَّيالي والأيَّام، ولا تأخذِ العلمَ جُمْلَةً فإنَّ مَنْ

رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عنه جُمْلَة ولكنَّ الشَّيءَ بعد الشَّيءِ مع الأيَّامِ واللَّيالي، وداوِ بدواءِ الإخلاصِ عليلَ العملِ القليل.

فالعلمُ لا يُنال إلَّا على جِسْرٍ من التَّعبِ والمشقَّة، ومن لم يتحمَّلْ ذُلَّ التَّعلمِ ساعةً؛ تجرَّعَ كأسَ الجهل أبداً، تَلَقَّ العلمَ عن أهلِه؛ فمن دخل في العلم وحدَه خرج وحدَه.

تَحَلَّ بالنظرِ والتفكُّرِ في نصوصِ الشرع، والتأمُّلِ في مقاصدِ الشَّريعة، والْجَأْ إلى اللَّه في الطَّلبِ والتَّحصيل، وافزع إليه وحده في الدُّعاءِ واللُّجوءِ إليه، والانكسارِ بين يديه، والعلمُ خزائنُ، ومفاتيحُها: السُّؤالُ، ومَنْ عَمِلَ بما علم أورثه اللَّه علمَ ما لم يعلم.

وإذا تعلَّمَ الإنسانُ، وحَصَّل قدراً من العلم، فلْيَعْلَمْ أنه قليلٌ بجانبِ ما جهل، فلا يَدْخُلْه العُجبُ، ولْيَعْلَمْ أنه لا سبيلَ إلى الإحاطةِ بالعلم كلِّه، فلا غضاضةَ عليه أن يجهلَ بعضَه، ولا ينبغي أن يُجَهِّل من نفسِه مبلغَ علمِها، ولا أن يتجاوزَ بها قدرَها.

فتعلَّموا العلمَ؛ تعرفوا أحكامَ دينِكم، وتفوزوا بما وعد ربّكم من الخير في العاجلِ والآجل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بأمرٍ بَدَأَ فيه بنفسِه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

اللَّهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ ...

العِلْمُ وَثَمَرَتُهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه نورُ البصائر، وبها تحيَا القلوبُ والضَّمائِر.

أيُّها المسلمون:

عبادةُ اللَّهِ وحدَه هي حكمةُ الخلق والأمر، ولأجلِها بُعِثَتِ الرُّسُل وأُنزِلَت الكُتُب، وبها شَرفُ الخلق وسعادتُهم وفلاحُهم ونجاتُهم، ومنازِلُ العباد عند اللَّه بحسب منازِلهم فيها ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

ومِن فضلِ اللَّهِ وكرمِه: أَنْ نوَّع العباداتِ؛ لِيُنَوِّعَ لخلقِه اللذَّات، ويُعلِيَ لهم بها الدَّرجات، وعبادةٌ في الدِّين عظيمةٌ سابقةٌ لغيرها،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومُصحِّحةٌ لِمَا سِواها، الظَّافرُ بها فائزٌ، والمُفرِّطُ فيها نادِم، امتدحَ اللَّهُ أهلها، وفضَّلهم لأجلها، تهدِي العبدَ إلى ربِّه، وتُنيرُ له دروبَ حياتِه، كمالُ الإنسان ونجاتُه مُتوقِّفٌ عليها، وما عُبِد الرَّبُّ بمثلِها؛ فبِها يُعرَفُ ويُعبَدُ، ويُذكرُ ويُمجَّد، وتُعلمُ حُقُوقُ الخالِقِ والمخلُوقين، ويُميَّزُ الحلالُ من الحرام، تُؤْنِسُ صاحبَها في الخلوَة، وتُذَكِّرُه عند الغَفْلَة، طلبُها طاعةٌ، وبذلُها قُربةٌ، زينةٌ لأهلها، وأمانٌ لأصحابِها، تُنيرُ القلوبَ والبصائِر، وتُقوِّي الأذهانَ والضمائِر، أهلُها للأرض كالنُّجوم للسَّماء، فَبِهم يُقتَدى، وهم زينةٌ للبَرِيَّةِ وجمالُها، وحِصنُ الأمة ودِرعُها، ولولاهم لطُمِسَت معالمُ الدِّين.

بها صلاحُ الأمَّة ورِفعتُها، واستقامةُ النُّفوس وزكاتُها، وهدايةُ البشريَّة وسعادتُها، وتحصينُ الأجيال وسلامتُها، الحاجةُ إليها فوقَ كلِّ الحاجات، وبدونِها خرابُ العالَم وفسادُه، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاسُ أَحْوَجُ إِلَى العِلْمِ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ لِأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَالعِلْمُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ».

أُمَّتُنا أُمَّةُ علمٍ، أوَّلُ آيةٍ أُنزِلَت في الحثِّ عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ هَذِهِ الآيَاتُ الكَرِيمَاتُ المُبَارَكَاتُ، وَهُنَّ أَوَّلُ رَحْمَةٍ رَحِمَ اللَّهُ بِهَا العِبَادَ، وَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ»، سمَّى اللَّهُ نفسَه بالعَلِيم، ووصفَ نفسَه بالعِلْم، وتعرَّف إلى خلقِه به؛ فقال: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،

والرِّسالةُ كلُّها علمٌ وعمل، فالعِلْمُ شطرُها؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: بالعِلْمِ النَّافع ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالعَمَلِ الصَّالِح.

لا شيءَ أطيَبُ للعبد وأصلَحُ لقلبِه من محبَّة اللَّه، ولا سبيلَ إلى ذلك إلَّا بالعِلْمِ، هو الحكمةُ التي يُؤتِيها اللَّهُ من يشاءُ من عبادِه، قال سبحانه: ﴿يُؤۡتِى ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِىَ خَيۡرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

امتنَّ اللَّه على آدمَ عليه السلام، وأظهرَ فضله على الملائكة بِعِلم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

واصطفى اللَّه سبحانه بالعلم أنبياءَه ورُسُله ومَنْ شاءَ من خَلْقِه، فبشَّرتِ الملائكةُ امرأةَ إبراهيمَ بإسحاقَ غُلامٍ عليم، ويُوسُف عليه السلام قال اللَّه عنه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾، وتحدَّث بنعمةِ اللَّه قائلاً: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، ومُوسى عليه السلام أُكرِم بذلك، فقال اللَّه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾، وقال عن داودَ وسليمانَ عليهما السلام: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ﴾، وذكَّر به عيسى عليه السلام فقال: ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِى عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلًاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ﴾، والخضرُ لَمَّا فضَّله اللَّه بعلم ليس عند غيرِه رَحلَ إليه نبيٌّ من أُولي العزم ﴿فَوَجَدَا عَبۡدًا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا﴾، وجنودُ

سُليمان عليه السلام كان أقواهم أعلمهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

وعدَّد اللَّهُ نِعَمَهُ على رَسولِه ﷺ، وجعلَ العلمَ من أجلِّها قدراً، فقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾، ولم يأمُرْه سبحانه بالاستِزادة من شيءٍ إلَّا من العلم؛ فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

العلمُ ميراثُ الأنبياء، والوارِثون لِعِلْمِهم خيرُ الخلق بعدَهم، وأقربُ النَّاسِ إليهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» (رواه الترمذي)، استشهَدَ اللَّه أهلَ العلم على أُلوهيَّتِه، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾، وبالعلمِ يُخشَى اللَّهُ ويُطاع ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، قال الزُّهريُّ رحمه الله: «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ العِلْمِ».

نَيلُه خيرٌ وفلاح؛ «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» (متفق عليه)، وخيارُ النَّاسِ أعلمُهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**» (متفق عليه).

العِلْمُ ميزانُ تفاوُتِ الأعمالِ ودرجاتِها، وبه صلاحُ النَّفس وزكاتُها، ولَنْ تصفُوَ للمرءِ عقيدتُه، ولن يُحقِّقَ الإخلاصَ لربِّه إلَّا بالعلمِ، قال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ فبدأ بالعلمِ قبل القول والعمل.

وما دامَ العلمُ باقياً في الأرض فالناسُ في هُدىً، ومن عبَدَ اللَّه بغير علمٍ كان ما يُفسِدُ أكثرَ ممَّا يُصلِح، وما فشَا الشِّركُ والبدعةُ إلَّا لقلَّة العلم والبُعدِ عن أهله، والضَّلالُ ثِمارُ الجهل؛ ولذا أمرَنا اللَّهُ بالاستِعاذة من طريقِ أهلِ الضَّلال في كلِّ ركعةٍ من صلاتِنا: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، واللَّهُ نفَى التَّسوِيةَ بين أهل العلم وغيرِهم، فلا يستوُون كما لا يستوِي الحيُّ والميِّتُ، والأعمَى والبصيرُ، قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

بالعِلْم حياةُ العباد ونورُهم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، وحُسنُ السَّمت، والفقهُ في الدِّين من أخصِّ صِفات المُؤمنين، فصُدورُهم مُستنيرةٌ بالعلم: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، وخصَّ اللَّهُ أهلَ العلم بتعقُّلِ أمثالِ القرآن العظيم وإدراكِ معانيها: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

الرَّحمةُ تَغشَى مجالِسَ العِلْم، والسَّكينةُ تتنزَّلُ عليهم، والملائكةُ تحُفُّ أهلها؛ «**وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ العِلْمِ**» (رواه الترمذي)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي العِلْمِ إِلَّا القُرْبُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالِالْتِحَاقُ بِعَالَمِ المَلَائِكَةِ، وَصُحْبَةُ المَلَأِ الأَعْلَى، لَكَفَى بِهِ فَضْلاً وَشَرَفاً، فَكَيْفَ وَعِزُّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَنُوطٌ بِهِ، وَمَشْرُوطٌ بِحُصُولِهِ؟!».

أهلُ العِلْمِ باللَّهِ وبأمرِه ونهيِه هم للأمَّة خيرُ قُدوة، نَفعُهم مُتعدٍّ إلى غيرهم بعد نفعِ أنفُسهم، ولهذا الكلُّ يُثنِي عليهم، ويدعُو لهم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ - حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ - لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ» (رواه الترمذي).

السَّعيُ في تحصيلِه من العمل في سبيلِ اللَّه، قال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «مَنْ رَأَى الغُدُوَّ وَالرَّوَاحَ إِلَى العِلْمِ لَيْسَ بِجِهَادٍ؛ فَقَدْ نَقَصَ فِي عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ»، التَّنافُسُ فيه محمودٌ، فلا حسَدَ إلَّا في اثنتَين: مُحسنٍ بعملِه أو مالِه، وما عداهُ لا يُغبَطُ أهلُه عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» (متفق عليه)، وقد تظاهَرَ الشَّرعُ والقدرُ أن الجزاءَ من جنسِ العمل، والعلمُ يدلُّ على اللَّه، فمن سلَكَ طريقَ العِلْم؛ وصلَ إلى اللَّه وإلى الجنَّةِ من أقربِ الطُّرق وأسهَلها، قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ» (رواه مسلم).

العِلْمُ الشَّرعيُّ حِصنٌ للأُمَّة من الفِتَن، قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «إِنَّ أَقْوَاماً ابْتَغَوُا العِبَادَةَ وَأَضَاعُوا العِلْمَ، فَخَرَجُوا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَسْيَافِهِمْ، وَلَوِ ابْتَغَوُا العِلْمَ لَحَجَزَهُمْ عَنْ ذَلِكَ»، ولعظيم نفعِه جاء الأمرُ بإبلاغِه ونشرِه في الآفاق؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (رواه البخاري).

واللَّهُ أمرَ بسُؤال أهل العلم والرُّجوعِ إليهم: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ودعا النَّبيُّ ﷺ لأهله بالنَّضارة - وهي البهجةُ، وحُسنُ الوجه، والفرحُ، وانشِراحُ الصَّدرِ -، فقال: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» (رواه الترمذي)، ودعا النَّبيُّ ﷺ لمن يُحِبُّه أن يكونَ من أهل العلم؛ فقال لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» (رواه البخاري).

بالعلم رِفعةُ الدَّرجات في الحياة وبعد الممات؛ قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ، فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ»، ونفعُه يلحَقُ صاحبَه بعد الموت، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» (رواه مسلم).

وأفضل العِلْم وأجلُّه - وهو المَمْدُوحُ في النُّصوصِ -: ما نَبَعَ من الكتابِ والسُّنَّة، وأعظمُه: العلمُ باللَّهِ وأسمائِه وصفاتِه، وهو الغايةُ من خلقِ اللَّه وأمره؛ قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾.

ويجبُ على كُلِّ مُسلمٍ السَّعيُ في تحصيلِ الفرضِ من العِلْمِ، والذي يُصحِّحُ به توحيدَه وعبادتَه - من صلاتِه وصومِه وغيرِهما -، وأن يَبذُل زمناً من وقتِه في ذلك، ولا يَستثْقِلُ حِلَقَه ومجالِسَه، وعلى

طالبِه تعظيمُ قَدْره، وسُؤالُ اللَّهِ النَّافعَ منه، مع حُسن الظَّنِّ به سبحانه، ومُلازمةِ التَّقوى؛ فهي خيرُ عونٍ لنَيلِه، وأن تكون نيَّتُه خالِصةً لوجهِ اللَّه، لا يُمارِي بعلمِه السُّفَهاء، ولا يُجادِلُ به العلماءَ، ومن عمِلَ بما علِمَ؛ أورثَه اللَّهُ علمَ ما لم يعلَم.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فقد وعدَ اللَّهُ أنَّ مَنْ طلبَ العلمَ: يسَّرَه له، وأعطاه منه، ما لَمْ يَحْتَسِبْه - بكرمِه سبحانه -؛ فقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾.

وطريقُ العلم سهلٌ يسيرٌ؛ حفظٌ لكتاب اللَّه العظيم، وشيءٍ من سُنَّة النَّبيِّ ﷺ، ومُختاراتٍ من مُتون أهل العلم، مع فهمِ ما تقدَّم والعملِ به، ومَنْ زادَ في طلبِه؛ زادَت رِفعَتُه، وبهذا يَنالُ المرءُ رِضا اللَّه وأعالِي الجِنان.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

العلماءُ باللَّهِ وبأمره ونهيِه من السَّابِقين واللَّاحِقين لا يُذكَرون إلَّا بالجَميل، فحقُّهم على الأمَّة عظيم - من محبَّتهم، واحتِرامِهم، وتوقيرِهم، والرُّجوعِ إليهم، والأخذ عنهم - وتعظيمُ أهل العلم من تعظيم الدِّين، فهم حمَلَتُه والمُؤتَمَنون عليه، ومن حادَ عن هذا الطَّريق فقد ضلَّ سواءَ السَّبيل، وبُغضُهم ومُعاداتُهم نقصٌ في العقل، وانحِرافٌ عن الفِطْرَة، ومُؤْذِنٌ بحربِ اللَّه وعقوبتِه؛ قال اللَّه تعالى في الحديث القُدْسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» (رواه البخاري)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الإِمَامَانِ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: إِنْ لَمْ يَكُنِ العُلَمَاءُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

نَصَائِحُ لِلطُّلابِ وَالمُعَلِّمِينَ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَطْلَبُ التَّقوى في مخالفةِ الهوى، وحلولُ الشَّقاء في البُعدِ عن الهدى.

أيُّها المسلمون:

لقد عُنِي الإسلام بالعلم أبلغَ عناية وأتمَّها؛ دعوة إليه وبياناً لآدابه وتوضيحاً لآثاره وترهيباً من الإعراض عنه، وفي إشراقة فجر الإسلام كان الاهتمامُ في أوَّليَّاته بتوسيع مدارك الإنسان: بالارتشاف من معين العلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

فانطلق العلمُ في هذه الأُمَّة مُسْتَعاناً ببسم اللَّه، وكفى به إعانة، وهو ميراثُ النُّبوَّة: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وطالِبُه في مصافِّ الشُّرفاء،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث من شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومنظوم في سلك العظماء: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾، سُلوكه توفيقٌ للخُلْد في الجِنَان؛ يقول ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ» (رواه مسلم).

والخَلْقُ عنه راضون، ولصنيعه مستغفرون، والملائكة لمُجَالَسَةِ أهلِه راغبون؛ يقول المصطفى ﷺ: «وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ» (رواه أبو داود)، المُتبحِّرُ فيه قمرٌ يُضاءُ الكونُ بنورِه؛ «وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (رواه الترمذي).

طلبُه للَّه عبادة، ومعرفتُه خشية، ومذاكرتُه تسبيح، وبذلُه لأهلهِ قربة، به يُعرفُ اللَّه ويُعبد، وبه يُحمدُ ويُوحَّد، أنيسٌ في الوحدة وصاحبٌ في الخلوَة، به توصلُ الأرحام، ويُعرفُ الحلالُ والحرام، أفضلُ مُكتَسبٍ، وأشرف مُنْتَسَبٍ، وأَنفسُ ذخيرةٍ تُقْتَنى، وأطيبُ ثمرةٍ تُجْتَنى، يقول بِشْرُ الحافيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ».

تعلُّمه إحياءٌ للدِّين وإذلالٌ للشَّيطان، دليلٌ على الخير وعونٌ على المروءة، يقول ابن عُيَيْنَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ طَلَبَ العِلْمَ؛ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ»،

المهدي إليه ممنون بالخير، يقول ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (متفق عليه).

أيُّها المسلمون:

لا صلاحَ للنَّفس إلَّا بعبوديتها للَّه، والعلمُ عبادة من العبادات، والنِّيَّة هي الأصلُ فيها، فصَحِّح النِّيَّة في قصد الطَّلب بإرادة رضا الرَّبِّ، ولا تَزِغْ بالنِّيَّةِ إلى الحُطام فتهْلِكَ، في الحديث: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ - يَعْنِي: رِيحَهَا -» (رواه أبو داود).

وطلبُ العلمِ بلا نيَّة طاقةٌ مُهْدَرة، وجهدٌ مُبَعْثَر، لا يُنالُ من ورائه ثوابٌ، بل صاحبه معرَّض للوعيد والحساب، وكلُّ علمٍ لا يقودُ صاحبه إلى خشية اللَّه؛ يُخشى على طالبه، والعلم والعمل متلازمان، والفضائلُ الكاملةُ في الجمع بينهما، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السَّامعون، ولْيَكُن قلبُك سليماً نائياً عن رديء الأخلاق وذميم الصِّفات.

وابدأ في مطلَع الطَّلب بحفظ كتاب اللَّه متقناً مع التدبر، وقد أوعبت الأُمَّة في كلِّ فنٍّ من فنون العلم إيعاباً، فمن نوَّر اللَّهُ قلبَه هداه بما يَبلُغُه من ذلك، فاحفظ في كل فنٍّ مختصراً، ثم انتقل إلى المَبْسُوطَات من الشُّرُوح، وخُذْ عن الأحسن تعليماً، واعْتنِ بالأهم من العلوم وتَبحَّرْ فيها، وخذِ العِلْمَ من أهلِه - من شيخ يُقتدى به في العِلْم والعَمَل -، يقول مُحمَّدُ بن سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ هَذَا العِلْمَ دِينٌ؛ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»، واخْتَرْ في طريقك رفيقاً يُعينُك إذا انثنيت،

ويقَوِّي هِمَّتك إذا ضَعُفت، وابتعد عن صحبةِ البَطَّالِين، واغتَنمْ زمن الصِّبا في التَّحصيل؛ فإنَّه أحضر للقلب وأَجْمَع للفِكْر، إنَّ الدينَ كلَّه عِلْمٌ بالحقِّ وعمل به.

والعِلْمُ والعَمَلُ لا مَنَاصَ من الصَّبرِ عليهما، والصَّابرُ موعودٌ بالجِنَان: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، ولا يُنالُ العلمُ إلَّا بالصَّبر على المكارِهِ، وبذْلِ النُّفوس في طلبه والتَّفاني فيه، وبالنظر إلى عواقب الأمور يهونُ الصَّبرُ عن كلِّ ما تشتهي وما تكره.

أيُّها المتعلِّم:

العِلْمُ لا يُنالُ إلَّا بِالتَّواضع وإلقاءِ السَّمْع؛ فاحْتَرِمْ معَلِّمَكَ وجُلَّ قَدرَه بالتَّأدُّب معه في الحديثِ والاستماعِ والهيئة، وسوءُ الأدبِ معه مروق من صفات المروءات والأعراف، وزيوغٌ عن سير الأسلاف، يقول الرَّبيع رَحِمَهُ اللهُ: «وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ»، واشْكُرْه على إرشاده لك وإصلاحه لحالِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاس.

ومِنْ مودَّةِ المُتَعلِّم بمُعلِّمِه: الاعتذارُ له ونَسْبُ العتب للنَّفس، وأحْسِنْ إليه الخطاب وتلطَّفْ في السُّؤال والجواب، واحذرِ المُبَاهَاة والمُمَارَاة، يقول الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يُمَارِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَحُرِمَ بِذَلِكَ عِلْماً كَثِيراً»، واصْغِ إلى حديثِ مُعلِّمِكَ ولا تَنثَنِ عن الاستفهامِ فيما أَشْكَلَ عليك من علوم الشَّريعة؛ فالسُّؤالُ عن الدِّينِ شرف، والنُّكولُ عن السُّؤال والبقاءُ على الجهل مهانة؛ تقول

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ! لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ».

واحذَرِ العوائقَ والآفات من مواصلة سير الطلب، فالحفظ والمدارسة لا تُحْمَدَانِ بحضرة الشَّواغلِ والصَّوارف، وفي المُلْهِيَاتِ الحضاريَّة المَحْظُورةِ والمَحطَّات الفضائيَّة إشغالٌ للأفكار وعَيشٌ في الأوهام، وهدرٌ للأوقات، وفي مجانبتها صيانةُ الدِّين وصفاءُ الأذهان وحفظُ الأزمان ومسابقةُ الأقران، فَنزِّهْ سمعَك وبصرَك عمَّا يُلَوِّثُ فِكْرَك، ويُسِيءُ إلى سلوكِك، ويُفْسِدُ أخلاقَك، فَتَنْبُذَ العلمَ ثم تعيشَ في الحضيض.

والرَّفيقُ قَرِينٌ ثان؛ فإن كان صالحاً؛ فقد أعان، وإن كانت الأخرى؛ فقد أفسد، فجانبْ جليسَ السُّوء، فهو يَفُتُّ عَضُدَ الطَّموح، ومردٍ لك في مصافِّ متأخِّري المجتمعات، فغايةُ البطَّالين إشغالٌ وتسويفٌ وتأميلٌ، والْزَمْ صحبةَ الصَّالحين فنِعْمَ العَوْنُ هم على أُمورِ الدُّنيا والدِّين، وحُثَّ رُفقاءَك على تحصيلِ العِلْم، وانْصَحْ لهم في الدِّين، ولا تحْسِدْ ذا نعمةٍ على نعمته بالحفظ والفهم، وَسَلِ المنعِمَ التَّوفيق دَوْماً؛ فالعَوْنُ من الوهَّابِ لا بالرُّكونِ إلى الأسباب.

أيُّها المعلِّم:

مسؤوليَّة التَّعليمِ عظيمة، والأمانة المُلقاة على عواتقِ أهله كبيرة، فما طريق المعلِّمين ولا مُهِمَّتِهم يسيرة؛ فلقد تحمَّلوا الأمانة وهي ثقيلة، واستحقُّوا الإرث وهو ذو تبعات، والأُمَّة ترجو منهم جيلاً شديد العزم

سديد الرَّأي، فأنتم حُمَاةُ الثُّغور ومُرَبُّو الأجيال وسُقَاةُ الغَرْسِ، وأصحابُ رسالةٍ شريفة، فمُعلِّمُ النَّاسِ الخيرَ يُصلِّي عليه اللَّهُ وملائكتُه ويَسْتغفرُ له كلُّ شيءٍ حتَّى الحيتانُ في جوف البحر، والطيرُ في جوِّ السَّماء، والمُعلِّم مُرشدٌ يتأسَّى بالأنبياء في التَّعليم ويسيرُ على خُطَا المرسلين؛ فأخْلِصِ النِّيَّة للَّه، واستحضرْ فضلَ العلم والتَّعليم في إحياء الشَّريعة وحفظِ مَعَالِمِ المِلَّة، وكُنْ قُدْوةً في الخُلُق والدِّين، وانصح للمُتعلِّم والتَّعليم.

ومن هَدْيِ المصطفى ﷺ: الرَّأفةُ بالمُتعلِّم صغيراً أو كبيراً، وحديث بولِ الأعرابي جَليٌّ في ذلك، وَاسْعَ إلى تأليف قلوب أبناء المسلمين على البرِّ والتَّقوى، وأَبْعِدْ عنهم أسباب العداوة، ولْيَكُنْ تأثيرُك بالصَّلاحِ على طُلَّابِك ظاهراً؛ فتَأثُّرِ المُتعلِّمِ بك قد يَرْبُو على تَأَثُّرِ الابنِ بوالده، وكُنْ حليماً في التَّعليم، فالحِلْمُ من شِيَم الصَّالحين، واصبِرْ على ما تُلاقيه منهم؛ ففي الغِراسِ مشقَّةٌ، وفي القَطْف أجرٌ ومثوبة، ولا تَحقرنَّ أحداً من طُلَّابِكَ ولو ضَعُفَ إدراكُه وقلَّ تحصيلُه، فـ«**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**» (رواه مسلم).

واعدِلْ بين طلابك في المعاملة والنَّظْرة والثَّواب والعقاب، وإيَّاك والظُّلم والانتصار للنفس، يقول شيخ الإسلام ﷺ: «كُلُّ مَنْ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَهُوَ قَاضٍ حَتَّى الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ الصِّبْيَانِ فِي الخُطُوطِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَعُدُّونَهُ مِنَ الحُكَّام، وَحَدِيثُ: «**القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ**» يَدْخُلُ فِيهِ المُعَلِّمُ».

إنَّ تحصين الطُّلاب بعلوم الشَّريعة مطلَب شرعيٌّ ولو كانت وِجْهَتُهم في التَّعليم إلى غير العلوم الدِّينيَّة، فالعلوم الشَّرعيَّة تُضْفي على المُتعلِّم طُمأنينة وسعادة وراحة في سني التَّعليم؛ يقول ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾، ويَقْبُحُ بالمرءِ إلمامُه بالعُلومِ الطَّبيعيَّة وجهلُه بمُسلَّماتِ الشَّريعة، وتزدادُ حاجته إلى علوم الدِّين مع مصارعته للفتن وتلاطم أمواج الإحن، والمسلم متميزٌ في علومه وسعة أُفُقه، مؤيَّد بنور الإيمان، يربط الدُّنيا بالآخرة وما في الكون بوحدانيَّة اللَّه.

أيُّتها المُعلِّمة والمُتعلِّمة:

القَرَارُ ولزومُ البيتِ للمرأة مطلَبٌ شرعي، وخروجُ المرأةِ من دارها للتَّعليم مشروطٌ بالسَّير وَفقَ الضوابط الشَّرعيَّة، فكوني لأمر ربِّك معتزَّة، فالحجاب عبادة، والنِّقاب مَنْقَبَة، وجمال المرأة في حشمتها، وبَهَاؤها في عفَّتها، وكوني داعيةً إلى اللَّه بالتَّمسُّك بالدِّين، وإيَّاكِ والولوغ في أعراض المسلمين - غيبةً ونميمةً واستهزاءً -، واحذري الكِبْرَ والخُيلاء والمباهاة، واجعلي مراحلَ التعليم زيادة لك في الإيمان، ودُروساً حيّةً في إصلاح الأجيال.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

آفةُ العِلْمِ: الإعجابُ والغضبُ، وحِليتُه: الحِلْمُ والتَّواضعُ؛ والسَّعيدُ مَنْ عرف الطَّريق إلى ربِّه وسَلَكَهَا قاصداً الوُصولَ إليه، وهذا هو الكريم على ربِّه، والمَحرُومُ مَنْ عرف طريقاً إليه ثمَّ أعرض عنها.

وجِماعُ الخيرِ أن تستعينَ باللَّهِ في تلقِّي العلمِ الموروثِ عن النَّبيِّ ﷺ، والعلمُ النَّافعُ هو أصلُ الهدى، والعملُ بالحقِّ هو الرَّشاد، والضَّلال: العملُ بغيرِ علم، والغيُّ: اتِّباعُ الهوى، ولا يُنال الهدى إلَّا بالعلم، ولا يُنال الرَّشاد إلَّا بالصَّبر.

وأصل السَّيِّئات: الجهلُ وعدمُ العلم، والكسلُ عن الفضائل بئس الرَّفيق؛ فتهيأ إلى أسباب العلم بتنقية النَّفس من العجز واتِّباع الهوى، والتَّواضعُ للعلماء إكرامٌ للنَّفس من الإهانة، واندَمْ على ما مضى من التَّفريط، واجتَهِدْ في اللَّحاقِ بأهل الفضل والعزائم ما دام في الوقت سَعة، وفي العُمُر فُسْحة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

العِبَـــادَةُ

أَعَالِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّهِ نورُ البصائر، وبِهَا تَحْيَا القلوبُ والضَّمائر.

أيُّها المسلمون:

اتَّصَفَ اللَّه ﷻ بالأسماء الحسنى وبالصِّفات العُلا، وهو سبحانه يُحِبُّ مُقتضَى صفاتِه وظهورَها في العبادِ، وأفعالُ اللَّهِ تعالى على التَّمام والكمال؛ فخلقَ الخلقَ وأتقنَ ما صَنع: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾، وأنزلَ كتابَه فأحكَمَ ألفاظَه وفصَّلَ معانِيَه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، واللَّهُ تعالى مُحسِنٌ وأمرَ عبادَه بالإحسان، فقال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، قال البغويُّ رحمه الله: «أَيْ: أَحْسِنُوا أَعْمَالَكُمْ وَأَخْلَاقَكُمْ».

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر صَفَر، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وإحسانُ العملِ واجبٌ على كلِّ عبدٍ؛ قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**» (رواه مسلم)، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «أَيْ: كَتَبَ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ الإِحْسَانَ»، وأَثنى النَّبيُّ ﷺ على مَنْ أحسنَ عمله؛ فقال: «**خَيْرُ النَّاسِ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**» (رواه الترمذي).

وكانت أعمالُ الرُّسُلِ على الإتقانِ وكمالِ النُّصح؛ فنوحٌ عليه السلام دعَا قومَه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عاماً ليلاً ونهاراً، ثم دعاهم جِهاراً، ثمَّ أعلنَ لهم وأسرَّ لهم إسراراً، وأثنى اللَّه على إبراهيم بقولِه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، قال قتادةُ رحمه الله: «وَفَّى طَاعَةَ اللَّهِ وَأَدَّى رِسَالَتَهُ إِلَى خَلْقِهِ».

وحياةُ النَّبيِّ ﷺ كانت على تمام المِثالِ والإحسان، وأمرَ اللَّهُ العبادَ بالاقتِداء به، فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

ومِنْ فضل اللَّه على عباده: أنْ نوَّع لهم الطَّاعات اعتِقاداً وعملاً وقولاً، وجعلَ أعظمَ الثَّوابِ للمُحسنين، قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «مَا لِمَنْ أَحْسَنَ العَمَلَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الإِحْسَانُ إِلَيْهِ فِي الآخِرَةِ».

وإذا حسُنَ مُعتقدُ العبدِ ضُوعِفَت أجورُه؛ قال ﷺ: «**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ؛ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا**» (متفق عليه)، ومَنْ قال كلمةَ التَّوحيدِ بيقينٍ، وعمِلَ بمُقتضاها بصدقٍ وإخلاص، واجتنَبَ نواقِضَها؛

حرَّم اللَّه وجهَه عن النَّار؛ قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» (متفق عليه).

وإذا حقَّقَ العبدُ منزلةَ التَّوكُّل وفوَّضَ جميعَ أموره للَّه؛ أدخله اللَّه الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ؛ «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (متفق عليه).

وأكملُ مراتِبِ الدِّينِ: مَرتَبةُ الإحسان؛ لاشتِمالِها على الصِّدقِ ظاهراً وباطناً: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (رواه مسلم).

وإذا أتقنَ المُسلمُ عبادتَه نال ثواباً جزيلاً؛ فمَنْ توضَّأَ فأسبغَ الوضوءَ ثمَّ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (رواه مسلم).

ورفعُ الصَّوتِ بالأذان مُستحبٌّ؛ «فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه البخاري)، ومَنْ قال مثلَ قول المُؤذِّن «مِنْ قَلْبِهِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه مسلم).

و«إِقَامَةُ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ» (متفق عليه)، و«خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا»، ومِن السَّبعَة الذين يُظِلُّهم اللَّه في ظِلِّه: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ» (متفق عليه).

وإحسانُ الصَّلاة ثوابُها مُتوالٍ؛ فـ«مَا مِن امْرِئٍ مُسْلم تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» (رواه مسلم)، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «التَّكْفِيرُ بِسَبَبِ الصَّلَاةِ مُسْتَمِرٌّ فِي جَمِيعِ الأَزْمَانِ، لَا يَخْتَصُّ بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ».

و«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (رواه مسلم)، و«رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (رواه مسلم)، و«صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا المَكْتُوبَةَ» (رواه أبو داود)، «وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ» (رواه مسلم).

وللأمواتِ حقٌّ في الإحسانِ إليهم؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ» (رواه مسلم)، وقال عن صفةِ قبرِ الميِّت: «احْفِرُوا وَأَعْمِقُوا وَأَحْسِنُوا» (رواه النسائي).

والبذلُ والعطاءُ ليس المنفقون في أجره سواءً؛ فأفضلُ الصَّدَقَة: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ» (متفق عليه)، وإخفاؤُها خيرٌ من إظهارِها، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ومن السَّبعةِ الذين يُظلُّهم اللَّه في ظلِّه: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (رواه البخاري).

والصِّيامُ وجزاءُ الصَّائمين على درجاتٍ؛ فـ«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، وأحَبُّ الصَّائمين إلى

اللَّهِ: «أَعْجَلُهُمْ فِطْراً»، وأحبُّ صيامِ النَّافلة: صيامُ داود عليه السلام؛ «كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً» (متفق عليه)، و«أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ» (رواه مسلم).

«وَالحَجُّ المَبْرُوْرُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» (متفق عليه).

وأجلُّ العلوم: علمُ الشَّريعة، قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وأسهلُ طريقٍ إلى الجنَّة: سُلُوكُ طريق العلم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ» (رواه مسلم)، وأفضلُ أهلِ العلم: همُ الرَّاسِخون فيه بالحفظِ والفهمِ والعملِ، قال التِّرمذيُّ رحمه الله: «إِنَّمَا تَفَاضَلَ أَهْلُ العِلْمِ بِالحِفْظِ وَالإِتْقَانِ»، وخيرُ المُتعلِّمين مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه، ومَنْ حفِظَ حديثاً وبلَّغَهُ للنَّاس دعَا له النَّبيُّ ﷺ بالنَّضَارة: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» (رواه الترمذي).

و«القَاعِدُ - فِي الفِتَنِ - خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً - أَيْ: هَرَباً مِنْهَا - فَلْيَعُذْ بِهِ» (متفق عليه)، و«العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ - أي: إِلَى النَّبِيِّ ﷺ -» (رواه مسلم).

وأعلى منازِل الصَّبرِ: ما كان برِضاً لا سخَطَ فيه ولا جزَع.

وأصدقُ الحديث: كتابُ اللَّه، والمَاهِرُ به مع السَّفَرةِ الكِرامِ البَرَرة، ويؤُمُّ القومَ أقرؤُهم له، وكان النَّبيُّ ﷺ يجمعُ بين رجُلَيْن من

قتلَى أُحُدٍ ثمَّ يقول: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا؛ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ» (رواه البخاري).

وخيرُ ما تحرَّك به اللِّسانُ: ذِكرُ اللَّه تعالى، و«أَحَبُّ الكَلامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَر» (رواه مسلم)، و«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» (رواه مسلم)، وقولُ الدَّاعِيةِ إلى اللَّه على بصيرةٍ لا أحسنَ من قولِه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

والدُّعاءُ هو العبادة، والمُسلمُ يَتخيَّرُ من الدُّعاء أجمعَه، قال ﷺ: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» (رواه البخاري)، وفي الجُمُعة: «سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ - وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي - يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئاً؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (متفق عليه)، والدُّعاءُ في الثُّلُثِ الأخيرِ من اللَّيلِ لا يُردُّ.

و«المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» (رواه مسلم)، ومُعاملةُ الناس عبادةٌ، يرتقِي المؤمنُ بحُسنِ خُلُقه أعلى المنازِل، قال ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ» (رواه أبو داود).

وأفضلُ ردِّ السَّلام: ما كان أكْمَلَه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

و«مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» (رواه الترمذي).

وفاضلَ الشَّرعُ بين صِفاتٍ في النَّاس؛ فـ«خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (رواه مسلم)، وخيرُ الزَّوجَاتِ؛ ذَوَاتُ الصَّلاحِ منهنَّ؛ «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ» (متفق عليه).

وأنفعُ الأولادِ للوالِدَين: الولدُ الصَّالحُ الدَّاعِي لهما بعد مماتهما؛ «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (رواه مسلم)، و«مَنِ ابتُلِيَ مِنَ البَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ» (متفق عليه)، وأحبُّ الأسماء إلى اللَّه: عبدُ اللَّه وعبدُ الرَّحْمَن، وخيرُ الأُجَرَاءِ: القويُّ الأمين.

وبيَّن النَّبيُّ ﷺ أجملَ الطِّيبِ وأشرفَ المياه؛ فـ«أَطْيَبُ الطِّيبِ: الْمِسْكُ» (رواه الترمذي)، وسيِّدُ المياهِ: ماءُ زمزَم، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» (رواه مسلم).

وخَصَّ الدِّينُ أزمِنةً فاضِلةً يَتسابَقُ العبادُ إلى الطَّاعات فيها؛ فـ«خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ» (رواه مسلم)، و«أَعْظَمُ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ: يَوْمُ النَّحْرِ» (رواه أحمد)، و﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، وأفضلُ كلِّ ليلةٍ: الثُّلُثُ الأخيرُ منها، وخيرُ الشُّهورُ: شهرُ رمضان، وبُورِكَ لهذه الأُمَّة في بُكورِها.

والأماكنُ يَشرُفُ بعضُها على بعض؛ فأحبُّ البِقاعِ إلى اللَّهِ: المَساجِد، وأفضلُها: المسجدُ الحرام، ثم مسجدُ رسولِ اللَّه ﷺ، ثم المسجدُ الأقصى، ومجالسُ العلمِ: رياضُ الجنة.

وعلى هذا الأصلِ العظيمِ في الإسلام في إحكامِ الأعمال والإخلاصِ فيها سارَ سلَفُ الأمة؛ فصنَّفَ الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ صحيحَه في سِتةَ عشرَ عاماً، لا يضعُ فيه حديثاً إلَّا صلَّى للَّه ركعتَيْن، وقال: «جَعلْتُهُ - أَيْ: هَذَا الكِتَابَ - حُجَّةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالإسلامُ إحسانُ عبادةٍ وحُسنُ مُعاملة، والمُسلمُ مع إخلاصِ نيَّتِه فيها للَّه إنْ رأى خيراً ولو يسيراً عمِله، وإن كان فاضِلاً سابَقَ إليه، وإن كان شرّاً نأى عنه، وذوو الإيمان يرجُون أعلى ما عند الكريم منَ الجزاء؛ ذكرَ النَّبيُّ ﷺ يوماً أسماءَ أبوابِ الجنَّة، فقال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» (متفق عليه).

والنُّفوسُ إذا عَظُمَتْ طلبَتِ المعالِيَ وأحسنَتْ ظنَّهَا باللَّهِ.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

من إتقانِ العمل: المُداوَمةُ عليه، قال ﷺ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّبْرُ عَلَى المُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَالمُحَافَظَةِ عَلَى بِرِّ الوَالِدَيْنِ؛ أَمْرٌ لَازِمٌ مُتَكَرِّرٌ دَائِمٌ، لَا يَصْبِرُ عَلَى مُرَاقَبَةِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ».

والمسلم يُنوِّعُ من العبادات لِتَتَنوَّعَ لَذَّاتُه في الآخرة من النَّعيم، وجاءَ الشَّرعُ بِبَيانِ الفاضِلِ منها؛ لئلا يفوتَه شيءٌ منها، فيرتقِي بذلك إلى أعلى الجِنَان.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ وَأُجُورُهَا كَبِيرَةٌ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه ارتَقى درجات، وطابَ مآلُه بعد الممات.

أيُّها المسلمون:

إذا أرادَ اللَّه أن يُكرِم عبدَه بمعرفته وجَمْعِ قلبِه على محبَّته؛ شرَحَ صدرَه لقَبول صفاته، ومن صفاته سبحانه: الكرمُ بكثرةِ الخيرِ وجَزيلِ العطاء، ومن نُعوته: الشُّكرُ - يشكُرُ القليلَ من العمل بمُضاعفَة الثَّوابِ أضعافاً كثيرة -: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، وأقلُّ ما يُضاعِفُ به الحسنةَ عشرُ حسنات، وشَكرَ المؤمنين بجنَّاتِ النَّعيم، والمُسلمُ لا يَحْتقِرُ أيَّ عملٍ صالح، فلا يدري ما الذي يُدخِلُه الجنَّةَ منه، ومن

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

وصايا النَّبيِّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً» (رواه مسلم)، قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الحَسَنَةَ الَّتِي يَرْحَمُهُ اللَّهُ بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا».

وخصَّ سبحانه أعمالاً يَسِيرَةً بثوابٍ جَزيلٍ مُضاعَفٍ عندَه؛ فالتَّوحيدُ دينُ الفِطرة، وجزاءُ أهلِه الجنَّة، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه مسلم)، و«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه أبو داود).

وأثابَ سبحانه على فروعٍ في العباداتِ - يتكرَّرُ عملُها في اليوم واللَّيلة - بتكفيرِ الخطايا وفتحِ أبوابِ الجِنان؛ فجعلَ الطُّهورَ شَطْرَ الإيمان، والسِّواكَ مرضاةً له سبحانه، ومن توضَّأَ فأحسنَ الوُضوءَ؛ خرجَت خطاياهُ من جسدِهِ حتى تخرُجَ من تحت أظفاره، ومن فرَغَ من الوضوءِ وقال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (رواه مسلم)، و«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ؛ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» (رواه النسائي)، وجَعَلَ خُطواتِ الماشِي إلى الصَّلاة؛ إحداهما تحُطُّ خطيئةً، والأُخرى ترفَعُ درجةً، والمُنادِي بالأذان يُغفَرُ له مدَّ صوتِه ويَشهدُ له كلُّ رَطبٍ ويابِس، ومَنْ سَمِعَ المؤذِّنَ وقال مثلَ قولِه؛ كان له كَأَجرِه، وإذا قال المُؤذِّن: أشهد أنَّ

محمداً رسولُ اللَّه، فقال مَنْ سَمِعَهُ: «وَأَنَا أَشْهَدُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (رواه مسلم).

ولفضلِ الصَّلاة وعُلُوِّ منزلتِها كان ثوابُ الأعمالِ فيها عظيماً؛ فـ«مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ: أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (متفق عليه)، و«صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً» (متفق عليه)، و«مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» (رواه مسلم)، ومَنْ حافَظَ على صلاةِ العصر ضُوعِفَ له أجرُه مرَّتين؛ قال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» (رواه مسلم)، و«مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» (رواه مسلم)، وركعتان قبل الفجرِ: «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، و«مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ» (رواه مسلم)، وركعتان في الضُّحَى تُؤدِّي شُكرَ نعمةِ جَمِيعِ مفاصِلِ الإنسانِ في يومه.

وشرَعَ سبحانه أذكاراً جامِعةً في الصلاة أُجورُها مُضاعَفة؛ صلَّى رجلٌ خلفَ النَّبيِّ ﷺ؛ فلمَّا رفعَ رأسَه من الرُّكوع قال: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، فَقَالَ ﷺ: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا؛ أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ» (متفق عليه).

والتَّأمينُ مع الإمام آخرَ الفاتِحة يُغفَرُ لصاحبِهِ إن وافقَ تأمينَ الملائكة، و«مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ

ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ المِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (رواه مسلم)، و«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ» (رواه النسائي)، ومَنْ قال حين يَنْصَرِفُ من صلاة المغرب: «اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ؛ سَبْعَ مَرَّاتٍ»؛ نجَّاه اللَّه منها إن مات من ليلته، وإن قالها بعد الصَّبح ومات من يومه؛ نجَّاه اللَّه منها.

وكتابُه سبحانه مُبارَكٌ؛ مَنْ دنا منه ارتفَع، ومَنْ قرأَ حرفاً منه فله بكلِّ حرفٍ حسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِلُ ثُلُثَ القرآن، ومن أحبَّها دخلَ الجنَّة، قال رجلٌ من الأنصار: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ» (رواه البخاري)، ويُقالُ - يومَ القيامةِ - لِقارئِ القرآنِ: «اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» (رواه أبو داود).

والإسلامُ عظَّمَ أواصِرَ الأُخُوَّةِ والمودَّةِ بين المُسلمين، ورتَّبَ الأُجورَ الوَفيرةَ لمن قوَّاها؛ فما من مُسلِمَين يلتقِيَان فيتصافَحَان إلَّا غُفِر لهما، و«إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ المُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا» (رواه مسلم)، «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: صَدَقَةٌ» (متفق عليه)، و«مَنْ شَهِدَ الجِنَازَةَ حَتَّى

يُصَلِّيَ؛ فَلَهُ قِيرَاطٌ - وَالقِيرَاطُ: مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ -، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ؛ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ» (متفق عليه).

ومَنْ أَحْسَنَ إلى المُسلمين ونصرَ دينَ اللَّه نجَا وارتَقَى؛ فـ«مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ»، ومن كفَلَ يتيماً كانَ معَ رسولِ اللَّه ﷺ في الجنَّة، و«السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ» (متفق عليه).

والمُتصدِّقُ تعظُمُ صدقتُه عند اللَّه؛ فالتَّمرةُ يأخُذُها سبحانه ويُربِّيها حتى تكونَ مِثلَ الجبل، ومَنْ أَخْفَى صدقتَه ولو قَلَّتْ؛ أظلَّه اللَّه تَحتَ ظِلِّ عرشِه.

ومَنْ قال لصانِعِ المعروفِ: «جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» (رواه الترمذي).

وإصلاحُ ذاتِ البَيْن من الرَّحِم وغيرها أفضلُ من درجةِ الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ الحَالِقَةُ» (رواه أبو داود).

ولِعظيمِ حُرمةِ المُسلم عند اللَّه؛ مَنْ أبعدَ عنه ما يُؤذِيه؛ أدخله اللَّه الجنَّة، قال ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ» (رواه مسلم)؛ بل من أحسَنَ إلى البهائم فإنَّ اللَّهَ يشكُرُه؛ رأى رجلٌ كلباً يلهَثُ من العطش فسقاهُ ماءً، «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ» (متفق عليه).

وتكرَّم سبحانه باصطِفاءِ كلماتٍ معدودةٍ من الأذكارِ جَعلَ ثوابَها عظيماً:

فـ«الحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزَانَ».

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ».

و«سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»: «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ».

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ».

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ».

و«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ».

و«سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ»، قال عنها ﷺ: «أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (متفق عليه)، وقال لِجُويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وكانت تَذْكُرُ اللَّهَ مِنْ بعدِ الفجرِ إلى ارتِفاعِ الضُّحَى -: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (رواه مسلم).

و«مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مرَّةً؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً» (رواه مسلم).

ونِعَمُ اللَّه علينا تَتْرَى، و«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ» (رواه أبو داود).

واللَّهُ سبحانه يُحِبُّ المُسلِمَ ويُكرِمُه ويُدافِعُ عنه، وشَرَعَ أسباباً لِحفظِه من أعدائِه؛ فأنزلَ آياتٍ قصيرةً تَحْفَظُ المرءَ في ليله ونهارِهِ ومنزلِهِ ومنامِه؛ فالمُعوِّذتان ما تحصَّنَ مُتحصِّنٌ بمثلِهِما في صباحِهِ ومسائه، ومَنْ قرأَ في ليلةٍ الآيتين من أواخر سورة البقرة كفَتَاه من كلِّ شرٍّ، ومَنْ قرأَ آيةَ الكُرسي قَبْل نومِهِ؛ لم يزَلْ عليه من اللَّه حافِظٌ حتى يُصبح.

وشرعَ سبحانه أدعيةً مَنْ دعا بها - ولو ماشِياً - حفِظَه اللَّه من كلِّ مكروهٍ؛ فـ«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (رواه مسلم)، ومَن خرج مِن داره فقال: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ» (رواه الترمذي).

ودعاءُ مَنْ قاله وأَتْبَعَه بعمل صالحٍ أَدْخله اللَّه الجنَّة، وأعاذَه اللَّه من النَّار؛ قال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ» (رواه الترمذي).

واللَّهُ سبحانه يُنعِمُ على العبد بنِعَمِه السَّابِغة، وإذا تَمتَّعَ بها وشكَرَ اللَّهَ عليها غَفَرَ له ذنبَه؛ قال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (رواه الترمذي).

وبسَطَ سبحانه نفَحَاتِه في مجالسِ الناسِ بعد لغَطِهم فيها؛ لِتكونَ صحائِفُهم بيضاءَ نقيَّة، فـ«مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (رواه الترمذي).

واللَّهُ بِمَنِّهِ جعلَ أزماناً فاضِلَةً، منها ما لا تُرَدُّ فيه دعوةٌ؛ ففي كلِّ ليلةٍ يتفضَّلُ سبحانه على عبادِهِ بإعطائِهم ما سَأَلُوه؛ قال ﷺ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» (رواه مسلم)، و«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي؛ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؛ فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، وتَكَرَّم في آخر ساعةٍ من الجُمُعة بإجابةِ دعواتِ عباده.

وفي كلِّ عامٍ خصَّ ليلةَ القدرِ: بأنَّ العملَ فيها خيرٌ من ألفِ شهر، و«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وصومُ يومِ عرفة: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ»، وصيامُ عاشوراءَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ»، وصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ كصِيامِ سنةٍ، و«عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ: تَعْدِلُ حَجَّةً».

وفضَّلَ ﷻ أماكنَ خصَّها بمزيدِ مُضاعفةِ الحسنات؛ فصلاةٌ في المسجد الحرام خيرٌ من مئةِ ألفِ صلاةٍ، وصلاةٌ في مسجدِ رسولِ اللَّه ﷺ خيرٌ من ألفِ صلاةٍ، وصلاةٌ في المسجدِ الأقصى عن خمس مئةِ صلاةٍ، و«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ».

وفي زمنِ الفِتَنِ وتَلاطُمِ المِحَنِ يُضاعِفُ ﷻ ثوابَ الأعمال؛ فالقابِضُ على دينه في آخر الزَّمانِ له أجرُ خمسين من الصَّحابة، وقال النَّبيُّ ﷺ: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ - أَي: الفِتَنِ - كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» (رواه مسلم).

ومن عجَزَ عن عملٍ أو قولٍ لعُذرٍ - وهو صادقُ النِّيَّةِ في ذلك -؛ أعطاه اللَّه بكرمِهِ أجرَ العاملين وإن لم يعمَلْه؛ فـ«مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» (رواه مسلم)، ومَنْ تمنَّى أن عندَه مالاً ليتصدَّقَ به؛ نالهُ أجرُ المُتصدِّقين، ومن أحبَّ أحداً حُشِرَ معه وإن لم يكُن مِثله؛ قال أنسٌ ﵁: «مَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحاً أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ» (متفق عليه)، وإذا سافرَ العبدُ أو مرِضَ كتبَ اللَّهُ بفضلِهِ أجرَه صحيحاً مُقيماً.

والهمُّ والحُزنُ يحُطُّ الخطايا والأوزار؛ بل لعظيمِ فضلِ اللَّهِ: مَن همَّ بحسنةٍ ولم يعمَلها كُتِبَت له حسنةٌ كامِلة، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعمَلْها كتبَها اللَّهُ عندَه حسنةً كامِلة.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالمُوفَّقُ من فَقِهَ كرمَ اللَّهِ وشُكْرَه، وعمِلَ بمُقتضَى صفاتِه، وسابَقَ إلى الصَّالحات؛ لِيكونَ من السَّابقين إلى دخول الجَنَّات، ومَنْ نوَّعَ أعماله الصَّالِحة تنوَّعَت لذَّاتُهُ في الآخرة، والعملُ يَتضَاعَفُ بالإخلاصِ، ومِنْ علامةِ قَبُولِ الحسنةِ: الحسنةُ بعدها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مِن رحمةِ اللَّه بعباده: أن بعثَ إليهم رُسُلاً مُبشِّرين ومُنذِرين، ولم يَشُقَّ سبحانه على خلقِهِ بالابتِداعِ في الدين؛ بل بيَّن لهم ما يُحبُّه ويرتضِيه، وعلَّقَ القَبولَ بإخلاصِ العمل ومتابعة النَّبيِّ ﷺ فيه، ومَنِ ابتدَعَ فقد كلَّفَ نفسَه ما لَمْ يأذَنْ به اللَّه، وعملُه مردودٌ، ولا يجنِي منه سِوَى العَناءِ والإثم، قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ»، و«كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَهُمُّ بِالأَمْرِ وَيَعْزِمُ عَلَيْهِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى».

والمؤمنُ يَجمَعُ بين الإخلاصِ والاتِّباعِ، ويُكثِرُ من العملِ الصَّالحِ ما استطاع.

ثم اعلموا أن اللَّهَ أمركم بالصلاة والسلام على نبيِّه ...

الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في مخالفة الهَوى، والشَّقاءُ في مجانبة الهُدى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الخلقَ لعبادتِهِ وأمرهم بِالإحسانِ إلى خَلْقِه، وهو سبحانه مُهَيمِنٌ على عبَادِه، رقيبٌ عليهم، مُطَّلِعٌ على أحوالهم، سميعٌ لأقوالهم، بصيرٌ بأفعالهم، وإذا عملَ المسلمُ عملاً صالحاً أثابَه عليه في الآخرة وأذاقه آثارَ عملِه في الدُّنيا؛ قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر صَفَر، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

وغيرُ المسلمِ حرَّم اللَّه عليه الجنة، ويُزادُ عليه العذابُ في النار بما زاد من ذنوبٍ على الشِّرك؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾، وإذا عمل غيرُ المسلم عملاً فيه صلاح لم يقع في ميزان آخرته منه شيء؛ إنَّما يُكافأُ عليه في الدُّنيا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً؛ أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا»، وفي روايةٍ: «حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ» (رواه مسلم)، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الكَافِرَ الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ لَا ثَوَابَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، مُتَقَرِّباً إِلَى اللَّهِ، وَيُطْعَمُ فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنَ الحَسَنَاتِ مُتَقَرِّباً بِهِ إِلَى اللَّهِ، مِمَّا لَا يَفْتَقِرُ صِحَّتُهُ إِلَى النِّيَّةِ - كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعِتْقِ، وَالضِّيَافَةِ، وَتَسْهِيلِ الخَيْرَاتِ، وَنَحْوِهَا -».

واللَّهُ سبحانه شكور؛ مَنْ عامله بالطَّاعةِ زاد له في العطاء، وهو سبحانه قويٌّ قهَّار؛ مَن بَارَزَه بالمعصيةِ عُوقبَ من جنسِ فِعلِه، وما يعفو عنه الرَّبُّ أكثر؛ كما قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

والجزاءُ من جنسِ العمل - في الثَّوابِ والعقاب، في التَّعاملِ مع الخالقِ والمخلوق -؛ فمِنْ أفعالِ اللَّهِ في الثَّواب: أنَّه يُجازِي على الإحسان، وإحسانُه فوقَ كلِّ إحسان؛ فمن صَدَق مع اللَّه في إخلاص

الأعمال له أعطاه اللَّه على حسب صِدْقِه معه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنْ تَصْدُقِ اللَّهَ؛ يَصْدُقْكَ**» (رواه النسائي)، ومَن وَفَّى بعهود اللَّه بالوقوفِ عند حدودِه، وَفَّى اللَّه بعهوده إليه بالعطاء والثَّواب، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، ومَنْ حَفِظَ اللَّهَ بطاعتِه واجتنابِ معاصيه؛ حَفِظه اللَّهُ في دينِه ودنياه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**احْفَظِ اللَّهَ؛ يَحْفَظْكَ**» (رواه الترمذي)، وإن زاد في الطَّاعةِ قَرُبَ اللَّه منه قُرباً يليق بجلاله وعظمته، وكلَّما زاد العبدُ في الطَّاعةِ زاد منه في القُرْب؛ قال ﷻ في الحديثِ القُدسيِّ: «**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تقرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» (متفق عليه).

ومَنْ ذكرَ ربَّه ذَكَرَهُ اللَّه في السَّماء، ومَنْ ذَكَرَ الرَّبَّ عند النَّاس - بموعظةٍ أو تعليمٍ، أو مدحٍ للَّه أو لدينه، ونحوِ ذلك - ذَكَرَهُ اللَّه عند ملائكته بالثَّناء عليه؛ قال ﷻ في الحديثِ القُدسيِّ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» (متفق عليه).

ومَنْ أوى إلى اللَّه والتجأ إليه آواه وكفاه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ؛ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا؛ فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ**» (متفق عليه).

ومَنْ ترك شيئاً للَّه عوّضه اللَّه خيراً ممَّا تركه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِلَّهِ ﷻ؛ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**» (رواه

أحمد)، ومَنْ نَصَرَ اللَّهَ بفعلِ أسبابِ النَّصرِ نَصَرَهُ اللَّه وأيَّده؛ قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

و«مَنْ أَحبَّ لِقَاءَ اللَّهِ؛ أَحبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ؛ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، ومَنْ عَمِلَ حسنةً ضَاعَفَهَا له أضعافاً كثيرة وجزاه بجنةٍ لا تَخْطُر على قلبِ بشر.

ومِنْ أفعال اللَّه في العقاب: أنَّ مَنْ عمل ذنباً عُوقب بمثل عمله؛ فمَنْ ترك توحيدَ اللَّهِ زالت عنه ولايةُ اللَّه وحِفْظُه، قال ﷻ في الحديثِ القُدسيِّ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (رواه مسلم)، ومَنْ صَرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره بالرِّياءِ أو السُّمْعةِ أَظْهَرَ اللَّهُ حقيقتَه للنَّاس بأنَّه غيرُ مخلص للَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ؛ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» (متفق عليه)، ومَنْ علَّق قلبَه بغيرِ اللَّهِ لم تَتَحقَّقْ مُناه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ» (رواه الترمذي)، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا رَجَا أحدٌ مَخْلُوقاً أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيه».

والإيمانُ بالقَضاءِ والقَدَرِ ركنٌ من أركان الدِّين؛ مَنْ رضي به رضي اللَّه عنه، ومَنْ لم يرضَ به سخط اللَّه عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» (رواه الترمذي)، ومَنْ نسيَ اللَّه بترك طاعته؛ نسيه اللَّه بعدم تفريج كروبه وزوالِ همومه وغير ذلك، قال سبحانه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، ومَنْ ظَنَّ أنَّه يُخادِعُ الرَّبَّ في أفعالِه

خَادَعهُ اللَّهُ باستدرَاجِه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾، ومَنْ مكرَ في فعلِ السَّيِّئاتِ مكرَ اللَّهُ به من حيثُ لا يشعر؛ قال سبحانه: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ومَنْ زاغ عن طاعة اللَّه أزاغ اللَّه قلبه إلى المعاصي: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾.

وكما أنَّ للَّه أوامرَ وحدوداً؛ فللعباد بعضِهم مع بعض واجباتٌ وحقوق، ومَن عظَّم عبادَه المؤمنين عظَّمه اللَّه، ومن أهانهم أهانه اللَّه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ عَامَلَ خَلْقَهُ بِصِفَةٍ عَامَلَهُ اللَّهُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ بِعَيْنِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ عَلَى حَسْبِ مَا يَكُونُ العَبْدُ لِخَلْقِهِ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللَّهَ لَكَ كَمَا تَكُونُ أَنْتَ لَهُ وِلِعِبَادِهِ، وَكَمَا تَعْمَلُ مَعَ النَّاسِ فِي إِسَاءَتِهِمْ فِي حَقِّكَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَعَكَ فِي ذُنُوبِكَ وَإِسَاءَتِكَ».

والمسلمُ مُعظَّمٌ عند اللَّهِ في دمِه ومالِه وعرضِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَتِ السَّمَوَاتُ بِأَعْظَمَ حُرْمَةً مِنَ المُؤْمِنِ»، ولِحُرْمَةِ المسلمين عند اللَّه؛ فإنَّ مَنْ أحسن إليهم أحسنَ اللَّهُ إليه، وَمَنْ رَحِمَهُم ولَطَفَ بهم أنزل اللَّه عليه رحمته؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**» (رواه أبو داود)، ومَنْ رَفَق بالعباد ويسَّر أمورَهم رَفق اللَّهُ به، ومن شقَّ عليهم شقَّ اللَّه عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ؛ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ؛ فَارْفُقْ بِهِ**» (رواه مسلم)، ومَنْ أجزلَ العطاءَ على عباده أعطاه اللَّه وأغْدَقَ عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه).

ومَنْ رَفَقَ بمُعْسِرٍ أو وَضَعَ عنه دَيْنَه أو شيئاً منه؛ كافأه اللَّه بتيسير وقوفه في المحشَر وأظلَّه تحت عرشه، ومَنْ كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته، ومَنْ نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنه كُرُوبَه، ومَنْ يسَّر على معسرٍ وفرَّجَ عنه همَّه يسَّر اللَّهُ عليه في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ أعانَ غيرَه في قضاءِ حاجتِه؛ كان اللَّهُ عَونَه في أمورِه.

ومَنْ عفَّ فرجَه عفَّتْ نساؤُه، وَمَنْ حفظَ لسانَه عن الخلقِ صَانَ ألسنةَ النَّاسِ من الوقوع فيه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ؛ يُعِفَّهُ اللَّهُ**» (متفق عليه).

ومَنْ سَتَرَ مُسلماً وقع في ذنبٍ ستره اللَّه في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ أَقَالَ زَلَّةَ مسلمٍ وعفَا عنه أقالَ اللَّه عَثْرتَه يومَ القيامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَقَالَ مُسْلِماً؛ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ**» (رواه أبو داود)، ومَنِ استغنى عمَّا في أيدي الخلقِ أغناه اللَّه؛ «**وَمَنْ يَسْتَغْنِ؛ يُغْنِهِ اللَّهُ**» (متفق عليه).

ومَنْ حبَسَ نفسَه عن الوقوعِ في المعاصي أو على فِعْلِ الطَّاعاتِ أو عند حلولِ المصائب؛ أنزل اللَّه عليه الصَّبرَ وأعانَه؛ «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ؛ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ**» (متفق عليه).

والرَّحِمُ معلَّقةٌ بالعرش؛ فمَنْ كان واصلاً لرَحِمِه وَصَلَه اللَّه، ومَنْ كان قاطعاً لها قَطَعَهُ اللَّه.

ومَنْ أساء إلى عبادِ اللَّه عُوقِبَ بمثل ما أساءَ به لخلقِه؛ فَمَنْ شقَّ على عباده شقَّ اللَّه عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ يُشَاقِقْ؛ يَشْقُقِ اللَّهُ عَلَيْهِ**

يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه البخاري)، ومَنِ استهزأ بعبادِه المؤمنين استهزأ اللَّهُ به: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، ومَنْ سَخِرَ بهم سَخِرَ اللَّه منه: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، ومَنْ عمل معصية لإرضاءِ الناس لم يُحصِّلْ مأمولَه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» (رواه ابن حبَّان)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدِ اسْتَقَرَّتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ شَرْعاً وَقَدَراً عَلَى مُعَاقَبَةِ العَبْدِ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ».

«وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا؛ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا قِلَّةً» (رواه مسلم)، ومَنْ فَتَحَ على نفسِه بابَ سؤالِ النَّاسِ العطايا نزلَ به الفَقْر، قال النَّبيُّ ﷺ: «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» (رواه الترمذي)، ومَنْ سأل النَّاسَ لِيَكْثُرَ مالُه أتى يوم القيامة «وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» (رواه مسلم)، ومَنْ أنفق على غيرِه وأحصى عليهم ما يبذلُه وشدَّدَ عليهم فيه، أَحْصَى اللَّهُ عليه العطاءَ وضيَّق عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ لأسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنْفِقِي، وَلَا تُحْصِي؛ فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكِ» (متفق عليه)، و«مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا - وَصَدَقَتْ نِيَّتُهُ فِي أَدَائِهَا -؛ أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا - وَهُوَ نَاوٍ عَدَمَ أَدَائِهَا -؛ أَتْلَفَهُ اللَّهُ» (رواه البخاري)، ومَنْ ضَارَّ النَّاسَ وآذاهم أضرَّ اللَّه به، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ ضَارَّ؛ أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ» (رواه أبو داود).

والذُّنوبُ لها عقوباتٌ مماثلةٌ في الآخرة، فَمَنْ تعجل لذَّةً مُحرَّمةً عليه في الدُّنيا؛ حُرِم نعيمُها في الآخرة؛ فـ«مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا؛

لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ»، و«مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا؛ لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ»، ومَنْ أعمى قلبَه في الدُّنيا عن الحقِّ؛ أُعمِيَ بصرُه في المحشر يوم القيامة: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

والمغتابُ مزَّقَ الأعراضَ بلسانِه في الدُّنيا، ويومَ القيامةِ يجازَى بِخَمْشِ وجهِه بأظافرَ له من نحاسٍ يراه أهلُ النَّار، «وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ - وَهُوَ الرَّصَاصُ المُذَابُ -» (رواه البخاري)، ومَنِ اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقَه يومَ القيامة إلى سبع أرضين، «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ؛ عَذَّبَهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (متفق عليه).

ومَنْ كانت له امرأتان فمالَ إلى إحداهما؛ جاءَ يومَ القيامة وشِقُّه مائل، ومَنْ كذَب كذْبةً شاع أمرُها فإنَّه يُشَرْشِرُ - أَيْ: يَقْلِبُ - شِدْقَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى قَفَاهُ، ومَنْ وقعَ في الزِّنى؛ أتاه لهبٌ منْ أسفلَ منه يُعذَّبُ به في النَّار، ومَنْ أكل الرِّبا؛ أُلْقِمَ حجراً في فمِه جزاءَ أكلِه أموالَ الناس.

والأعمالُ الصَّالحة يُرى أثرُها يوم القيامة؛ فمَنْ كانَ من أهل الصَّلاة نُودِي من بابِ الصَّلاة، ومن مات مُحْرِماً بُعث ملبِّياً، ومَنْ مات شهيداً بُعثَ يوم القيامة ودمُه يَثْعَبُ «لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ، وَرِيحُهُ رِيحُ المِسْكِ»، وأُمَّةُ مُحمَّدٍ ﷺ في المحشَرِ يبعثون «غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ»، و«المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فأوامرُ اللَّه حقٌّ، ونواهيه زَجْرٌ، ووعدُه صِدق، فمن عَمِل صالحاً جوزي، ومن فَعَل سَيِّئاً عُوقِب، وإذا أردت أن تعرفَ منزلتَك في الآخرة؛ فانْظُرْ إلى أعمالك في الدُّنيا، فتزَوَّدْ من الصَّالحات وسابِقْ إليها، واجتَنِبِ المحرمات، وانْأَ عنها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

كما تُحبُّ أن يكونَ اللَّهُ لك فَكُنْ للَّه تعالى، ومَنْ أقبل على اللَّه بكُلِّيته أقبل اللَّه عليه جملة، ومَنْ أعرض عن اللَّه بكُلِّيته أعرضَ اللَّهُ عنه جملة، ومَنْ كان مع اللَّه حيناً وحيناً كان اللَّه له كذلك، ومَنْ أحبَّ أن يَعْلمَ منزلتَه عند اللَّه فَلْيَنظرْ كيف منزلة اللَّه عنده؛ فإنَّ اللَّه يُنزِلُ العبدَ منه حيث أنزلَه مِنْ نفسِه، ومَنْ طلب لذةَ العيش وطِيبَه بما حَرَّمه اللَّه عليه؛ عاقبه ربُّه بنقيض قصده؛ فإنَّ ما عند اللَّه لا يُنالُ إلَّا بطاعته، ولم يجعلِ اللَّه معصيتَه سبباً إلى خيرٍ قط.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

جَزاءً وِفَاقاً[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أبدَعَ اللَّهُ الخلقَ فأحسَن ما صنَع، وأحكَم سبحانه دِينَه وما شرَع، حكيمٌ عليمٌ خبيرٌ رحيمٌ، له في خلقه وأمره سُنَنٌ لا تَختَلِفُ ولا تتبدَّل.

ومن سُنَنِه سبحانه: مجازاةُ العِبَاد وَفْقَ أعمالهم؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾، وقد تظاهر الشَّرع والقَدَر على هذا؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس عشَر من شهر جمادى الأولى، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

ففي الخير رتَّب اللَّه من الأجور والثَّواب على كثيرٍ من الأعمال ما هو مماثِل لها ومناسب، فالجزاء يكون من جنس الطاعة، قال شيخ الإسلام ﵀: «وَالجَزَاءُ أَبداً مِنْ جِنْسِ العَمَلِ»، وليس لِمَنْ أحسَن العملَ إلَّا الإحسان؛ قال ﷻ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾، فمَنْ حَفِظَ حُدودَ اللَّهِ وحقوقَه حفظه اللَّهُ في الدَّارَيْن؛ قال ﵊: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**» (رواه الترمذي).

وإذا طلَب العبدُ الهدايةَ بصدق هداه اللَّه وثبَّته؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾.

والوفاءُ بعهد اللَّه من الإيمان به وبما جاء به رسولُه ﷺ، جزاؤه وفاء اللَّه لأهله بالجنَّة؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

ومَنْ صدَق مع اللَّه أكرَمَه اللَّه بما يُحِبُّ وزيادة؛ قال ﵊: «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ؛ يَصْدُقْكَ**» (رواه النسائي)، قال ابن القيم ﵀: «لَيْسَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ أَنْفَعُ مِنْ صِدْقِهِ رَبَّهُ، وَمَنْ صَدَقَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ صَنَعَ اللَّهُ لَهُ فَوْقَ مَا يَصْنَعُ لِغَيْرِهِ».

وعلى قَدْرِ قُرْبِ العبدِ من ربِّه بالطَّاعة والعبادة يكون قُرب اللَّه منه؛ قال تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «**إِذَا تَقرَّبَ العَبْدُ مِنِّي شِبْراً؛ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً؛ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً**» (متفق عليه).

وللعبد من ربِّه ما ظنَّ به؛ إن خيراً فله، وإن سوءاً فمثله؛ قال اللَّه تعالى في الحديثِ القُدسيِّ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» (متفق عليه).

ومَنْ أحسَن في الدُّنيا بالإيمان والتَّوحيد؛ فله في الآخرة الجنَّةُ ورؤيةُ الرَّبِّ المجيد، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

وللصَّلاة بابٌ في الجنَّة يُنادى أهلُها منه، ولنَصَاعَة أعضاء الوضوء بالطَّهارة تُعرَف هذه الأُمَّة يومَ القيامة بذلك؛ قال ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ» (متفق عليه)، و«تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ» (رواه مسلم).

والمؤذِّنُ رفَعَ صَوتَه بالأذان فكان ثوابه من جنس فعله؛ قال ﷺ: «المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه مسلم)، و«لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه البخاري)، واللَّهُ أَذِنَ بالمساجد أن تُرفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمُه، و«مَنْ بَنَى مَسْجِداً لِلَّهِ؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ مِثْلَهُ» (رواه مسلم).

والصَّدقةُ بُرهانٌ على الإيمان، وقَرْضٌ مُضاعَفٌ عندَ اللَّه، ومن أنفَق شيئاً أخلفَ اللَّهُ له خيراً منه؛ قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ! أُنْفِقْ عَلَيْكَ» (متفق عليه)، و«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» (متفق عليه).

والصَّائمون يُقَالُ لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾، قال مجاهد رحمه الله: «نَزَلَتْ فِي الصَّائِمِينَ»، ويُنادَوْن من بابٍ خاصٍّ بهم، وهو الرَّيَّان، «وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

ومن مات مُحْرِماً بعثَه اللَّه مُلَبِّياً.

وذِكْرُ اللَّه يُحْيِي القلوب ويُقَوِّي الأبدانَ، وما لأهله جزاء خيرٌ من ذِكْرِ اللَّهِ لهم، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، ومَنْ ذَكَرَ اللَّهَ على حالٍ ذكَرَه اللَّه بأكرمَ من تلك الحال، قال تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» (متفق عليه).

ومجالسُ الذِّكْرِ رياضُ الجنَّة، وللعبد عند ربِّه منها ما له فيها؛ أقبَل ثلاثةٌ على رسول اللَّه ﷺ، فرأى أحدُهم فُرجَةً في الحلقة فجلَس فيها، والآخَرُ جلَس خلفَهم، والثالث أدبَر ذاهِباً، فقال رسول اللَّه ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ؛ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا؛ فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» (متفق عليه).

والدِّينُ عزٌّ ورِفعةٌ لأهله، ومَنْ نصَرَ دينَ اللَّه فهو منصور؛ قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، و«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ؛ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»، و«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ» إلى يوم القيامة.

والبلاء سنةُ اللَّه في خلقه، و«عِظَمُ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، والصَّبرُ واجبٌ على الأوامر والنَّواهي والأقدار، «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ؛ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»، ومَنْ تعرَّف على اللَّه في الرَّخاء عرَفَه في الشِّدَّة.

والعلم يُنال بالسَّعي له، «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**» (رواه مسلم).

ومَنْ وَفَّقَه اللَّه للتوبة فأقبَل عليه سبحانه تائباً تاب عليه وقَبِله وأثابَه؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾.

والمؤمنُ إذا حضَره الموتُ بُشِّرَ برضوان اللَّه وكرامته، فليس شيء أحبَّ إليه ممَّا أمامه، فأحبَّ لقاءَ اللَّه وأحبَّ اللَّه لقاءه.

ومَنْ عامَلَ الخلقَ بخيرٍ؛ عامَلَه اللَّه بمثله في الدنيا والآخرة، وأكرَمُ الخلقِ نبيُّنا محمد ﷺ، فمَن صلَّى عليه صلاةً صلَّى اللَّه عليه بها عشراً، و«**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ**»، واللَّهُ يَرْحَمُ من عباده الرُّحماء، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ؛ لَا يُرْحَمُ**» (متفق عليه)، ورَحِمَتِ امرأةٌ بغيٌّ كلباً وسَقَتْهُ فرحمها اللَّهُ وغفر لها.

وأولى النَّاس بالمعروف: ذوو القربى، فمَنْ وَصَلَ رَحِمَه وصلَه اللَّه.

وفي بَذْلِ السَّلامِ للخَلْق السَّلامة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَفْشُوا السَّلَامَ؛ تَسْلَمُوا**» (رواه أحمد)، ومن تواضع للَّه رفعه: «**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً**»، قال سبحانه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «فَإِنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنسِ العَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ المُذْنِبِ إِلَيْكَ؛ نَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَصْفَحُ؛ نَصْفَحُ عَنْكَ».

ومَنْ أحبَّ عبداً للَّه أحبَّه اللَّه، ومَنْ دعَا لأخيه بظهرِ الغيب قال المَلَك المُوكَّل به: «آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِهِ».

والتَّفسُّح في المجالس جزاؤُه من جنسه؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾.

و«مَنْ أَقَالَ مُسْلِماً؛ أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»، واللَّهُ يكون للعبدِ كما يكون لإخوانه المسلمين؛ قال ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً؛ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (متفق عليه)، «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (رواه مسلم)، ومَنْ تَجاوزَ عن الخَلْق تَجاوَزَ اللَّه عنه، ومن أعتق عبداً أعتق اللَّه بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النَّار.

ومَنِ استدانَ أموالَ النَّاسِ يُريدُ أداءها أدَّى اللَّه عنه، ومَنِ استغنى باللَّهِ وبما أعطاه أغناه اللَّه وكفاه؛ قال ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَغْنِ؛ يُغْنِهِ اللَّهُ» (متفق عليه)، وإذا عفَّ العبدُ عن الحرام وسؤال الخلق أعفَّه اللَّه؛ قال ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَسْتَعْفِفْ؛ يُعِفَّهُ اللَّهُ» (متفق عليه).

وما رفَق أحدٌ بغيره إلا رفق اللَّه به؛ قال ﷺ: «اللَّهُمَّ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ؛ فَارْفُقْ بِهِ» (رواه مسلم).

والخيرُ يأتي بالخير، وعلى خلافه الشَّرُّ يأتي بالشَّرِّ، فجزاء سيِّئةٍ مِثلُها: ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، فمَنْ عَمِي قلبُه عن الحق أعمى

اللَّه بَصره في المحشر؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾، ومن زاغ عن الحق بعد علمِه أزاغَ اللَّه قلبَه عن الهدى وأسكَنَه الشكَّ والخذلانَ؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، ومَنْ أعرض عن الخير والدِّين عوقب بسلب الإيمان والخير؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾، ومَنْ ترَك الطاعة وتعمَّد نسيانَها خذلَه اللَّه وأنساه نفسَه وتركَه في عذاب؛ قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾.

وفسادُ الباطنِ عاقبتُه المزيدُ منه؛ قال ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾، ومن حجب بصيرتَه عن الدِّين حجبه اللَّهُ عن رؤيته يوم الدِّين؛ قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾.

والشِّركُ باللَّهِ أعظمُ ذنبٍ في الأرض، فمَنْ تَعلَّقَ قلبُه بشيء غيرِ اللَّه وُكِلَ إليه، ومَنْ قصَد بعمله الرِّياء أو السُّمعة جُوزِيَ بمثلِ فعلِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ؛ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**» (متفق عليه)، وعابدُ غيرِ اللَّه مخذولٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ۝ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾.

ومَنْ عَمِلَ عملاً أشرك مع اللَّه غيرَه تركَه اللَّهُ وشركَه، ومن عَبَد شيئاً غيرَ اللَّهِ تَبِعَهُ في نار جهنم، ومَنْ حلَف بملَّةٍ سوى الإسلام كاذباً فهو كما قال، «**وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً؛ عُذِّبَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَكُلِّفَ أَنْ**

يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»، «**وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»، «**وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ؛ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**».

ومَنْ قصد الكيدَ والخداعَ والمكرَ والاحتيالَ على الدِّين؛ استدرَجه اللَّه وأخذَه بغتةً، قال ﷻ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾، وقال: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾.

ومَنْ تأخَّرَ عن الصُّفوف الأُوَل في الصَّلاة أخَّرَه اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ**» (رواه مسلم).

ومَنِ امتنع عن السُّجود في الدُّنيا مُنِعَ منه يومَ القيامة؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ﴾، والكِبْرُ استعلاءٌ على الحقِّ والخَلْق، فيُحشَرُ أهلُه أمثالَ الذَّرِّ يَطَؤُهم الناسُ بأقدامهم، ومَنْ كَذَبَ كَذْبةً بلغتِ الآفاق قُطِعَ جانبُ فَمِه إِلَى قَفاه يوم القيامة (رواه البخاري).

والزُّناةُ يأتيهم لهبُ النارِ مِنْ أسْفلِهم، واللَّهُ يَمْحقُ الرِّبا، وآكِلُه يُلقَمُ يومَ القيامة أحجاراً في فمه، و«**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ؛ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (رواه أبو داود)، ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾، ومَنْ منع فضلَ ماءٍ يقول اللَّه له يوم القيامة: «**اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ**» (رواه البخاري).

ومَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا ثم لم يتُبْ منها؛ حُرِمَ منها يومَ

القيامة، ومَنْ لَبِسَ الحريرَ من الرِّجال في الدُّنيا لم يَلبسْه في الآخرة، ومَنِ ادَّعى دعوى كاذبة يَتكثَّرُ بها لم يزدْه اللَّه به إلَّا قلةً.

وجَحْدُ النِّعَمِ مُؤذِنٌ بزوالها، واللَّهُ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ من النِّعمة ورَغَدِ العيشِ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم من الظلم والمعاصي.

والاستهزاءُ بالدِّينِ وأهلِه جزاؤُه من جنسه، ومَنْ سَخِرَ بعباد اللَّه سَخِرَ اللَّهُ منه، و«آيَةُ النِّفَاقِ: بُغْضُ الأَنْصَارِ»، «وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ؛ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

«وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا؛ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، والسَّارقُ مَدَّ يدَه بالباطل فاستحقَّتِ القطعَ، و«مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ؛ جُلِدَ يَوْمَ القِيَامَةِ»، و«يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ - يُعْرَفُ بِهِ - يَوْمَ القِيَامَةِ»، ومَنْ لعَن شيئاً ليس له بأهلٍ رجعَت اللَّعنةُ عليه، و«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ»، و«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»، و«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ؛ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»، وقَطْعُ وَصلِ ذوي القربى أَقْبحُ من غيره، واللَّهُ يقولُ للرَّحِم: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟» (متفق عليه)، واللَّهُ توعَّدَ بعذابِ الذين يُعذِّبون النَّاسَ بغير حقٍّ؛ قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» (رواه مسلم).

وإلحاقُ الضَّررِ والمشقَّةِ بالخلق عاقبته وخيمة، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ ضَارَّ؛ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ؛ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» (رواه الترمذي)، ومَنْ وَلِيَ شيئاً فشقَّ على الخَلْق؛ شقَّ اللَّه عليه، وإن احتجب عن

حاجتهم احتجَب اللَّه دون حاجته، و«**مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ؛ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ**» (رواه أحمد)، والمغتابُ مزِّق أعراضَ الناسِ بلسانه؛ فيأتي يومَ القيامةِ له أظفارٌ من نُحاس، يَخْمِشُ بها وجهَه، ومَنِ استمع إلى حديث قومٍ وَهُمْ له كارهون صُبَّ في أُذُنَيْهِ رصاصٌ مذابٌ يوم القيامة.

ومدينةُ رسول اللَّه ﷺ آمنةٌ، ومن أخاف أهلَها أخافَه اللَّه، و«**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا؛ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**»، وإذا فتح العبدُ بابَ مسألة فتَح اللَّه عليه بابَ فقرٍ، والبخلُ والإمساكُ ماحِقٌ للبركة، مُوجِبٌ لشدَّة الحساب، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تُحْصِي؛ فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكِ**» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ بصيرٌ بالعباد، وهو لهم بالمرصاد، وسيجازي الجميعَ بما عملوا، والجزاءُ من جنس العمل مماثِلاً له في الخير والشَّرّ، و«**كَمَا تَدِينُ؛ تُدَانُ**»، ومَنْ أراد أن ينظرَ ما لَهُ عند ربه فلينظرْ ما للَّه عنده؛ فإنَّ اللَّه يُنزِلُ العبدَ حيث أنزَلَه من نفسه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده وسوله، صلى عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا دارُ عمل والآخرةُ دارُ الجزاء، وقد يُعجِّلُ اللَّهُ لعبده بعضَ جزائه في الدُّنيا، فالنَّعيمُ المقرونُ بالشُّكر لأهل الطَّاعة بشارة، والمصائبُ مع الصَّبر رفعةٌ أو كفَّارة، وأمَّا العاصي المعرِضُ فإن ابتُلِيَ فعقوبةٌ معجَّلة، وما عند اللَّهِ أشدُّ، وإن أُخِّرتْ عقوبتُه فإمهالُ اللَّهِ له استدراجٌ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ تُغْفَرُ بِهَا الذُّنُوبُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه مَنارُ الهدى، والإعراضُ عنها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ الثَّقَلَين لعبادتِه؛ فمَنْ أطاعَه وعدَه بالجنَّة، ومَنْ عصاه توعَّده بالجزاءِ الأليم، والحسابُ عنده سبحانه بمثاقيلِ الذَّرِّ؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وذنوبُ العبادِ كثيرةٌ، منها ما هو كأمثالِ الجبال؛ قال ﷺ: «يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ» (رواه مسلم)، ومنها ما هو كزَبَدِ البحر؛ في الحديث عنه: «حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (متفق عليه).

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر محرَّم، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

والذُّنوبُ منها ما هو قلبيٌّ؛ كاعتقاد أنَّ غيرَ اللَّه ينفعُ أو يضرُّ، أو ضعفِ التَّوكُّلِ على اللَّه، أو الكِبر، أو الحسَد، ومنها: أوزارٌ قوليَّة؛ كدعاءِ غيرِ اللَّه من الأموات وغيرِهم، أو الحلِفِ بغيرِ اللَّه، أو الكذِب، أو الغِيبة، ومنها: خطايا فِعليَّة؛ كالطَّوافِ على القبور، أو القتل، أو السَّرقةِ، أو الزِّنى.

والشِّركُ باللَّهِ لا يغفِرُه اللَّه إلَّا بالتَّوبة، وفي الآخرة صاحبُه الذي يموتُ وهو مُصِرٌّ عليه مُخلَّدٌ في النَّار، والكبائرُ لا يغفرُها اللَّه إلَّا بالتَّوبة، وقد تُكفَّرُ بعملٍ صالحٍ إذا قوِيَ الصِّدقُ والإخلاصُ؛ كما سقَتِ البغِيُّ كلباً فغُفِرَ لها، وفي الآخرة صاحبُ الكبيرة إن لم يَتُبْ فهو تحتَ مشيئة الله؛ إن شاءَ عذَّبه، وإن شاءَ غفرَ له.

وصغائرُ الذُّنوبِ يُكفِّرُها اللَّهُ إن اجتُنِبَتِ الكبائر؛ قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: إِذَا اجْتَنَبْتُمْ كَبَائِرَ الآثَامِ الَّتِي نُهِيتُمْ عَنْهَا؛ كَفَّرْنَا عَنْكُمْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ وَأَدْخَلْنَاكُمُ الجَنَّةَ»، ومُكفِّراتُ صغائرِ الذُّنوبِ: اعتقادٌ صحيح، أو قولٌ أو عملٌ صالحٌ تُغفر الزَّلَّةُ به.

وهو سبحانه توَّابٌ؛ «**يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

وذنوبُ بني آدم وإن كَثُرت ففضلُ اللَّه سابغٌ على عبادِه؛ إذْ شرعَ لهم طاعاتٍ يُواليها عليهم؛ لِتُكفَّرَ عنهم سيِّئاتُهم؛ فالتَّوحيدُ الخالصُ

المُتَّصِفُ بالصِّدقِ واليقينِ المُجانبُ لنواقضِه يُكفِّرُ الذُّنوبَ، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً؛ لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» (رواه مسلم).

وشأنُ التَّوحيدِ عندَ اللَّه عظيمٌ لمن حقَّقه؛ فيومان في الأسبوع يَغفِرُ اللَّه فيهما لكلِّ مُسلمٍ لا يُشرِكُ باللَّهِ شيئاً، إن لم تُغشَ كبيرةٌ من كبائرِ الذُّنوبِ، قال ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ؛ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» (رواه مسلم).

ولأهميَّةِ الصَّلاة وفضلِها وعظيم شرفِها؛ كانت إقامتُها وأفعالٌ وأقوالٌ تسبِقُ أداءَها سببَ غُفرانِ الذُّنوب؛ فالأذانُ عبادةٌ قوليَّةٌ يوميَّةٌ، يَحُطُّ اللَّهُ به الخطايا؛ بل ويُغفَرُ للمُؤذِّن مدَّ صوته، وإذا قال المُؤذِّن: أَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً رَسولُ اللَّه، فقال مَنْ سَمِعَه: «وَأَنَا أَشْهَدُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (رواه مسلم).

ومَنْ أَحسنَ الوضوءَ؛ خرجتْ ذنوبُه مع الماءِ أو مع آخر قطرِ الماء، «فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ؛ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (رواه مسلم)، و«لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ فَيُصَلِّي صَلَاةً؛ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا» (متفق عليه).

وخُطواتُ المشيِ إلى الصَّلاة إحداهُما تحُطُّ خطيئةً والأُخرى ترفعُ درجةً.

وإسباغُ الوُضوءِ على المكارِه، وكثرةُ الخُطا إلى المساجِد، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصَّلاة؛ تمحُو الخطايا وترفعُ الدَّرجات.

ومَنْ أتى المسجِدَ يَنتظرُ الصَّلاةَ تَعرَّضَ لنفحاتِ اللَّه بدُعاءِ الملائكةِ له بالمغفرةِ والرَّحمة؛ قال ﷺ: «لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُهَا»، «المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ» (متفق عليه)، قال ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنْ كَانَ كَثِيرَ الذُّنُوبِ وَأَرَادَ أَنْ يَحُطَّهَا اللَّهُ عَنْهُ بِغَيْرِ تَعَبٍ؛ فَلْيَغْتَنِمْ مُلَازَمَةَ مَكَانَ مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ لِيَسْتَكْثِرَ مِنْ دُعَاءِ المَلَائِكَةِ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لَهُ».

وإذا أمَّنَ الإمامُ بعد قراءةِ الفاتحةِ وأمَّن المأمومُ؛ فـ«وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، و«إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، وقال المأمومُ: اللَّهم ربَّنا لك الحمدُ، فـ«وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وأقوالٌ بعد الصَّلاة تُكفِّرُ الخطايا؛ فـ«مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ المِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (رواه مسلم).

والصَّلواتُ الخمسُ تحُطُّ السَّيِّئات؛ قال ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا» (متفق عليه).

وفي كلِّ أسبوعٍ عبادةٌ تُكفِّرُ صغائرَ الذُّنوب؛ قال ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى» (رواه البخاري).

وصومُ رمضان يُكفِّرُ ما بينه إلى رمضان المُقبِل إذا تُرِكت المُوبِقات؛ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وصومُ يومِ عرفةَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ»، وصيامُ عاشوراء: «يُكفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ».

والصَّدقةُ تُكفِّرُ الخطايا؛ قال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ» (رواه الترمذي).

والحَجُّ يَمْحُو الذُّنوبَ؛ قال ﷺ: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (متفق عليه).

ومِنْ فَضْلِ اللَّه على المُؤمِن: أنَّ أَقوالَه وأَعمالَه الصَّالِحةَ إن قَصُرَت به فإنه يُكفِّرُ عنه ذنوبَه بما يُصيبُ قلبَه من الهُمُوم والأحزان والغُمُوم؛ قال ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ؛ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (متفق عليه).

و«فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ؛ تُكَفِّرُهَا: الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» (متفق عليه).

والأعمالُ الصَّالحةُ المُطلَقةُ بأنواعِها - كتلاوةِ القرآن، وبرِّ الوالدين، وصِلةِ الأرحام - تُكفِّرُ السَّيِّئات، قال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، وقال ﷺ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ؛ تَمْحُهَا» (رواه الترمذي).

وتكرَّمَ اللَّه بأقوالٍ لم تُقيَّدْ بزمنٍ تُكفِّرُ الآثام؛ فـ«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» (رواه مسلم)، وكلماتٌ من الأذكار تُغفَرُ بها الذُّنوبُ؛ فـ«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (متفق عليه).

وشرَعَ اللَّه أفعالاً غيرَ مُقيَّدةٍ بزمنٍ تُغفَرُ بها الذُّنوب؛ فـ«العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا».

والإحسانُ إلى الخلق يَحُطُّ الخطايا، فـ«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ

كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» (متفق عليه).

والعفوُ والصَّفحُ يُغفَرُ به الذُّنوب، قال سبحانه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾.

وتكرَّمَ اللَّهُ على عبادِه بمَغْفِرةِ ذُنوبِ مَجالسِهِم بأقوالٍ يسيرةٍ يقولونها قبلَ أن يقوموا منها؛ قال ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (رواه النسائي).

والطَّعامُ مُتعةٌ وقوَّةٌ للأبدان، وإذا شكَرَ المُسلمُ ربَّه عليه؛ غُفِرَت ذنوبُه، قال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَاماً ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (رواه أبو داود).

وإنْ أصابَ الجسدَ مشقَّةٌ أو جَهدٌ أو شِيكَ بشوكةٍ، أو نحوَ ذلك، كانت حَطّاً لِمعاصِيه، قال ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» (متفق عليه)، والمرضُ كفَّارةٌ للمريض؛ قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى - مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ -؛ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (متفق عليه).

ومجالِسُ الذِّكرِ تَحُطُّ الأوزار؛ قال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجدُوا قَوماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ -: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ - ثُمَّ يَقُولُ الرَّبُّ -: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» (رواه البخاري).

والدُّعاءُ الصَّادقُ سببُ مغفرةِ الذُّنوب، قال الرَّبُّ ﷻ: «يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي؛ أَغْفِرْ لَكُمْ» (رواه مسلم).

والثُّلثُ الأخيرُ من كلِّ ليلةٍ مظِنَّةُ غُفرانِ الذُّنوب؛ إذْ «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؛ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، وما دعا سبحانه عبادَه ليستغفروهُ إلَّا لِيَغفِرَ لهم.

والتَّوبةُ تمحُو جميعَ الذُّنوبِ - الشِّركَ فما دُونَه -، وليس شيءٌ سبباً لغُفرانِ جميعِ الذُّنوبِ سِوَاها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾.

وخيرُ أيَّامِ العُمُر: يومُ التَّوبة، قال ﷺ لكعبٍ - لَمَّا نزلَتْ توبتُه -: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» (متفق عليه)؛ بل إنَّ العبدَ إذا تابَ لم يُؤاخَذْ بِجَرِيرَةِ ذنبِه؛ قال ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ

الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (رواه مسلم)، قال ابن أبي العزِّ ﷫: «وَكَوْنُ التَّوْبَةِ سَبَباً لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ المُؤَاخَذَةِ بِهَا؛ مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الأُمَّةِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فللخطيئةِ أثرٌ على البَدَن والمالِ والولد، والعبدُ بحاجةٍ إلى مَحْوِ خطاياه في اليومِ واللَّيلة، والنِّعَمُ تزولُ بالذُّنوبِ، والنِّقَمُ تَحُلُّ بالخطايا، و**«نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ؛ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ»** (رواه الترمذي).

واللَّهُ غفورٌ رحيم، نوَّع لخلقِه مُكفِّراتٍ يطرُقُونها كلَّ حينٍ؛ لتُغفَرَ لهم الزَّلَّات، وما تقرَّبَ أحدٌ إليه سبحانه إلَّا دنا منه، والسَّعيدُ مَنْ تعرَّضَ لنفحاتِ اللَّه ومغفرتِه في يومِه وليلتِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الذَّنبُ قبيحٌ، وأقبحُ منه عدمُ التَّوبةِ والاستِغفار، ومَنْ طَرق بابَ التَّوبةِ وجدَه مفتوحاً، ومِنْ صفاتِ اللَّه: المغفرَةُ والعفوُ والسِّتر، واللَّه يفرحُ بتوبة التَّائب إليه ويُبدِّلُ سيِّئاتِه حسنات.

وتَرْكُ الذَّنبِ أَيسرُ من طلبِ التَّوبة، وقد يخفَى أثرُ الذَّنبِ عنِ الخلقِ لكنَّ اللَّهَ يعلمُه، وقد يَظهرُ أثرُه على حياةِ العبدِ في شِقْوتِه وهمِّه وكبَدِ حياته.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أعرض عن ذِكْرِه فقد هوى، وحُشِرَ يومَ القيامة أعمى.

أيُّها المسلمون:

تَمضي السَّنواتُ والأعوام، واللَّيالي والأيَّام، وتجري الشَّمس لمستقرٍّ لها، ثمَّ يَنقضي الزَّمان، واللَّيلُ يَطلُب النَّهارَ سريعاً لمضيِّ الكون: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، والحياةُ لا تَدومُ على حال، نِعَمٌ مَوْهُوبَة، وآلاءٌ مَسْلُوبَة، والنَّبيُّ ﷺ حثَّ على اغتنام خمسِ نِعَم، أيَّامُها هي أيامُ العملِ والتَّأهُّبِ والاستعدادِ والإكثارِ من الزَّاد، منها ما هو زائلٌ لا محالة، ومنها ما يُخشى زوالُه، مَنْ فاته العملُ فيها لم

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر ذي الحِجة، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

يُدركه عند مجيءِ أضدادها، ولا يَنفعُه التَّمنِّي بعد التَّفريط فيها؛ قال عليه الصلاة والسلام: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (رواه الحاكم).

فأيَّامُ الشَّباب قليلةٌ وقد يَقطعُها الأجلُ قبلَ تَمامِها، وما أكثرَ من يموتُ في شبيبتِه! قال ابن الجوزي رحمه الله: «أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ: الشَّبَابُ؛ لِذَا قَلَّ أَنْ تَرَى الأَشْيَاخَ»، والشَّباب زمن التَّحصيل لأمور الدُّنيا والدِّين، وزمنُه من أَنْفَسِ الأوقات، والمحاسبةُ عليه تجري على انفراد؛ «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ - وَمِنْهَا -: وَعَنْ شَبَابِهِ؛ فِيمَ أَبْلَاهُ» (رواه الترمذي)، ومَنْ حَفِظَ شبابَه بالطَّاعة ومغالبةِ الهوى؛ وعده اللَّهُ بِظِلٍّ تحتَ العرش؛ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - وَمِنْهُمْ -: شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ» (متفق عليه).

والعافيةُ متعةُ الدُّنيا، لا لَذَّةَ للحياة إذا زالت، وأيَّامُ سُرورِها مجهولةٌ، لا يُعلمُ متى انقضاؤها، ومِن دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ» (رواه أبو داود)، وقد أَمَرَ ﷺ أُمَّتَه أن تدعوَ ربَّها أن تنالَها، فقال: «وَاسْأَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ» (متفق عليه)، وهي ممَّا يُسأل عنه يومَ القيامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ - يَعْنِي: مِنَ النَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟» (رواه الترمذي).

وتَدومُ العافيةُ بِشكرِها؛ باستعمالها في الطَّاعة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وبالمأكل والمشرب الحلال، وبكثرة الاستغفار وملازمة التَّوبة: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ومَنْ حَفِظَ اللَّه في صِباه وقوتِه؛ حفظه اللَّه في كِبَره وضَعفِ قوتِه.

والأوزارُ مُهلِكَةٌ للصِّحَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ❁ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، ومَنْ عَمِلَ في صحته ثمَّ مَرِض؛ أُجري له ثوابُ ما كان يَعْمَلُه وهو صحيح؛ قال ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً**» (رواه البخاري)، ومَنْ أَهملَ العملَ في صحَّته ثمَّ مَرِض؛ لم يَجْرِ عليه سوى الحسرةِ والنَّدم، فاعمل في عافيتك للَّه، وإن استطعت أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحد؛ فافعل، قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: «لَا تَنسَ صِحَّتَكَ وَشَبَابَكَ وَغِنَاكَ أَنْ تَطْلُبَ بِهَا الآخِرَةَ».

والمالُ يَتقلَّبُ بأيدي العبادِ لا يبقى على حال، ومَنْ لم يَتحوَّلْ عنه المال؛ تحوَّل هو عن المال بالرَّحيل، قال سبحانه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ❁ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، والمالُ فتنةُ هذه الأمَّة، قال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**» (رواه الترمذي)، والغنيُّ المُنفِقُ يَسبِقُ غيرَه بالأجور، قال بعضُ الصَّحابة رضي الله عنهم لرسول اللَّه ﷺ: «**ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ**» (رواه مسلم)، والمُوفَّقُ مِنَ الأغنياء مَنْ بَنى آخرته بالسَّخاء والعطاء مع التَّقوى، وقد سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: **أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ، تَأْمُلُ الغِنَى وَتَخْشَى الفَقْرَ**» (متفق عليه)، والنَّادِمُ مَنْ كَنَزَ مالاً وتوانَى عن الإنفاق، قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

والفراغُ هو زمنُ العمل، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾، وإذا كَبِر المرءُ كبرت معه آمالُ الحياة، فيَبذِلُ نفيسَ ما يَملكُ من الوقت؛ لتحصيلها، وقد تفوته؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**» (رواه البخاري)، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: أَنَّهُمْ مُقَصِّرُونَ فِي شُكْرِ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ، لَا يَقُومُونَ بِوَاجِبِهِمَا، وَمَنْ لَا يَقُومُ بِحَقِّ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ مَغْبُونٌ».

وما سَبَقَ مَنْ سَبَقَ إلى المعالي إلَّا باغتنام زمانِ الفراغ، وقرأ الخطيبُ البغداديُّ صحيحَ البخاري على الحِيري في ثلاثةِ مجالس، وقَرَأَ برهانُ الدِّين البِقاعيُّ على البدر الغِزِّي صحيحَ البخاريِ في ستَّة أيَّام، وقرأ الفَيْرُوز آبادي صحيحَ مُسلمٍ في ثلاثة أيَّام على ناصر الدِّين، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي خَيْرٍ؛ فَنَافِسْهُمْ فِيهِ»، ولا تَحْقِرنَّ شيئاً من الشَّرِّ في فراغك أنْ تتَّقيه، ولا شيئاً من الخير في وقتك أنْ تفعلَه، فالفراغُ لا يدوم.

والحياةُ قصيرةٌ ليس للمرء فيها بقاء، يَتَحَيَّنُ الرحيلَ عنها في كلِّ آنٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**؛ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ

المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (رواه البخاري)، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالغَرِيبِ، لَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، وَلَا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لَهُ شَأْنٌ وَلِلنَّاسِ شَأْنٌ»، وليس للمَرْءِ دارٌ يَعملُ فيها سوى هذه الدَّار: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

ومَنزلةُ العبدِ في الآخرة، هي بِعملِه في هذه الأيَّام، والدُّنيا قصيرةٌ خدَّاعة، لا تُعطي أحداً نفسَها إلَّا بعد أن تُذِلَّ طالبَها، ومتاعُها قليل؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَاللَّهِ! مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ!**» (رواه مسلم).

وقد أنذرَ اللَّهُ مِنْ حَسرةٍ عند الموتِ لِمَن قَصَّرَ العمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وإذا حضرَ الأجلُ انقطعَ العمل، ثمَّ تُحبسُ كلُّ نفسٍ بعملِها؛ قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، وكان أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا رأى جنازة قال: «مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَغَفْلَةٌ سَرِيعَةٌ»؛ فاعْمُر أنفاسَك بالطَّاعات، وتزوَّدْ من الصَّالحات، وسابقْ في الخيرات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبده ورسوله، صلَّي اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

المؤمنُ بين مخافتين: بين ذنبٍ قد مَضَى لا يدري ما يَصنعُ اللَّهُ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يُصيبُ فيه من المهالك، ومَنْ أَصْلحَ سريرتَه أصلحَ اللَّهُ علانيتَه، وإذا أَحدثْتَ ذنباً فأعقِبْه بتوبة، و«**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»، فاللَّهُ مُطَّلعٌ عليك في سريرتك، ورقيبُك في علانيتك، والدُّنيا تنادي بمواعِظِها، وتَنصحُ بِعِبَرِها، وتُبْدِي عُيوبَها بما يَرى أَهلُها مِنْ فَوَاجِعِها، فبادِرْ بالأعمال قبلَ أن يُحالَ بينَك وبينَها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً**» (رواه مسلم).

وممَّا يُسَابَقُ إليه: أداءُ الصَّلواتِ المفروضةِ جماعةً في بيوت اللَّه، والاجتهادُ في أنواع الطَّاعات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَوَاطِنُ البَرَكَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه نورُ البصائر، وبِهَا تَحْيَا القلوب والضَّمائر.

أيُّها المسلمون:

يسعى الخلائقُ في هذه الحياة بألوانٍ من الأعمال شتَّى، يَضْمَحلُّ منها ما كان في معصيةِ اللَّه وسخطِه، ويزهو ما كان في مرضاة اللَّه وطاعته، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وكلُّ شيءٍ لا يكونُ للَّه فبَركتُه مَنزوعة، والرَّبُّ هو الذي يُبارِكُ وحده، والبركةُ كلُّها منه، وهو سبحانه تبارَكَ في ذاته، ويُبارِكُ فيمَنْ شاء مِنْ خَلقِه، قال ﷻ: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشر من شهر محرَّم، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

وكلُّ ما نُسِبَ إليه فهو مبارك، واسمُه تعالى مباركٌ تُنالُ معه البركة، قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، واللَّهُ ﷻ برحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يُضاعِفُ البركات، وليست سعةُ الرِّزقِ والعملِ بكثرته، ولا زيادةُ العمرِ بِتَعاقُبِ الشهورِ والأعوام، ولكن سَعةُ الرِّزقِ والعمرِ بالبركة فيه، بالعملِ المباركِ يُكْتَسَبُ الذِّكرُ الجميلُ في الحياة، وجزيلُ الثَّوابِ في الآخرة؛ به طهارةُ القلب، وزكاةُ النَّفس، وعلوُّ الخلق، والبركةُ ما كانت في قليلٍ إلَّا كَثَّرتْهُ، ولا في كثيرٍ إلَّا نَفَعَتْهُ، ولا غِنى لأحدٍ عن بركةِ اللَّه، حتى الأنبياءُ والرُّسلُ يَطلبونها من خالقهم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ! وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ**» (رواه البخاري).

والرُّسلُ والدُّعاةُ مُباركون بأعمالهم الصَّالحة، ودعْوتِهم إلى الخير والهدى، قال عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾، ونوحٌ عليه السلام أُهْبِطَ ببركاتٍ من اللَّه: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾، ودعا نوحٌ عليه السلام ربَّه بالمنزل المبارك: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾، وألقى اللَّهُ البركةَ على إبراهيم عليه السلام وآله؛ قال تعالى: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾، وبارك فيه وفي أهل بيته: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «هذا

البَيْتُ المُبَارَكُ المُطَهَّرُ، أَشْرَفُ بُيُوتِ العَالَمِ عَلَى الإِطْلَاقِ، فَلَمْ يَأْتِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام نَبِيٌّ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بَعْدَهُمْ فَإِنَّمَا دَخَلَ مِنْ طَرِيقِهِمْ وَبِدَعْوَتِهِمْ»، ودعَا النَّبيُّ ﷺ ربَّه بالبركة في العطاء في قوله عليه الصلاة والسلام: «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ» (رواه الترمذي)، وتحيةُ المسلمين بينهم عند اللِّقاء: طلبُ السَّلام والرَّحمة والبركة.

أيُّها المسلمون:

القرآنُ العظيمُ كثيرُ الخيرات، واسعُ المَبرَّات، كتابٌ مباركٌ، مُحْكَمٌ فصْلٌ مُهيمِنٌ، أنزله اللَّهُ رحمةً وشفاء، وبياناً وهدى، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وسورةُ البقرةِ سورةٌ مباركة، مأمورٌ بِتعَلُّمِها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ - أَيِ: السَّحَرَةُ -» (رواه مسلم).

وسَعةُ الرِّزقِ وبركةُ العمرِ في صلةِ الرَّحم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (متفق عليه).

والصَّادقُ في البيعِ والشِّراءِ والمُعامَلات؛ مُبارَكٌ له في الكَسْب، مُترادِفٌ عليه الخير؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا؛ مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (متفق عليه).

ولِحرصِ الإسلامِ على الأُسرة، وحلولِ البركةِ فيها وعليها مِنْ أوَّل

نَشأتِها؛ شُرِعَ الدُّعاءُ للزَّوجينِ بالبركةِ عند النِّكاح؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ، قَالَ: **بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ**» (رواه أبو داود)، وأوفَرُ الزَّوجات بركةً ما قلَّت المؤنةُ في نكاحها، والزَّواجُ السَّعيدُ ما صَاحَبَهُ اليُسرُ والتَّسهيل، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً: أَيْسَرُهُنَّ مَؤُونَةً**» (رواه أحمد).

والزَّوجةُ المباركةُ هي المُطيعةُ للَّه القائمةُ بحقوقِ زوجِها في غير معصيةِ اللَّه، والولدُ المُباركُ هو النَّاشئُ على طاعة ربِّه، المُسْتَمْسِكُ بسنَّة نبيِّه ﷺ، الصَّائنُ لنفسه عن الذُّنوبِ والعصيان، وإذا دخل ربُّ الأسرةِ دارَه، شُرِعَ له إفشاءُ السَّلام على أهله؛ رجاءَ البركة، يقول أنسٌ رضي الله عنه: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **يَا بُنَيَّ! إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ؛ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**» (رواه الترمذي).

والرَّجلُ المباركُ هو الذي يُنتفعُ به حيثُما حلَّ، وإذا قرُبَ العبدُ من ربِّه بُورِكَ له في وقته، وعَمِلَ أعمالاً كثيرة في زمنٍ يسير؛ وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه في يومٍ واحدٍ أصبح صائماً، وعاد مريضاً، وتبع جنازة، وأطعم مسكيناً، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: **فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟** قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» (رواه مسلم).

وخَيرُ الصُّحبةِ صحبةُ الصَّالحين، وأَزْكَى المجالسِ مجالسُ الذِّكر، تَحضرُها الملائكة، ويُغفَرُ لِجليسِها، فتقولُ الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، وإنَّما جاء لحاجة، قال: «**هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**» (متفق عليه)، فهذا من بركتِهم على نفوسِهم وعلى جليسِهم.

والمالُ المباركُ ما كَثُرَ خيرُه، وتَعدَّدتْ منافعُه، وبُذِلَ في طُرُقِ البِرِّ والإحسانِ ابتغاءَ مَرضاتِه، ومن قَنِعَ بربحٍ حلالٍ قليل، وتَحرَّى الصِّدقَ في معاملاته، ظَهرتِ البركةُ في مالِه وفي أولادِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ؛ فَنِعْمَ المَعُونَةُ**» (متفق عليه).

وسرورُ الدُّنيا وبهجةُ زينتِها لا تَتِمُّ إلَّا بكسبٍ حلال، والمالُ يَكثرُ عددُه بالبذل والعطاء في الخيرات، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**» (رواه مسلم)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللَّهُ** عز وجل: **أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه)، ومَنْ أخذ ما أُعطِي بتعفُّفٍ وغنى نفس، من غير مسألةٍ ولا استشرافٍ له بالقلب، بورك له فيه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ؛ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ؛ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ**» (متفق عليه).

والبركةُ يَتحرَّاها العبدُ في مأكله، فالطَّعامُ المباركُ ما أَكَلْتَه ممَّا يليك، وتَجنَّبْتَ الأكلَ من وَسطِ الصَّحْفَة، وذكرتَ اسمَ اللَّه عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «**البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ**» (رواه الترمذي)، و«أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَعْقِ الأَصَابعِ وَالصَّحْفَةِ - بَعْدَ

الفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ رَجاءَ البَرَكَةِ -، وَقَالَ: **«إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ البَرَكَةُ»** (رواه مسلم)، وفي التَّفرُّقِ نَزْعٌ لها، يقولُ وحشيُّ بن حربٍ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: **فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»** (رواه أبو داود)، وسيِّدُ المياهِ وأنفعُها وأبركُها: ماءُ زمزم؛ قال ﷺ: **«إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ»** (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

اصطفى اللَّهُ من الدَّهرِ أزمنةً، ومن البقاعِ أمكنةً خصَّها بالتشريفِ والبركة، فَليلةُ القدرِ ليلةٌ مباركة، رفيعةُ القدرِ عظيمةُ المكانة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وأولُ النَّهار بعدَ صلاةِ الفجرِ زمنُ غنيمةٍ مباركٌ، ووقتُ نزولِ الأرزاقِ وحلولِ البركات، أقسمَ اللَّهُ به في كتابه بقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، والنَّبيُّ ﷺ دعا بالبركة في بُدُوِّ الصَّباح، قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»** (رواه أبو داود)، والنَّومُ بينَ صلاةِ الصُّبحِ وشروقِ الشَّمسِ تفويتٌ لِزَهرةِ اليوم.

وبيتُ اللَّهِ الحرام مباركٌ، ليس في بيوت العالم أبرَكُ منه، ولا أكثرُ خيراً، ولا أدومُ ولا أنفعُ للخلائق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، ومدينةُ المصطفى ﷺ مدينةٌ مباركة، الصَّلاةُ في مسجد النَّبيِّ ﷺ خيرٌ مِن ألف صلاة فيما سواه، إلا

المسجد الحرام، وصاعُها ومدُّها مباركٌ فيه، وتَمْرُ عاليتها شفاء، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا**» (رواه مسلم)، وفي لفظ له: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ**»، وقال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ**» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «الظَّاهِرُ: أَنَّ البَرَكَةَ حَصَلَتْ فِي نَفْسِ المَكِيلِ بِحَيْثُ يَكْفِي المُدُّ فِيهَا مَنْ لَا يَكْفِيهِ فِي غَيْرِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ عِنْدَ مَنْ سَكَنَهَا»، وباركَ اللَّهُ في مواطنَ مِنْ أرضِه؛ كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾.

والفضيلةُ الدَّائمةُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ في الإيمانِ والعملِ الصَّالح، وأيُّ مكانٍ وعملٍ كان أعونَ للشَّخصِ كان أفضلَ في حقِّه، يقولُ سلمان رضي الله عنه: «إِنَّ الأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحداً، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الرَّجُلَ عَمَلُهُ».

أيُّها المسلمون:

إذا أظهر العبادُ ذنوباً تتابعتْ عليهم العقوبات، وكلَّما قلَّت المعاصي في الأرض ظهرتْ فيها آثارُ البركةِ من اللَّه، وانتشارُ المعاصي وَفُشُوُّها سببٌ لِنزْعِ الخيرات والبركات، قال سبحانه: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، وللمعصية أعظمُ تأثيرٍ في مَحقِ بركةِ المالِ والعُمُرِ والعلم والعمل، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**» (رواه أحمد)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَبِالجُمْلَةِ

فَالمَعْصِيَةُ تَمْحَقُ بَرَكَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةً فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ»، ولا يُنالُ ما عند اللَّهِ إلَّا بطاعته، والسَّعادةُ في القربِ من اللَّه، وبالإكثارِ من الطَّاعاتِ تَحُلُّ البركات، وبالرُّجوعِ إليه تَتَفتَّحُ لك أبوابُ الأرزاق.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مَحْقُ البركةِ يَجْلِبُ قلَّةَ التَّوفيقِ وفسادَ القلب، وأنفعُ الأشياءِ أبركُها، ومَنْ باركَ اللَّهُ فيه وعليه فهو المبارك، ولا تُرتَجى البركةُ فيما لم يَأْذنْ به الشَّرعُ الحكيم.

وبالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تزكو النَّفس، وتَصلحُ الأحوال، وتَحُلُّ البركات على المجتمعات.

ومَنِ التزمَ الصِّدقَ في البيان أُلْقيتِ الحكمةُ على لسانه، والسَّدادُ في أفعاله.

ومَنْ أخذ المالَ بغير حقِّه بارَ نفعُه، قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ» (متفق عليه)، والرِّبا عديم النَّفع، ماحِقٌ للمال، جالبٌ لِلْهمِّ، يجري آكِلُه خلف سَرَاب؛ قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، والحلِف مَنْفَقَةٌ للسِّلعة مُمْحِقٌ للكسب، ومنعُ الصدقةِ خشيةَ النفادِ تَلَفٌ للمال، قال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ

يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» (متفق عليه).

فالْزمْ جانبَ العُبوديَّةِ والاقتداء، وابْتَعِدْ عن المُحرَّمات والشُّبُهات - في المال -؛ يُبَارَكْ لك في الأخذِ والعطاء.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

ذِكْرُ اللَّهِ (١)

الحمدُ للَّه مُعزِّ مَنْ أطاعَه واتَّقاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضاعَ أمرَه وعَصَاه، ووفَّق أهلَ طاعتِه لِمَا يحبُّه ويرضاه، أَحْمَدُه على جزيلِ كَرَمِه وما أَوْلَاه، وأَشْكُرُه على آلائه الجسيمةِ وما أسداه.

وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه، ولا نعبدُ إلَّا إيَّاه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ عبدٍ اجتباه، وأفضلُ رسولٍ اصطفاه، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ كان هواه تبعاً لهداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وعظِّموا أوامرَه واجتنبوا نواهيه.

أيُّها المسلمون:

لقد أمرنا اللَّهُ تعالى بذكره وطاعته؛ فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقال ﷺ لِمَنْ طلب منه أن يوصيه: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (رواه الترمذي).

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة تسع عشرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

ولقد كان ﷺ أكملَ الناسِ ذكراً للَّه ﷻ، كان كلامُه في ذكر اللَّه وما والاه، يُثني على اللَّه ﷻ ويُمَجِّدُه ويُسبِّحُه ويَحْمدُه ويَسألُه ويدعوه، كان يَذكرُ اللَّه في كلِّ أحيانه وأحواله، يَذكرُ اللَّه قائماً وقاعداً وعلى جنبه، ويَذكرُه ماشياً وراكباً، ويَذكرُه أثناء سيره ونزوله، وفي ظعنه وإقامته، وإذا استيقظ من نومه، وإذا استفتح الصَّلاة، وإذا خرج من بيته، وإذا دخل المسجد، وفي المساء والصَّباح، وعند لُبْسِ الثَّوبِ، ودخولِ المنزل، ودخولِ الخلاء، وعند الوضوء، وسماعِ الأذان، ورؤيةِ الهلال، والأكلِ والعطاس، وغير ذلك من الأوقات والأحوال.

عبادَ اللَّه:

إنَّ القلوبَ لا غِنَى لها عن قِوام الحياةِ والنَّماء، فهي تَصْدأُ بالغَفْلةِ وتَظْمأُ بالإعراض وتَجِفُّ باتِّباعِ الهوى، ولذا فهي تَحتاجُ إلى جَلاءٍ وَرِيٍّ يُزيلان عنها الصَّدأ والظَّمأ والقسوة، والمرءُ في هذه الحياة محاطٌ بالأعداء من كل جانب؛ نَفسُه الأمارة بالسُّوء وهواه وشيطانه، فهو في حاجة إلى ما يُؤَمِّنُه ويُحرِزُه، وإنَّ من أكثر ما يُزيلُ تلك الأدواءِ ويَحرسُها من الأعداء: ذكرَ اللَّهِ والإكثارَ منه، فهو جِلاء القلوبِ ودواؤها.

والذَّاكر الحيُّ، والمستقيمُ الحقُّ، يُراقبُ ربَّه في كلِّ حال، وحيثما كان، لقد حَثَّ الدينُ الحنيفُ على اتِّصال المسلم بربِّه، لِيَحيى ضَميرُه، وتَزكوَ نفسُه، ويَتطهَّرَ قلبُه، ويَستمِدَّ منه العون والسَّداد، ولأجل هذا جاء في محكم التَّنزيل والسُّنَّة النَّبويَّة الأمرُ بالإكثار من ذكر اللَّه ﷻ على كلِّ حال، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفۡلِحُونَ﴾، ذِكرُ اللَّه تعالى منزلةٌ من منازل هذه الدَّار، يَتزودُ منها الأتقياء، ويتَّجرُ فيها الأنقياء، وهو قُوتُ القلوب؛ متى ما فارقها صارت الأجساد لها قبوراً.

الذَّاكرون المُخبِتُون يَعيشون لربهم مصلِّين حامدين عاملين، قطعوا إغراءات العاجلة وجواذب الإخلاد إلى الأرض، يبتغون وجهه ويذكرون اسم اللَّه في جميع أحيانهم وشؤونهم.

المسلمُ الذَّاكرُ صاحبُ قلبٍ سليمٍ مُسْتَسلِم للَّه، وهو في جانبٍ آخرَ صاحبُ كَدْح، شريفٌ لا تُؤثرُ فيه مشاعرُ الرَّغبةِ والرهبة من غير اللَّه، تَستوي عنده الخَلوة والجَلوة، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ؛ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ؛ خَنَسَ»؛ فالذُّنوبُ يَرتكبُها العاصي إذا غفل ونسي ذكرَ اللَّه.

أيُّها المسلمون:

الذِّكرُ ميزانُ الرِّفعةِ والتَّكريم، ومقياسُ المفاخرة، وخيرُ ما يُعَطَّرُ به اللِّسان، وأطهرُ ما يَمُرُّ بالفم، وتَنطِقُ به الشَّفتان، وأسْمى ما يتألَّقُ به العقلُ المسلمُ الواعي؛ يقولُ مكحولٌ رحمه الله: «ذِكْرُ اللَّهِ شِفَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ».

النَّفسُ حالَ قصورِها عن تحقيق مَرامِها تَشعرُ بالضِّيق والقلق، إلَّا أنَّ ذكرَ اللَّهَ يُحيي فيها استشعارَ عظمةِ اللَّهِ، والاستسلامَ للقضاء، فيتحوَّلُ حالُها إلى السَّعادة والطُّمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.

دوامُ ذكرِ الرَّبِّ يُوجبُ الأمانَ مِنْ نسيانِه الذي هو سببُ شقاءِ العبدِ في معاشِه ومعادِه، وهو نورٌ للذَّاكرِ في الدُّنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يَسعى بين يديه على الصِّراط، فما استنارت القلوبُ والقبورُ بمثله.

إنَّه بابٌ مفتوحٌ بين العبدِ وبين ربِّه ما لم يُغلقْه العبدُ بغفلته، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفَقَّدُوا الحَلاوَةَ فِي ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الذِّكْرِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمُ الحَلاوَةَ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ البَابَ مُغْلَقٌ».

هو غراسُ الجنَّة؛ به تُرفعُ الدَّرجات، وتُغفرُ السَّيِّئات، وتُسْتَدفعُ الآفات، وتُسْتَكْشفُ الكُرُبات، وتَهُونُ به على المصابِ المُلِمَّات، لقد سَمِعَ اللَّهُ تَسبيحَ يونسَ في الظُّلمات؛ ففرَّجَ اللَّه عنه كَرْبه؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

الذِّكرُ يَجلِبُ الفرحَ والسُّرورَ والرِّزقَ والمهابة، ويُوجبُ مراقبةَ اللَّه، وكثرةَ عبادتِه، والإنابةَ إليه، والقُربَ منه، وسببٌ للنَّجاة من عذابه، وسببٌ لِنزولِ السَّكينة، وغِشيانِ الرَّحمة، وحُفوفِ الملائكة بالذَّاكر، بل ويَرْقَى بالذَّاكِرين الحالُ إلى أن يُباهي بهم ربُّهم ملائكتَه، كما أخرج مسلم في صحيحه من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ:

أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي؛ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ»، مَنْ عَرَفَ عظمةَ اللَّهِ أكثرَ من ذِكْره، ومَنْ ذَكَر اللَّهَ في الرَّخاء ذَكَره في الشِّدَّة.

أيُّها المسلمون:

وكما أنَّ ذكرَ اللَّه تعالى طُمأنينةٌ للقلوب، فهو مِنْ أعظمِ أسبابِ الفوزِ والفلاحِ بأعظمِ المطلوب، ومِنْ أهمِّ وسائلِ السَّلامةِ مِنْ كُلِّ مكروهٍ ومرهوب، ذِكرُه يُوجِبُ طُمأنينةَ القلوبِ وخَشيتَها ووَجَلَها وإِخْبَاتها، قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهو مِنْ أسبابِ العِصْمةِ مِنَ الشَّيطانِ والنَّصرِ على الأعداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الإكثارُ منه جِسْرٌ يَصِلُ به العبدُ إلى مرضاةِ ربِّه، وهو فَكَاكٌ من أسْرِ الهوى.

أيُّها المسلمون:

صرعى الغفلةِ وقِلَّةِ الذِّكرِ يَكْثُرُون في الدُّور الخالية من ذكر اللَّه، فكم من إنسانٍ صَرَعَه الجانُّ فهو يتوجع؟! وكم من إنسانٍ أصابته العينُ فهو يَتألَّم؟! وكم من مسحورٍ يَتلهَّف؟! أين أولئك من تلك الحصونِ المَكينة، والحروزِ الأمينة، من أذكار الصباح والأصيل؟! يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» (متفق عليه).

وفي العصرِ الحاضرِ انتشرتِ المعارفُ والعلومُ، وازدادتِ الرَّفاهية، ومع هذا فاضطرابُ الأعصابِ وانتشارُ الكآبةِ والأمراضِ النَّفسيَّةِ في ازدياد، إلَّا أنَّ ذكرَ اللَّهِ في النَّوازلِ عزاءٌ للمسلم ورجاءٌ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، ولو لَزِمَ المُسلمونَ التَّحصُّنات والتَّعوُّذات الشَّرعيَّة من الأوراد والأذكار لَمَا تجرَّأ بعد ذلك ساحر، ولا احتار مسحور، ولا تكدَّر صفوٌ ولا تنغَّص هناءٌ.

الإنسانُ في يومِه وليلتِه؛ في أذكارٍ للطَّعام والشَّراب، والسَّفر والإياب، والاستيقاظِ والمتاعبِ والمصاعبِ، والصِّحَّةِ والمرضِ، أذكارٍ للدُّنيا وهمومِها، والديونِ ومغارمِها، في طلب المعاش، ومقاربةِ الأهل، وصلاحِ الذُّرِّيَّة، أذكارٍ وتسبيحاتٍ ودعواتٍ وتضرُّعاتٍ مقرونةٍ بتعاطي الأسباب، والكدحِ المشروعِ في هذه الدُّنيا، إيمانٌ وعمل، عقيدةٌ ومنهج، وانطلاقٌ خاشع: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وأفضلُ الذِّكرِ ما تواطأَ عليه القلبُ واللِّسان، واستشعرَ عظمةُ الرَّحمن، فاللِّسانُ ترجمانُ القلب، والقلبُ مستحفظٌ للخواطر والأسرار، ومن شأنِ الصَّدرِ أن يَنشرحَ بما فيه من ذكر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه الَّذي يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَه، ويَزيدُ مَنْ شَكَرَه، ويَتُوبُ عَلى مَنْ تابَ إليه واسْتَغْفَرَه، ويُعذِّبُ مَنْ جَحَدَه وكَفَرَه، أَحْمَدُه على سابغِ نِعَمِه وأَسْأَلُه المزيدَ من فضلِه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، أَمَرَ المؤمنين بتقواه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الذَّاكرين وقدوةُ الشَّاكرين، صلى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه والتَّابعين.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّهَ حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

طُوبَى لِمَنْ أَنْفقَ الفضلَ من مالِه، وأَمْسكَ الفضلَ من قولِه، وأكثرَ من ذكرِ ربِّه، والمَحرومُ مَنْ غَفَلَ عن ذكرِ اللَّه واسْتَعْبدَه هواهُ وشيطانُه، وشُغِلَ عن ذِكْرِ فَاطِرِه وبَارِئِه.

ومن شاء أن يَسكنَ رياضَ الجَنَّة في الدُّنيا: فلْيَسْتَوطِنْ مجالسَ الذِّكر؛ فإنَّها رياضُ الجنَّة، مجالسُ الذِّكرِ مجالسُ الملائكة، ومجالسُ اللَّغوِ والغَفْلةِ مجالسُ الشَّياطين، فَلْيَختَرِ العبدُ أعجبَها إليه!

وما من ساعةٍ تمرُّ بابن آدمَ لا يذكرُ اللَّهَ فيها إلَّا تَحَسَّرَ عليها يومَ القيامة، ولا يَتحسَّرُ أهلُ الجنَّةِ إلَّا على ساعةٍ مرَّت بهم لم يذكروا اللَّه فيها.

والمسلمُ الذي يَنقادُ لِربِّه، ويَذكرُه بلسانِه، إنَّما يُنِيرُ دروبَ حياتِه ومعادِه، ويُحْرِزُ نفسَه مِن كيدِ الشَّيطانِ ووسوستِه، ويُكْسِبُ وَجهَه نُضْرةً وبَهاءً.

وما أحوجَ المسلمين اليومَ إلى ذكرِ اللَّهِ واستغفارِه ومناجاتِه! وما أفقرَهم إلى نورِ الذِّكرِ لِيُبَدِّدَ ما اكْتَنفَ حياتَهم مِن ظلام، ويَجمعَ ما تشتَّتَ مِنَ القلوبِ والهموم، وما تَبدَّدَ مِنَ الإرادةِ والعزائم!

أيُّها المسلمون:

«أَحَبُّ الكَلامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» كنز من كنوز الجنَّة، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»، و«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»؛ بذلك صحَّتِ الأخبارُ عن النَّبيِّ المختارِ عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام.

ذِكْرُ اللَّهِ هو ختامُ الأعمالِ الصَّالحة؛ فهو ختام الصَّلاة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، وختامُ الصِّيام:

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، وختامُ الحجِّ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وهو ختامُ الدُّنيا، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فاتَّقوا اللَّهَ - عبادَ اللَّه - واعمروا أوقاتَكم بِذكرِه على وَفْقِ الشَّرعِ في خشوعٍ للَّه، وتَضَرُّعٍ ومناجاة، وذُلٍّ وانكسار، فهو حياةُ القلوبِ وتربيةُ النُّفوس.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضَائِلُ الذِّكْرِ (١)

الحمدُ للَّه مُعزِّ مَنْ أطاعَه واتَّقاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمرَه وعَصَاه، أَحْمَدُه سبحانه على جزيلِ كَرَمِهِ وما أَوْلَاه، وأَشْكُرُه على آلائه وما أسْدَاه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له، لا ربَّ لنا سواه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ عبدٍ اجْتَبَاه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ كان هواه تبعاً لِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى، واعلموا أنَّ أقدامَكُم على النَّارِ لا تَقْوى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ القلوبَ تَصْدَأُ بالغفلة، وتظمأُ بالإعراض، وتَجِفُّ باتِّباع الهوى، ولا غِنى لها عن التَّعلُّقِ باللَّهِ، وتحتاجُ إلى جِلاءٍ يُزيلُ عنها الإعراضَ والغفلة، والمرءُ في حياته مُحاطٌ بالأعداء من كلِّ جانب - شيطانٍ وَهَوًى ونفسٍ أمَّارةٍ بالسُّوء -، ولزاماً عليه اللُّجوءُ إلى ما يَحْفَظُه ويُحرِزُه.

وإنَّ مِنْ أنفعِ ما يُزيلُ تِلكَ الأدواءِ ويَحرُسُ العبدَ من الأعداء:

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر رجب، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

ذِكرَ اللَّهِ والإكثارَ منه؛ فهو جِلاءُ القلوبِ ودواؤُها، ومنزلةٌ من منازلِ هذه الدَّار، يتزوَّدُ منها الأتقياء، ويتَّجِرُ فيها الأنقياء.

الذَّاكرون المُخبِتون يَحْيَوْن لربهم حامدِين عاملين، قَطعوا إغراءاتٍ عاجلةً وجواذبَ الإخلادِ في الحياة، المسلمُ الذَّاكرُ ذو قلبٍ سليم مستسلمٍ للَّه، وهو في جانبٍ آخرَ صاحبُ كَدْحٍ شريف، الخَلوةُ والجَلوةُ عنده سواء، يسعى للقربِ من اللَّه.

وذكرُ اللَّهِ ميزانُ الرِّفعةِ والتَّكريم، وخيرُ ما نطق به النَّاطقون، وأشرفُ ما أُمْضِيَتْ فيه الأوقات، وصُرِفَتْ فيه الأنفاس، غِراسُ الجنَّة، به تُرفعُ الدَّرجات وتُحطُّ السيِّئات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (رواه أحمد)، وبه تُستدفَعُ الآفاتُ، وتُستكشَفُ الكُرُبات، وتَهونُ به على المُصابِ المُلِمَّات، جالبٌ للنِّعم دافعٌ للنِّقم؛ ما استُجْلِبَتْ نِعمةٌ ولا استُدْفِعَتْ نِقمةٌ بمثلِ ذكرِ اللَّه، سَمِعَ اللَّهُ تسبيحَ يونسَ عليه السلام في ظلمات البحر؛ ففرَّج اللَّه عنه كَرْبَه، قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

إنَّ النَّفسَ حالَ قُصورِها عن تَحقيق مَرامِها تُغشَى بالضِّيق والهمِّ، وذكرُه تعالى يَجعلُ في الكَربِ طُمأنينة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، قال مكحولٌ رحمه الله: «ذِكْرُ اللَّهِ شِفَاءٌ، وَذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ»، ومَنْ فُتِحَ له الخيرُ أُلْهِمَ الذِّكر، ومَنْ ضلَّ بقي الخيرُ مُغلقاً دونه.

إنَّ نسيانَ اللَّهِ لعبده سببُ الشَّقاء في المعاشِ والمعاد، وذكرُ ربِّ

العالمين أمانٌ من نسيانِه، ومَنْ عرف عظمةَ اللَّهِ أكثرَ مِنْ ذكرِه، ومَنْ ذَكَرَ اللَّه في الرَّخاءِ ذَكَرَه في الشِّدَّة.

إنَّه بَهاءٌ للذَّاكرِ في الدُّنيا، وضِياءٌ له في قبرِه، ونورٌ له في معادِه يَسعى بين يديه على الصِّراط؛ فما استنارتِ القلوبُ والقبورُ بمثله، بابٌ مفتوحٌ بين العبدِ ومعبودِه ما لم يُوصِدْهُ العبدُ بغفلته، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَفَقَّدُوا الحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِالصَّلَاةِ، وَالذِّكْرِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمُ الحَلَاوَةَ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ البَابَ مُغْلَقٌ».

أيُّها المسلمون:

ذكرُ اللَّه يُوجبُ الأُنسَ والسُّرورَ، وبَسْطَ الرِّزقِ، والمهابةَ والخشيةَ، والإنابةَ والتَّقوى، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهو من أسبابِ العِصمةِ من الشَّيطانِ، والنَّصر على الأعداء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ؛ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ؛ خَنَسَ».

الإكثارُ منه مُوصِلٌ إلى مرضاتِ اللَّه، وفَكاكِ النَّفسِ من أَسْرِ الهَوى، وبِنسيانِ اللَّهِ تَضْعُفُ الهمَّةُ والإرادة، والقلبُ الذَّاكرُ كالحيِّ في ديارِ الأحياء، والقلبُ الغافلُ كالميتِ في دورِ الأموات، وأبدانُ الغافلين قبورٌ لقلوبهم، وقلوبُهم فيها كالأموات في القبور، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» (متفق عليه).

وإذا خلا الذِّكرُ من البيوتِ أحاطتْ به الشُّرور؛ فكم من إنسانٍ صرَعه الجانُّ؟! وكم من إنسانٍ يَتألَّمُ من أثرِ العين؟! وكم مِن مسحورٍ يتلهَّفُ من ضررِ السِّحر؟! أين أولئك من تلك الحصونِ المتينة، والحروزِ الأمينة من أذكارِ الغُدوِّ والآصال؟

وفي هذا العصرِ - ومع انتشارِ المعارفِ والعلوم، وازديادِ الرَّفاهية والمادَّة - إلَّا أنَّ انتشارَ الكآبةِ والأمراضِ النَّفسيَّة في كثرةٍ ونُموٍّ، وذكرُ اللَّه ودعاؤه في النَّوازل والأهوال عزاءٌ للمسلم ورجاء ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، ولو لزم المسلمون التَّحصُّناتِ والتَّعوُّذاتِ الشَّرعيَّةَ - من الأوراد والأذكار - لَمَا تكدَّرَ صَفوٌ ولا تَنَغَّصَ هَناء.

أيُّها المسلمون:

إنَّ السَّعيدَ مَنْ أمسكَ الفضلَ من قوله، وأكثرَ من ذكر ربِّه، والمَحرومَ من غَفَلَ عن ذكر ربِّه واستعبده الشَّيطانُ والهوى، ومَنِ ابتغى مجالسَ الملائكةِ والرُّتوعَ في رياض الجنَّة؛ فلْيَسْتَوطنْ مجالسَ الذِّكر، فهي أزكى المجالسِ وأشرفُها وأنفعُها، وتَصونُ النَّفسَ عن الغِيبة والكذب والبهتان.

واحذرْ مجالسَ اللَّغوِ والغفلة؛ فما من ساعةٍ تَتخطَّى ابنَ آدم لا يَذكرُ اللَّه فيها؛ إلَّا تَحسَّر عليها يوم القيامة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه الَّذي يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَه، ويَزِيدُ مَنْ شَكَرَه، أَحْمَدُه تعالى على سابغِ نِعَمِه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آلِه وصحبِه، ومَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّته واهتدى بِهُداه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الذَّاكرُ المُنقادُ لربِّه يُنيرُ دروبَ حياتِه ومعادِه، وما أحوجَ المسلمين اليومَ إلى ذكرِ اللَّهِ واستغفارِه! وما أفقرَهم إلى نورِ الذِّكرِ؛ لِيُبَدِّدَ ما اكْتَنفَ حياتَهم من ظلامِ حالِك؛ لِيَجمعَ ما تَناثَرَ مِنَ القلوبِ والهِمَم، وما تَفرَّقَ من الإرادة والعزائم!

عبادَ اللَّه:

«أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّه، وَالحَمدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، و«لَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» كنزٌ من كنوز الجنَّة، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبَحَمْدِهِ، فِي يَومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدَ البَحْرِ»، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»، بذلك صحَّتِ الأخبارُ عن النَّبيِّ المختار ﷺ.

إنَّ ذكرَ اللَّه هو ختامُ الأعمالِ الصَّالحة وختامُ الدُّنيا، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه أبو داود).

فاتَّقوا اللَّهَ واعمُروا حياتَكم بذكرِه على وَفْقِ الشَّرع في خشوعٍ وتَضرُّع، ومَنْ يَبِسَ لسانُه عن ذكرِ مولاه نَطقَ باللَّغوِ والباطل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

التَّسْبِيحُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ متَّصفٌ بالكمالِ في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه، متنزهٌ عن العيوب والنَّقائص، وما لا يليق بجلالِه وكمالِه، أثبتَ لنفسِهِ الأسماءَ الحسنى، والصفاتِ العُلى، وقَرَنَ ذلك بالتَّسبيح: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ومِنْ أسمائِه سبحانه: **السُّبُّوح**؛ أي: المُنزَّه عن كلِّ سوء، و«سبحان اللَّه» كلمةٌ يُعظَّمُ بها الرَّبُّ، وتَعْنِي: أنَّ اللَّهَ مُنزَّهٌ عن كلِّ عَيْبٍ - من الصَّاحبةِ والوالدِ والولدِ وغير

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر شعبان، سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

ذلك -، ومِنْ كلِّ نقصٍ - من العجزِ والنَّومِ والموتِ وغيرها -، وكلُّ ما ينافي أسماءه وصفاتِه فهو مُسبَّحٌ عنه.

واللَّهُ سبَّح نفسَه في مواطنَ تعظيمِه وإجلالِه وتنزيهِه، ونفى عن نفسِه ما نسبه إليه المشركون من الشُّركاءِ واتخاذِ الولد، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وافتتح اللَّه به سبعَ سُوَرٍ من كتابه، وقَرَنَ تسبيحَه بالتَّوكُّل عليه فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾.

وتَسبيحُ اللَّهِ مع إثباتِ المحامدِ له أفضلُ الكلام، وهو ما اصطفاه اللَّهُ للمقربين إليه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أيُّ الكَلامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**» (رواه مسلم).

وحَمَلَةُ العرشِ لا يَنقطعون عن التَّسبيح، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، والملائكةُ مع ما وكِّلَ إليهم من الأعمال العظيمة دائبون على التَّسبيحِ من غير انقطاعٍ ولا تَعبٍ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، وهم بتسبيح ربِّهم يَشْرُفون: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، و«**إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا** - تَعْظِيماً لِأَمْرِ اللَّهِ -» (رواه مسلم).

والسَّمواتُ والأرضُ ومَنْ فيهنَّ كلُّها تُسبِّحُ للَّه مُقِرَّةً بكمالِه خاضعةً لسلطانِه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

والرُّسلُ صفوةُ الخلقِ دعوا أقوامَهم إلى التَّسبيح، وتَحلَّوا به، فموسى عليه السلام أرسله اللَّه إلى فرعون فسأل ربَّه وزيراً يُشارِكُه في رسالتِه وكثرةِ التَّسبيح: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾، وزكريا عليه السلام بشَّره ربُّه بيحيى، وجعلَ له آيةً على وجود الولد، وهي عدمُ قدرتِه على كلامِ الناسِ إلا بالإشارة، وأَمَرَه اللَّهُ وهو على تلك الحالِ بملازمة التَّسبيح؛ فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾، وخرجَ على قومِه ولسانُه محبوسٌ عن كلامِهم من غيرِ آفةٍ ولا سوء، وأمرهم بالإشارة بتسبيح اللَّه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

وشأنُ العلماءِ في الأُمَم تنزيهُ اللَّه عن العيوبِ والنَّقائص؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

واللَّهُ أمرَ نبيَّنا صلى الله عليه وسلم أن يُسبِّحه أوَّلَ النَّهار وآخِرَه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، وأوَّلَ الـلَّـيـل وآخـرَه: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

ولِعظيمِ شأنِ التَّسبيحِ وحاجةِ الخلق إليه فإنَّ مِنْ مقاصدِ الرِّسالة دعوةَ الخلق إليه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وبذلك أمر اللَّهُ عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

والمؤمنون إذا سمعوا كلامَ اللَّه: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، والمخلوقاتُ على اختلافِها تُسَبِّح للَّه، فالرَّعد يُسبِّحُ للَّه: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾، والطُّيورُ والجبالُ سبَّحتْ بِتسبيحِ داودَ عليه السلام: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾، حتى النَّملُ يُسبِّحُ للَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ؛ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ» (رواه البخاري).

وما من شيءٍ في الكونِ إلا وهو يُسبِّحُ للَّه ويَحمدُه مُقِرّاً بِكماله، خاضعاً لسلطانه، قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقد أسمعَ اللَّهُ بعضَ خَلقِه ما شاء من ذلك، قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِن بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ» (رواه البخاري).

والخلقُ كلُّهم مأمورون بِتنزيهِ اللَّهِ وإجلالِه وعبادتِه، ومن استكبرَ منهم عن ذلك فالملائكةُ يُسبِّحون اللَّه، واللَّهُ غنيٌّ عن جميع خلقِه: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾.

واللَّهُ سبَّحَ نفسَه المقدَّسة، وأرشدَ عبادَه إلى تسبيحِه في المساءِ والصَّباح: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾، وهو مِنْ أفضلِ زادِ الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ؛ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» (رواه مسلم).

والمساجدُ بيوتُ اللَّه، أَذِنَ برفعِها لِيُذكرَ اللَّهُ فيها ويُسَبَّح: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾، والصَّلاةُ استفتاحُها وركوعُها وسجودُها تسبيح، وبعد الفراغِ منها تسبيح مع تحميدٍ وتكبيرٍ.

وحياةُ النَّبيِّ ﷺ كلُّها تسبيح، إذا قرأ القرآنَ ومرَّ بآيةٍ فيها تنزيهٌ للَّه سبَّح، وإذا قام من اللَّيل يُطيلُ التَّسبيحَ في ركوعِه وسجوده، وإذا سَمِعَ ما لا يَليقُ بجَنابِ الرُّبوبيَّة سبَّح اللَّه؛ بل ويُكرِّر تسبيحَه حتى يُعرفَ ذلك في وجوهِ أصحابِه، وإذا ركِبَ دابَّةً في سفرٍ سبَّح، وإذا نزلَ أو هَبَطَ وادياً سبَّح، وإذا رأى الأمرَ الذي يُتَعجَّبُ منه سبَّح، وإذا أوى إلى فراشه سبَّح ثلاثاً وثلاثين مع تحميدٍ وتكبيرٍ.

والتَّسبيحُ مَفزَعُ الأنبياءِ عند الشَّدائد، يونسُ عليه السلام وهو في ظلماتِ اللَّيلِ والبحرِ وبطنِ الحوتِ نادى ربَّه بالتَّوحيد والتَّسبيح: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فنجَّاه اللَّه، وقال: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾، ولـمَّا تـجلَّى اللَّـهُ للجبل وجَعَلَه دكّاً خَرَّ موسى صَعِقاً، وكان أوَّلَ قولِه حينَ أفاق: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وحدَثَ في الكون أمرٌ عجيبٌ بذهابِ ضوءِ الشَّمس؛ فخرج النَّبيُّ ﷺ من بيته فَزِعاً، فصلَّى وذكرَ اللَّهَ مع التَّسبيح حتى انكشفَ ما بهم.

وحين اشتدَّ أذى المشركين بالنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام أمرَه اللَّه بالإكثار من التَّسبيح؛ قال عز وجل: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ

﴿ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾، ولمَّا أحاطَ به الهمُّ وضاقَ به الصَّدرُ من الأذى أخبره اللَّهُ أنَّ انشراحَ الصَّدرِ في التَّسبيح والصَّلاة: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

وتَسبيحُ اللَّهِ وذكرُه قربةٌ إلى اللَّه، فهو قوةٌ في البدن؛ اشتكتْ فاطمةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى النَّبيِّ ﷺ تَعبَ الخدمةِ في بيتِ زوجها، فأمرها بالتَّسبيحِ والتَّكبيرِ والتَّحميد (متفق عليه).

وخيرُ ما يَخْتِمُ به العبدُ مجلسَه ذِكْرٌ مَطْلَعُهُ تَسبيح، قاله النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**» (رواه الترمذي).

ولمَّا بلَّغ النَّبيُّ ﷺ الرِّسالةَ وأدَّى الأمانةَ أمرَه ربُّه بالإكثار من التَّسبيح؛ لِيستكْملَ ما تبقى له من مقاماتِ العُبوديَّة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۞ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۞ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؛ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: **سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» (متفق عليه).

ولا يَنقطعُ التَّسبيحُ بانقضاءِ الدُّنيا، ففي يوم القيامةِ يَتبرَّأُ الملائكةُ - مُسبِّحينَ اللَّهَ - ممَّن عبدهم من دون اللَّه، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۞ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المحشَر يَتبرَّأُ ممَّن غلا فيه مُسبِّحاً للَّه ومنزِّهاً إياه من

عبادتهم له: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾.

وإذا تَجَلَّى اللَّهُ للفصلِ - بكمالِ رحمته وعدلِه - بين الخلائقِ يومَ القيامةِ؛ لتمييزِ مَنْ يدخلُ الجنةَ مِمَّن يدخلُ النَّارَ تُسبِّحُ الملائكةُ بِحمدِ اللَّهِ وهم حافُّون من حولِ العرش، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

وإذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ أوَّلُ دُعائِهم فيها التَّسبيح: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، وإذا سكنوها لا يُفارقُهم التَّسبيح، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ ... يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، حَمِيدٌ عظيمٌ، يُحبُّ مَنْ يُعظِّمُه ويَحمدُه ويُسبِّحُه ويُقدِّسُه، جَمَعَ المَحامِدَ والمَحاسِنَ كلَّها، وهو أهلٌ لها، وأَرَى خلقَه آياتِه؛ لِيُنزِّهوه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، ويَحْمَدُوه على الكمال، ومِنْ تنزيهِه الإكثار من تسبيحه، والبعد عما يُغْضِبُه أو يُبغضُه، ومِنْ تعظيمِه كثرةُ حمدِه، وفِعلُ الطَّاعات والثَّناءُ عليه في كلِّ حين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّسبيحُ حقٌّ للَّه وحده، وهو يُحْيِي القلوبَ ويُحَقِّقُ التَّوحيدَ ويُضَاعِفُ الأجور؛ فتسبيحةٌ واحدة يُكتبُ بها للعبد عشرُ حسنات، ويُحطُّ عنه من الخطايا مثلُها، قال النَّبيُّ ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» (رواه مسلم).

واللَّهُ يُحِبُّ التَّسبيحَ والحمدَ، والمِيزانُ يَثقُلُ بهما، قال النَّبيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» (متفق عليه)، ووزنُهما كبيرٌ ثَقيلٌ، تَرجُحُ بِهما الموازين، قال النَّبيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ؛ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» (رواه مسلم)، وهما يَحُطانِ الخطايا وإِنْ كثرت الذُّنوب، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ

اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (متفق عليه)، والتَّسبيحُ يعدل الصدقة بالمال؛ «إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً» (رواه مسلم).

ومَنْ سبَّحَ اللَّه مُتدبِّراً ما يقولُ وقلبُه يُوَاطِئُ لِسانَه عَدَلَ تسبيحُه أعمالَ المجتهدين من العُبَّاد؛ «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِ جُوَيْرِيَةَ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قال النَّبيُّ ﷺ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (رواه مسلم).

والسَّعيدُ مَنْ أكثرَ مِنْ تَسبيحِ اللَّه، وأفردَه بالعُبوديَّة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

التَّحْمِيدُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّهِ، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّه من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

معرفةُ اللَّهِ أصلُ الدِّين، واللَّهُ سبحانه تعرَّف إلى عباده بأسمائه وصفاته، وذِكْرُ أسماءِ اللَّهِ وصفاتِه وأفعالِه في القرآن أكثرُ من آيات الحلال والحرام، ومِنْ أسمائه سبحانه: «**الحَمِيد**» الذي له من الصِّفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمُوداً وإنْ لم يحمَدْهُ غيرُه، واسمُه الحميدُ قَرَنَه تعالى في كتابه بالعزَّة والوِلاية والمجد والغِنى والحِكمة.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثاني من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وحَمْدُهُ سبحانه هو مدْحُه والثَّناءُ عليه بصِفَاتِ كمالِه ونُعوتِ جلالِه، والإخبارُ بمحاسِنِه مع حُبِّه وتعظِيمِه؛ فيُحمَدُ سبحانه على كمالِهِ وجمالِهِ في نفسه، وعلى أفعالِه وإكرامِه وإحسانِه إلى خَلْقِه.

واللَّهُ تعالى حَمِد نفسه وأثنى عليها، وهو يُحِبُّ المَدْحَ والحَمْدَ، ومَدْحُه سبحانه لنَفْسِه أعظَمُ المَدْحِ وأعلاهُ، ولا أحدَ أعلمُ منه بما يستحقُّه مِنَ الحَمْدِ، فلا يُحصي أحدٌ مِنْ خَلْقِه ثناءً عليه، قال ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللَّهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَقِيقَةُ هَذَا مَصْلَحَةٌ لِلْعِبَادِ؛ لِأَنَّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْهِ فَيُثِيبُهُمْ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ، لَا يَنْفَعُهُ مَدْحُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُ تَرْكُهُمْ ذَلِكَ».

وافْتَتَحَ اللَّهُ الخَلْقَ بالحَمْدِ، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

وخمسُ سُوَرٍ في كتابِهِ افْتَتَحَها بالحَمْدِ، أخبر فيها أنَّه خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ، وأَنْزَل الكِتابَ، وأَرْسَل الرُّسُلَ، وأَمَاتَ وأَحيَا خَلْقَه، كلُّ ذلك بحمده، وحَمِد نفْسَه على رُبوبِيَّته الشَّاملةِ لذلك كلِّه في افْتِتَاحِ كتابِهِ العظيمِ، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وحملةُ العرش يَحْمَدون اللَّه لا يفْتُرُون، ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وجميعُ الملائكة يَحْمَدون اللَّهَ، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

وما من نبيٍّ إلَّا كان يُظهر الحمدَ لربِّه على اختلاف الأحوال،

فقال اللَّهُ لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾، وقال داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأمر اللَّه نبيَّنا محمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَحْمَدَ اللَّهَ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾، وأَمَرَ سبحانه عبادَه أنْ يَحْمَدوه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾، ومن صفاتِ المؤمنين المَوْعُودين بالجنَّة أنَّهم حامدون للَّه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ﴾، والرعد يُسَبِّح بحمد اللَّه والملائكة من خِيْفَتِه.

وأَخْبَر تعالى أنَّ الحَمْدَ له في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

وحَمْدُ اللَّهِ قد ملأ السَّمواتِ والأرضَ وما بينهما؛ فما مِنْ شيءٍ في الكون إلَّا وهو يَحْمَد اللَّهَ ويسبِّحُه ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

والحَمْدُ للَّه ذِكْرٌ عظيم يُحبُّه اللَّهُ، وهو أحقُّ ما قاله العبدُ من الكلام، ولا يخلو موطن منه في يومِهِ وليلتِهِ، فعلى التَّوحيدِ والحَمْدِ يدور الدِّينُ كلُّه، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحَمْدُ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالتَّوْحِيدِ، وَهُوَ مَنَاطٌ لِلتَّوْحِيدِ وَمُقَدِّمَةٌ لَه، وَلِهَذَا يُفْتَتَحُ بِهِ الكَلَامُ، وَيُثَنَّى بِالتَّشَهُّدِ».

وفي العباداتِ شَرَعَ اللَّهُ لعبادِهِ افْتِتَاحَ الصَّلاة بالحَمْدِ، وكان النَّبيُّ ﷺ يُنوِّع صِيَغَ الحَمْدِ في أوَّل صلاة اللَّيلِ والنَّهارِ، وسمِعَ النَّبيُّ ﷺ رجُلاً في الصَّلاة يقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، فَقَالَ: **عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**» (رواه مسلم).

والفاتحةُ سورةُ الحَمْدِ، لا تَصِحُّ صلاةٌ إلَّا بها، وإذا رفع العبدُ مِنَ الرُّكوعِ قال: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، فإجابةُ اللَّه لعبده معلَّقةٌ على حمده للَّه، ممَّا يجعل الحَمْدَ رُوحَ الصَّلاة وعِمادَها، وكان النَّبيُّ ﷺ يُكثِر من حمدِهِ لِرَبِّه في هذا الرُّكن، ويُنَوِّع صِيَغَه، ويصِفُ حَمْدَه بالكثرة والطِّيب والبَرَكة، وسَمِع رجُلاً يقول بعد الرُّكوعِ: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، فَقَالَ: **رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**» (رواه البخاري).

ومَن قَضى صَلاتَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَكبَّره وسبَّحه غُفِرت خَطَايَاه وإنْ كانَتْ مثلَ زَبَدِ البَحر، ويُدرِك بها المرءُ مَنَازل المتَصَدِّقين بأموالهم (رواه مسلم).

وفي الحجِّ كان النَّبيُّ ﷺ يَحْمَدُ اللَّهَ في أكثر مواطنه، وشِعارُ الحجِّ: التَّلبيةُ، وهي مشتملةٌ على إفراد اللَّه بكمالِ الحَمْدِ «**إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ**» (متفق عليه).

والخُطَبُ الشَّرعية في الجُمَع والأعياد والمجامِع العظام، وكلُّ أمرٍ ذي شأنٍ يُسْتَفتح بحَمْدِ اللَّه.

وحَمْدُ اللَّه والثَّناءُ عليه يأخذ بالألباب، جاء ضِمَادٌ الأَزْدِيُّ إلى النَّبيِّ ﷺ فسَمِعَه يُثْنِي على الرَّب ويحمَدُه في مَطْلَع كلماته: «إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ...، فقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ؛ فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ ضِمَادٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ البَحْرِ - أَيْ: قَعْرَهُ الأَقْصَى -، فَقَالَ - لِلنَّبِيِّ ﷺ -: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَعَلَى قَوْمِكَ - أَيْ: بَايِعْ عَنْ قَوْمِكَ -، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي» (رواه مسلم).

ومجالسُ الذِّكر التي فيها حَمْد اللَّه تَحْضُرُهَا الملائكة، فَيُخبرون اللَّهَ أنَّهم يُسبِّحونَهُ ويُكبِّرونه ويُهلِّلونه ويحمَدُونه ويسألونَه؛ فيَغفِر لهم (متفق عليه).

والدُّعاءُ المُفْتَتَحُ بالحَمْدِ حَرِيٌّ بالإجابة، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ - أَيْ: دَعَا - فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ» (رواه الترمذي).

وكما أنَّ الحَمْدَ ملازمٌ للعبدِ في عباداته فهو ملازمٌ له في أحواله، فكان الرَّسولُ ﷺ إذا أكل طعاماً قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ» (رواه البخاري).

وحَمْدُ اللَّه عَقِب الأكل والشُّرب من أسباب رِضوان اللَّه والقُرب منه، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» (رواه مسلم).

ونِعمةُ المَلْبَسِ قرينةُ الطَّعام والشَّراب، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا لَبِس ثوباً سمَّاه باسمه وقال: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ» (رواه أحمد).

وأمر النَّبيُّ ﷺ مَن عَطس أن يقول: «الحَمْدُ لِلَّهِ» (رواه البخاري)، وإذا رجع مِنْ سفر قال: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» (متفق عليه).

وأوصى النَّبيُّ ﷺ مَن أَوَى إلى فراشه: أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ قبل نومه ثلاثاً وثلاثين مرة؛ فذلك مع التَّسبيح والتَّكبير خير من خادم (متفق عليه).

ومَنْ ردَّ اللَّهُ عليه رُوحه بعد نومه فقد أَنْعَمَ عليه بزيادةٍ في عمره يزداد فيه من الخير، وكان الرَّسولُ ﷺ إذا استيقظ من منامه قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (متفق عليه).

وحَمْدُ اللَّه وتسبِيحُه يشرح الصَّدر ويُعين على الأمور، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

ومَن حرَّك لسانَه بالحَمْدِ مرَّةً واحدة كان له بكلِّ تحميدةٍ أجرُ صدقةٍ بماله، قال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ» (رواه مسلم).

والحَمْدُ أحد أربع كلماتٍ هي أحبُّ الكلام إلى اللَّه، وهي أحبُّ إلى النَّبيِّ ﷺ ممَّا طلعت عليه الشمس مِن الدُّنيا وما فيها (رواه مسلم).

ومَن لازَمَ الحَمْدَ سبق غيرَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» (رواه مسلم).

والحَمْدُ مع التَّهليلِ يَعْدِل عتق رقابٍ، ويوجب حطَّ الخطايا والسَّيئاتِ، و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ» (رواه الترمذي).

وصيغةٌ مِن الحَمْدِ ثوابُها مضاعف؛ قال النَّبيُّ ﷺ لِجُوَيْرِيَّةَ رضي الله عنها: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (رواه مسلم).

والحَمْدُ والتَّسبيحُ خفيفٌ على اللِّسان ثقيلٌ في المِيزان؛ قال عليه الصلاة والسلام: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» (متفق عليه).

«وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ - أَيْ: مِنَ الأَجْرِ -» (رواه مسلم)، والحَمْدُ مع التَّسبيحِ يملأ ما بين السمواتِ والأرضِ.

وكما أنَّ الحَمْدَ فاتحةُ كُلِّ أمرٍ فهو خاتمتُه، فـ«مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (رواه الترمذي).

وبعدَ أنْ أكملَ اللَّهُ الدِّينَ على يد النَّبيِّ ﷺ وأتمَّ عليه النِّعمة ودنا أجله، قال اللَّهُ له: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ﴾.

ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ أكثرُ الخَلْقِ حَمْداً للَّه، ويوم القيامة يَبْعثُه اللَّهُ مقاماً محموداً، يَحْمَدُه عليه الخلائق كلُّهم، ويأتي وبيده لِواء الحَمْدِ - صورةً ومعنًى - يقف تحته الخَلْقُ كلُّهم، قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي**» (رواه أحمد).

وكما افْتَتَح اللَّهُ الخَلْقَ بالحَمْدِ؛ ختم هذا العَالَمَ بالحَمْدِ، فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: وَنَطَقَ الكَوْنُ أَجْمَعُهُ - نَاطِقُهُ وَبَهِيمُهُ - لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، بِالحَمْدِ فِي حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُسْنِدِ القَوْلَ إِلَى قَائِلٍ؛ بَلْ أَطْلَقَهُ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ المَخْلُوقَاتِ شَهِدَتْ لَهُ بِالحَمْدِ».

وحَمْدُهُ سبحانه ثابتٌ له في الدُّنيا، ودائمٌ في الآخرة، فإذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ أوَّلُ كلمةٍ يقولونها: الحَمْدُ لِلَّهِ، قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾، وهم فيها يُلْهَمُون التَّسبيح والتَّحميد كما يُلْهَمُون النَّفس، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُرِيدُ: يَفْتَتِحُونَ كَلَامَهُمْ بِالتَّسْبِيحِ، وَيَخْتِمُونَهُ بِالتَّحْمِيدِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فحَمْدُ اللَّهِ ملأ الدُّنيا والآخرة، والسَّمواتِ والأرضَ وما بينهما

وما فيهما، ومَنْ كَفَرَ مِنَ العِباد به أو بنِعَمِهِ فاللَّه غنيٌّ عنهم؛ قال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾، والنِّعَمُ ابتدأت بحَمْدِه وانتهت إلى حَمْدِه، وهو سبحانه المَعْبُود المَحْمُود، وبالحَمْدِ والشُّكر تدوم النِّعم وتزيد؛ فأكثِرُوا مِن حَمْدِ اللَّه والثَّناءِ عليه ومَدْحِ دينِه وشَرْعِه، فمَدْحُ ما يُحبُّه اللَّهُ مَدْحٌ وحَمْدٌ له.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقه وامتِنَانه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّمَ تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الحَمْدُ قرينُ التَّسبيح وتابعٌ له؛ فالتَّسبيح تنزيهُ اللَّه عن النَّقائص، والحَمْدُ إثباتُ الكمال والجمال له على الإجمال والتَّفصيل، وكلٌّ منهما مُسْتَلْزِمٌ للآخر، وإذا ذُكِر أحدُهما مُفرَداً شمِل معنى الآخَرِ وتضمَّنه.

وذِكْرُ العبد ربَّهُ أَمارة صِدْقِ محبَّتِهِ لِمولاه، ومَنْ عَرَف رَبَّهُ وحَمِدَه في الرَّخاءِ عرفهُ في الشِّدة، ومَنْ ذَكَرَهُ كثيراً كان من المُفْلِحِين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

طَهَارَةُ القَلْبِ وَالبَدَنِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أكرمُ ما أسررتُم، وأبهى ما أظهرتُم.

أيُّها المسلمون:

دينُ الإسلام دينُ الجمالِ والكمال، أمَرَ بطهارةِ القلبِ والبدن، قال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، وأمر بتطهيرِ أماكنِ العبادةِ من الشِّرك والدَّنس: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

ووصفَ اللَّهُ الرُّسلَ بنقاءِ القلوب؛ فقال عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِذۡ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس والعشرين من شهر صَفَر، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وحَفِظَ اللَّهُ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ في صِغرِه من أدواء الصُّدور، قال أنس رضي الله عنه: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصرَعهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ» (رواه مسلم).

ولمَّا أُرْسِل أَمرَهُ اللَّهُ بالحفاظِ على سلامةِ قلبه، فقال له: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قال سعيدُ بن جُبيْرٍ رحمه الله: «وَقَلْبَكَ وَنِيَّتَكَ فَطَهِّرْ»؛ فكان من دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ» (متفق عليه)، ولَمَّا أراد اللَّه أن يُكرمَه بالإسراء والمعراج غَسل قلبَه مرةً أخرى؛ إذ لا يدنو منه سبحانه إلَّا سليمُ الصَّدر، قال عليه الصلاة والسلام: «نَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ عَنْ صَدْرِي - أَيْ: شَقَّهُ -، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ» (متفق عليه).

وأثنى على أهلِ قُباءَ بتقواهم وملازمتِهم كمالَ الطَّهارة؛ قال سبحانه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ﴾، و«الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»، ومَنْ تطهَّر أَحبَّه اللَّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ومِفتاحُ الصَّلاة الطُّهور؛ فلا يدخلُ المصلِّي في صلاته حتى يَتطهَّر.

وجَعَل سبحانه الدُّخولَ إلى الجنَّةِ موقوفاً على الطِّيب والطَّهارة؛

فلا يَدْخلُها إلَّا طيِّبٌ طاهر، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، فمَنْ تطهَّر في الدُّنيا ولقي اللَّه طاهراً دخل الجنَّة، ومن لم يَتطهَّرْ في الدُّنيا فإن كانت طهارتُه معدومةً - كالكافر - لم يَدخلْها بحالٍ، وإن كانت نجاستُه كسبيةً عارضةً وشاء اللَّهُ عذابَه دخلَها بعد ما يَتطهَّرُ في النَّار من تلك النَّجاسة، ثمَّ يخرُجُ منها.

وأهلُ الإيمانِ إذا جازوا الصِّراطَ حُبِسوا على قنطرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّار؛ فيُهذَّبونَ، وينقَّونَ من بقايا بقيتْ عليهم، قَصُرَتْ بهم عن الجنَّة، ولم تُوجِبْ لهم دخولَ النَّار؛ إذْ طهارةُ القلبِ شرطٌ لدخول الجنَّة، قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «لَا يُجَاوِرُ الرَّحْمَنَ قَلْبٌ دُنِّسَ بِأَوْسَاخِ الشَّهَوَاتِ وَالرِّيَاءِ أَبَداً».

وللباطنِ زينةٌ كما للظَّاهرِ زِينةٌ، ومِنْ دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ**» (رواه النسائي).

والقلوبُ كالأبدانِ - منها الصَّحيحُ، ومنها السَّقيمُ، ومنها الحيُّ، ومنها الميِّتُ -، وإذا نُقِّي القلبُ من الأدرانِ امتلأَ بالرَّحمةِ والخير، فاهتمَّ الإسلامُ بكلِّ ما يُصْلِحُ القلبَ ونهى عن جميع ما يُفسدُه، وأعظمُ صلاحٍ له هو التَّوحيدُ بإخلاص الأعمال للَّه وحده، وفسادُ القلب وموتُه بالشِّرك باللَّهِ، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾، وتوعَّدَهم بالخزي والنَّكال فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾،

والمنافقون وصفهم اللَّه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: خُبَثَاءُ نَجِسٌ بَوَاطِنُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ».

والحقدُ والحسدُ داءٌ في القلوب؛ إنْ لم يُتدارَكْ بالدُّعاءِ وسلامةِ الصَّدرِ أَظْلَم بها، قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً» (متفق عليه)، وقدِمَ رجلٌ على النَّبيِّ ﷺ فقال لأصحابه: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ - وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ عَمَلِهِ قَالَ -: إِنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ غِشّاً، وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» (رواه أحمد)، ومِنْ دعاء المؤمنين: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَجْمَعَ لِخِصَالِ الصَّفْحِ وَالعَفْوِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ مِن ابْنِ تَيْمِيةَ».

والقلبُ شديدُ الصَّفاء، سريعُ التَّأثُّر، أدنى معصيةٍ تُؤَثِّرُ فيه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ: زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾» (رواه الترمذي).

وواجبٌ على العبدِ أن يَغْسِلَ قلبَه في كلِّ يوم وليلة، وممَّا يُنَقِّيه: الصَّلواتُ المفروضة، قال النَّبيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا» (متفق عليه)، ومَنْ صلَّى بعد تَطهُّرِه كان سبباً في دخول

الجنَّة، قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ؛ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» (رواه مسلم).

والوُضوءُ دواءٌ للقلوب والجوارح؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - أَوِ: المُؤْمِنُ -، فَغَسَلَ وَجْهَهُ؛ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ - أَوْ: مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ - أَوْ: مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ -، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ المَاءِ - أَوْ: مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ -، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» (رواه مسلم).

ومَنْ أضافَ إلى وُضوئِه كلمةَ التَّوحيد؛ فُتِّحت له أبوابُ الجنَّة الثَّمانية؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ: فَيُسْبِغُ - الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (رواه مسلم).

والزَّكاةُ تُطهِّرُ القلبَ وتُنيرُه؛ قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وكلامُ ربِّ العالمين شفاءٌ للأبدانِ والصُّدور، قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وإخلاصُ الأعمالِ للَّه، ولزومُ جماعةِ المسلمين، والنَّصيحة؛ ممَّا يُصلحُ القلوب، قال النَّبيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، مُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ» (رواه الترمذي).

والحجابُ طُهْرٌ وعَفاف؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾، ومجالسة الصَّالحينَ وحفظُ اللِّسان نقاءٌ للقلب، والبُعدُ عن الفتنِ طهارةٌ له؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا؛ نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا؛ نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ**» (رواه مسلم).

وطهارةُ الظَّاهرِ متمِّمَةٌ لِطَهارةِ الباطن؛ فاهتمَّ الإسلامُ بِطَهارةِ بدنِ الإنسانِ منذ ولادتِه إلى وفاته، فإذا وُلِد أُمِرَ بختانِه، وحَلْقِ رأسِه، وإذا مات غُسِّل وأُحسِنَ كفنُه وطِيبُه.

وكان نبيُّنا ﷺ يُحبُّ الطِّيبَ، ويُرى وَبِيصُ طيبِ المسكِ يَسيلُ مِن مِفْرَقِ رأسِه، وكان يَتسوَّك عند كلِّ وُضوءٍ وصلاةٍ وعند دخولِ المنزل وإذا استيقظ من النَّوم، وأَمَر بما جاءت به الفِطْرة؛ مِنْ قصِّ الشَّارب، وإعفاءِ اللِّحية، والسِّواك، واستنشاقِ الماء، وقصِّ الأظفار، وغسلِ البَرَاجِم، ونَتْفِ الإبط، وحلقِ العَانَة، وانتقاصِ الماء - أي: الاستنجاء -، والخِتَان، ووقَّتَ في قصِّ الشَّاربِ وتَقْليمِ الأظافرِ ونَتْفِ الإبط وحَلْقِ العَانَةِ أن لا تُترَكَ أكثرَ مِن أربعينَ ليلة.

وأَمرَ كُلَّ مسلمٍ بالاغتسالِ كلَّ أسبوع، فقال ﷺ: «**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً؛ يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ**» (متفق عليه)، و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ» (رواه أبو داود)، وأمَرَ بإماطةِ الأذى عن

طُرقاتِ المُسلِمين وقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي - حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا -، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا: الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ» (رواه مسلم).

ووصَفَ كَيفيَّةَ التَّطهُّرِ بعد قضاءِ الحاجة، وَبِمَ يُستَنْجَى، وعددَ الأحجار؛ فنهى عن الاستنجاء باليمين، ونَهَى عن الاستجمار بالرَّوْثِ والعِظام، وأن لَا يُسْتَجْمرَ بأقلَّ من ثلاثةِ أحجار، ونهى عن كُلِّ ما فيه مجانبةُ التَّنزُّهِ أو تمامِه؛ فنهى عن التَّنفُّس في الإناء حالَ الشُّرب، وعن نَفْخِ الطَّعام، وعن الشُّربِ مِن فَمِ القِرْبة أو السِّقاء؛ لأنَّه يُنْتِنُه.

و«إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثاً»، و«إِذَا وَلَغَ الكَلْبُ فِي الإِنَاءِ؛ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ».

ووقَّت في مسحِ الخفَّين يوماً وليلةً للمقيم وثلاثةَ أيَّامٍ ولياليها للمسافر؛ لئلَّا يتأخَّرَ غسلُ القدم بالماء؛ بل توعَّدَ مَنْ لَمْ يَغسلْ كاملَ قدمِه بالنَّار، فقال: «وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» (متفق عليه)، وزَجَر عمَّا فيه رائحةٌ تؤذي فقال: «مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً؛ فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا -، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ» (متفق عليه).

ولنجاسةِ الخمر وإسكارِها؛ توعَّد مَنْ شَرِبَها أن لا تُقبلَ منه صلاةٌ أربعين يوماً.

ونَهَى عن التَّخلِّي في طريقِ النَّاسِ أو ظلِّهم، وعنِ البُصاقِ في المساجدِ، ورغَّبَ في تطهيرِها، وعظَّم مَنْ يقومُ بذلك؛ فكانت امرأةٌ سوداءُ تَقُمُّ المسجد، «فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا:

مَاتَتْ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟ قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا، فَدَلُّوهُ؛ فَصَلَّى عَلَيْهَا» (متفق عليه).

وبَيْنَ الثِّيابِ والقلوبِ مناسبةٌ ظاهرةٌ وباطنة، كلٌّ منهما يُؤَثِّرُ في الآخَر؛ فَنَهى عن لُبسِ الحريرِ والذَّهبِ، وجلودِ السِّباع، وعن الإسبال؛ لِمَا تُؤَثِّرُ في القلبِ من الهيئةِ المنافيةِ للعبوديةِ والخشوع.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فدِينُ الإسلامِ دينٌ لا أكملَ ولا أعظمَ منه، ولا أزكى للعبدِ وأطهرَ له سواه، يأمرُ بمسحِ الأُذُنِ داخلِها وخارجِها في اليوم مرات، والنُّقطةُ الواحدةُ من البولِ تَنقُضُ الوضوء، والكلمةُ الواحدةُ من الكفرِ أو عملٌ واحدٌ يناقضُ الإسلامَ يَخْرجُ به المرء من الدِّين.

والسَّعيدُ مَنْ طهَّرَ قلبَه وجوارحَه ولسانَه وظاهرَه مما يُغضبُ ربَّه، واستعملَها فيما يحبُّه اللَّهُ ويرضاه، وشَكَرَ نِعَمَ اللَّهِ عليه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لا يَستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، والقلبُ السَّليم هو الذي سَلِمَ من الشِّركِ والبِدَع، والغلِّ والحقدِ والحسد، والشُّحِّ والكِبْر، وحُبِّ الدُّنيا، وسَلِمَ مِنْ كلِّ شهوةٍ تُعارِضُ أمرَ اللَّه ومِنْ كلِّ شُبهةٍ تُعارِضُ خَبرَه.

ومِنْ أحقِّ ما يُطهِّرُ به العبدُ حياتَه طهارةُ قلبِه ولسانِه ومالِه مِن المحرَّماتِ والشُّبُهات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خَيْرُ يَوْمٍ فِي العُمُرِ: اليَوْمُ الَّذِي تَتُوبُ فِيهِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خَلق اللَّهُ الإنسانَ للابتلاء والتَّمحيص، والشَّيطانُ ملازمٌ له لغوايته وإضلاله، والنَّفسُ الأمَّارةُ بالسُّوء تؤزُّه إلى ما تهوى - مِنْ تفريطٍ في واجبٍ، أو وقوعٍ في محذورٍ -، واللَّهُ يُعاقبُ على السَّيِّئة بسيِّئةٍ أخرى، وتَتَضاعفُ عقوبةُ السَّيِّئات بعضِها ببعض حتى يَستحكمَ الهلاك، والمعاصي توجب حُزناً وفسادَ حالٍ، وما لا يَعلمُه العبدُ من ذنوبه أضعافُ ما يَعلمُه منها، قال النَّبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع من شهر شعبان، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وبرحمةٍ من اللَّه شرعَ لخلقه عبادةً من أجلِّ العبادات، تُكفِّرُ عنهم سيِّئاتِهم، وتَرفعُ درجاتِهم، وتَستوجبُ رضا اللَّهِ عنهم، ولا يَكمُلُ عبدٌ ولا يَحصلُ له كمالُ قُربٍ من اللَّه إلَّا بها، ومن لم يؤدِّ تلك العبادةَ كان ظالماً لنفسه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، سُلوكُها رفعةٌ وسعادةٌ، واللَّهُ سبحانه يَهبُها لمَنْ يشاء من عباده، قال ﷻ: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، وهي من مقتضيات ربوبيَّته لا يَملكُها أحدٌ من البشر ولو كان من أقربهم إليه سبحانه، قال اللَّه لنبيِّه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

والرُّجوعُ إلى اللَّه ليس نقصاً؛ بل هو من أفضلِ الكمالات، وهو حقيقةُ دينِ الإسلام، والدِّينُ كلُّه داخلٌ في مُسمَّى التَّوبة، وهي غايةُ كلِّ مؤمنٍ، وحاجةُ العبدِ إليها في نهايته وبدايته، والتَّوبةُ الصادقةُ أفضلُ وأحَبُّ إلى اللَّه من كثير من التَّطوُّعات، قال ابن القيِّم رحمه الله: «أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ وَلَا حَقِيقَتَهَا»، وَمِنْ كرمه ﷻ: أنَّه لم يَجعلْ لهذه العبادة زماناً ولا مكاناً لا تُقبلُ إلَّا فيه؛ بل أداؤها مقبولٌ في كلِّ موطنٍ وآنٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» (رواه مسلم).

واللَّهُ سبحانه سمَّى نفسَه التَّوَّاب؛ ليُذكِّرَ العبادَ للإقبال عليه، وهو يُحِبُّ العائدَ إليه، ويَفرحُ سبحانه بتوبة التَّائب، ويريد ﷻ فضلاً منه أن يتوبَ على عباده؛ قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾،

والملائكةُ تدعو لِمَنْ تاب بالمغفرة والنَّجاة من النَّار: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

والأنبياءُ والرُّسلُ تذلَّلوا للَّه بها؛ لمزيدِ العبوديَّة له، وكمالِ صلاحِ القلب، آدمُ عليه السلام أَكلَ من الشَّجرة، فَتَلَقَّى كَلِمَاتٍ من ربِّه فتاب عليه، وموسى عليه السلام لَمَّا رأى الجبل دكّاً: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وداود عليه السلام فَتَنَهُ اللَّه بحُكم: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، ونبيُّنا ﷺ قال: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أي: للَّه توبتي، وتضرَّع الأنبياء إلى ربِّهم أن يتقبَّل منهم تلك العبادة، فقال الخليل وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو في المجلس الواحد مئة مرَّة: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**» (رواه أبو داود).

والمجتمعُ لا يَسعدُ إلَّا بها، فدعت الرُّسلُ أقوامَهم إليها، قال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وقال صالح عليه السلام: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وقال اللَّهُ لهذه الأُمَّة: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وأنزل اللَّه آية مدنيَّةً خاطب بها أهلَ الإيمانِ وخيارَ الخلقِ أنْ يتوبوا - مع إيمانِهم وصبرِهم وهجرتِهم وجهادِهم -؛ إذْ لا فلاح إلَّا بها، فقال: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بالتَّوبة تُتنزَّلُ أرزاقٌ من السَّماء؛ قال سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ

ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾، وتُمنحُ قوَّةٌ في البدن، قال ﷻ: ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾، وبها يَسعدُ الإنسانُ في الدُّنيا، ويُمْنَحُ فيها متاعاً حسناً: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾.

وخيرُ يوم في عُمُرِ العبد: يومٌ يتوبُ فيه إلى اللَّه، قال النَّبيُّ ﷺ لكعب بن مالك رضي الله عنه: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» (متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ يفرحُ بتوبة التَّائب؛ لمَّا تاب اللَّه على كعبٍ استنار وجهُ رسولِ اللَّه ﷺ كأنَّ وجهَهُ قطعةُ قمر، وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يُهنِّئُ بعضُهم بعضاً بها، قال كعب رضي الله عنه - لَمَّا أنزل اللَّه توبتَه -: «يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ»؛ وأعطى مَن بشَّره بها ثوبَين سروراً بها، وكانوا يَتصدَّقون فرحاً بالتَّوبة، قال كعبٌ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّه! إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» (متفق عليه).

التَّوبةُ تَحُطُّ وزرَ أعظم ذنبٍ عند اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾، وقال للمنافقين: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾، ودعَا المُفسدين والسَّارقِين والظَّالمين والمُرابين إليها وقال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾، وقال للمُسرفين في العصيان: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

واللَّهُ لا يُعذِّب مُستغفراً تائباً، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ

﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ولا تُبقي التَّوبةُ للذَّنب أثراً؛ بل تبدِّل السَّيِّئاتِ حسناتٍ، والسَّخَطَ رضاً، وقد يكون حال المرء بعد التَّوبة خيراً منه قبلها، آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تاب فاجتباه ربُّه وهداه، وداودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تاب فغفر اللَّه له وقرَّبه إليه؛ قال سبحانه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْراً مِنْهُ قَبْلَ الخَطِيئَةِ»، وكان يونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد خروجه من بطنِ الحوت وتوبتِه، أعظمَ درجةً منه قبل ذلك، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، وكعبُ بنُ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقي ذكره خالداً، يُتْلَى في المحارِيب دُهُوراً لتوبته.

فَفضْلُه سبحانه عظيم، ورحمتُه وسعت كلَّ شيء، مَنْ أقبل إليه تائباً فَرِح به وآواه، تاب إليه أفرادٌ فَقَبِل توبتَهم ورَفَعَ ذكرَهم، الفاروقُ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يَعْبُدُ صنماً فأقبل إلى اللَّه؛ فكان من المُبشَّرِين بالجنَّة، ورجلٌ قتل مئة نفسٍ فتاب إلى اللَّه فقبل اللَّه توبته، وأقبل إليه أقوامٌ فتجاوز عنهم جميعاً، وبَسَطَ عليهم فضْلَه، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وسحرةٌ صدُّوا عن دين اللَّه أوَّلَ النَّهار، ولمَّا سجدوا للَّه آخرَه، جعلهم من عباده الطَّائعين: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

فَأَقْبِلْ على التَّوَّاب الرَّحيم، وَتَعَلَّقْ بحبلِ رجاءِ الكريم، فبابُ الرَّؤُوفِ الودودِ مفتوحٌ منذ أَنْ خَلَق السَّمواتِ والأرض، وهو مَقْصِدُ الآمال ومَحَطُّ الأوزار.

وهذه الأمَّةُ أَيسرُ الأممِ توبةً؛ كان من شرط توبةِ قومِ موسى من عبادة العجل: قتلُ أنفسهم تكفيراً لخطيئتهم؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، وهذه الأُمَّةُ خَطؤُها ونِسْيانُها مغفور، وتوبتُها تركُ ذنبٍ وندمٌ وعزم، قال عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْباً، فَيَتَوَضَّأُ وَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ» (رواه الترمذي)، و«جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَقَدْ زَنَى -، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! طَهِّرْنِي، فَقَالَ: وَيْحَكَ! ارْجِعْ؛ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ» (رواه مسلم).

وكلُّ تائبٍ يَجدُ في توبته حُزنَ اقتراف المعصية، والسُّرورُ والفرحُ عَقِبَ التَّوبة على قدر هذا الحزن؛ فكلَّما كان أقوى وأشدَّ؛ كانت الفرحةُ بعدَ التَّوبةِ أكمل، فبدايةُ الحُزنِ على اقتراف الذَّنب دليلٌ على حياة القلب ومَحبَّتِه لفراق المعصية، وما أَبْهَى سرورَ الطَّاعةِ بعد ظُلْمةِ المعصية.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

العبدُ بين نعمةٍ مِنَ اللَّه يَحتاجُ فيها إلى شكر، وذنبٍ منه يَحتاجُ إلى استغفار، ومن بُلي بآفات الذُّنوب؛ وجب عليه منعُ وصولها إليه، والتَّوبةُ مِنْ تَرْكِ الواجباتِ المأمورِ بها - كدعوة الآخرين ونُصحِهم - أشدُّ مِنْ فعلِ السَّيِّئات، وتركُ الذَّنبِ أَيْسَرُ مِنْ طلبِ التَّوبة، ودَواءُ الذُّنوب: الاستغفارُ والتَّوبة.

ومِنْ علامةِ قَبولِ التَّوبة: كراهةُ العبدِ المعصيةَ واستقباحُه لها، وأن يبقى خائفاً من خطيئةٍ لا يأمنُ مكرَ اللَّهِ منها طرفَةَ عين، ومن تمام التَّوبة: عملٌ صالحٌ بعدها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾، ومَنْ لم يَتُبْ من معصيتِه؛ ندم إذا أقبل على اللَّه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

ويجب أن تكون التَّوبةُ خوفاً من اللَّه وتعظيماً له ولِحُرُمَاتِه، لا خوفَ زوالِ دنيا عنه، قال عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: «لَا يَرْجُوَنَّ عَبْدٌ

إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ»، وفَرَحُ العبد بالمعصية جهلٌ بِقدرِ مَنْ عصاه وبسوءِ عاقبتِها وعِظَمِ خطرها، ومِنْ خذلان اللَّه للعبد: أن يُخلِّي بينه وبين ذنبه، ولا يوفقه للتَّوبة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَسْبَابُ قَبُولِ الأَعْمَالِ وَحُبُوطِهَا[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

إفرادُ اللَّه تعالى بالعبادة غايةُ الخَلقِ والأمر، وبهِ عِمارةُ الأرض وسعادةُ البشَر؛ قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وهو سبحانه «لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً»، والعملُ الصَّالِحُ يرضاه ويقبَلُه.

وأصلُ قَبُول الأعمال: الإيمانُ باللَّهِ، والسَّعيُ في رِضوانه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع عشَر من شهر ذي الحِجة، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾، وعملُ الكافرِ في الآخرة لا يُقبَلُ ولو عمِلَ أيَّ عملٍ؛ قال سبحانه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾، وفي الدُّنيا يُطعَمُ بحسناتِ ما عمِل؛ قال الرَّسولُ ﷺ: «**وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**» (رواه مسلم)، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: **لَا يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» (رواه مسلم).

ومَن أظهرَ الإسلامَ وأبْطنَ خِلافَه، لم ينتفِعْ بما أظهرَ، وأعمالُه لا تُقبَل، قال تعالى عن حالِ المُنافِقِين: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۞ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾، ومَدارُ العبادة على النِّيَّةِ والعمل، وشرطُ قَبُولِها: إخلاصُ القَصدِ وحُسنُ العمل، فبالإخلاصِ صِحَّةُ الإرادة، وبالمتابعةِ استقامةُ العمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

ودينُ الإسلام مَبنيٌّ على أصلَين: أن يُعبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأن نَعبُدَه بما شرَع، وهو ما جاءَ به النَّبيُّ ﷺ، وهذان هما حقيقةُ الشَّهادتَيْن، واللَّهُ خَلَقَ الخلْقَ لِيبتلِيَهم في تحقيقِ الإخلاصِ والمتابعَة؛ قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ أي: أخلَصُه وأصوَبُه، قال

الفُضيل بن عِياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصاً وَلَمْ يَكُنْ صَوَاباً لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَاباً وَلَمْ يَكُنْ خَالِصاً لَمْ يُقْبَلْ، وَلَا يُقْبَلُ حَتَّى يَكُونَ خَالِصاً صَوَاباً»، والخالِصُ: إذا كان للَّه، والصَّوابُ: إذا كان على السُّنَّة، وحقيقةُ الإخلاصِ: أن يَقْصِدَ العبدُ بطاعتِه وجهَ اللَّه، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، وكلُّ ما يفعلُه المسلمُ مِن الطَّاعات مأمورٌ بفعلِه خالِصاً للَّهِ ربِّ العالمين، لا يَطلُبُ مِن مخلُوقٍ عليه جزاءً ولا شُكُوراً.

وصلاحُ القَلبِ أساسُ القَبُول، وصَلاحُ الأعمال بصلاحِ النِّيَّة، ومِلاكُ هذه الأعمالِ النِّيَّاتُ، والمرءُ قد يَبلُغُ بنيَّته ما لا يَبلُغُ بعملِه، ورُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظِّمُه النِّيَّة، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّرُه النِّيَّة، قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَعلَّمُوا النِّيَّةَ؛ فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ العَمَلِ»، وكلُّ عبادةٍ لا تصدُرُ عن إخلاصٍ وحُسن طوِيَّةٍ لا يُعتَدُّ بها، ولا يجتمِعُ الإخلاصُ في القَلبِ مع محبَّةِ المَدحِ والثَّناءِ والطمعِ فيما عند الناسِ.

ومُتابعةُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرطٌ في قَبُولِ الطَّاعة؛ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم)، قال سعيدُ بن جُبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ».

وتَقوَى اللَّهِ في الأعمال سببٌ للقَبُول؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، والمُسلمُ شديدُ الخَوفِ أن لا يكونَ مِنهم، وهذا حالُ السَّابِقِين، قال أبو الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَسْتَيْقِنَ أَنَّ اللَّهَ تَقبَّلَ لِي صَلاةً

وَاحِدَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾»، ومَنِ اتَّقى اللَّهَ بإخلاصِ عملِه واتِّباع السُّنَّة، فحرِيٌّ أن يَتقبَّلَ منه الرَّبُّ الكريم، قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُتَقَبَّلُ العَمَلُ مِمَّنِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِ؛ فَعَمِلَهُ خَالِصاً لِلَّهِ، مُوَافِقاً لِأَمْرِ اللَّهِ»، فمَنِ اتَّقاه في عملٍ تقبَّله منه وإن كان عاصِياً في غيرِه، ومَنْ لم يتَّقِه فِيه لم يَتقبَّلْه مِنه وإن كان مُطيعاً في غيرِه.

والطَّاعةُ بعد الطَّاعةِ أمارةُ قَبولِها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ مِنْ جَزَاءِ الحَسَنَةِ: الحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَمِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ: السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا»، وما أحسنَ الطَّاعةَ بعد السَّيِّئةِ تمحُوها، وما أقبحَ السَّيِّئةَ بعد الحسنةِ تمحَقُها، ومَنْ لم يكن في زيادةٍ مِن الطَّاعة كان في نقصانٍ، ويُسْرُ العِبادة على صاحبِها، ومحبَّةُ فِعلِ الخيرات؛ مِنْ عاجلِ البُشرى، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

والثَّباتُ على العمل والمداومة على الطَّاعة دليلُ خيرٍ وتوفيقٍ، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ الكَرِيمُ عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ؛ أَنَّ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وهَديُه ﷺ: المداومةُ عَلَى العملِ، وإذا عمِلَ عملاً أثبتَه، وكان يقولُ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**» (متفق عليه).

وصَلاحُ الجوارحِ واستِقامتُها ثَمرةُ قَبُولِ الطَّاعة ومحبَّةِ اللَّه لصاحبِها، قال اللَّه في الحديثِ القُدْسيِّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ**

أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» (رواه البخاري).

وشَأنُ المُؤمنِ: الاجتِهادُ في العِبادة، واستِصغارُ عملِه، فإذا فرغَ مِن طاعةٍ وصَلَها بأُخرى غيرَ مُستكثِرٍ على ربِّه ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، ومَنْ شهِدَ حقيقةَ الرُّبوبيَّةِ، ومعنى العُبوديَّة، وعرَفَ ربَّه؛ تَبيَّنَ له أن بِضاعتَه مِن الأعمال مُزْجَاة، ولَنْ يَدخُلَ أحدٌ مِنَّا الجنَّةَ بِعَملِه، ولكن بفضلِ اللَّه وكرمِه ورحمتِه، قال ابنُ أبي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ».

والاستِغفارُ عقِبَ الطَّاعة، والاعتِرافُ بالتَّقصيرِ: حالُ عِبادِ اللَّه المُخلَصِين، قال سبحانه: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلامَةُ قَبُولِ عَمَلِكَ: احْتِقَارُهُ، وَاسْتِقْلَالُهُ، وَصِغَرُهُ فِي قَلْبِكَ، حَتَّى إِنَّ العَارِفَ لَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَقِيبَ طَاعَتِهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَأَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ عَقِيبَ الحَجِّ، وَمَدَحَهُمْ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ عَقِيبَ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَشَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَقِيبَ الطُّهُورِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَمَنْ شَهِدَ وَاجِبَ رَبِّه، وَمِقْدَارَ عَمَلِهِ، وَعَيْبَ نَفْسِهِ؛ لَمْ يَجِدْ بُدّاً مِنَ اسْتِغْفَارِ رَبِّهِ مِنْهُ، وَاحْتِقَارِهِ إِيَّاهُ وَاسْتِصْغَارِهِ».

واللَّهُ مَدحَ عِبادَه بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ

رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: **لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾**» (رواه الترمذي)، والمُؤمنُ يجمَعُ إحساناً وخوفاً، قال عبدُ العزيز بن أبي روَّادٍ رحمه الله: «أَدْرَكْتُهُمْ - أَي: التَّابِعِينَ - يَجْتَهِدُونَ فِي العَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا فَعَلُوهُ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الهَمُّ؛ أَيُقْبَلُ مِنْهُمْ أَمْ لَا».

ومِنْ أعظمِ أسبابِ القبول وموجباتِه: سؤالُ اللَّهِ ذلك؛ فإبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام يرفعَان قواعِدَ بيتِ اللَّهِ الحرام وهما يدعُوَانِ اللَّه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وامرأةُ عِمرانَ نذَرَتْ ما في بطنِها لِخدمةِ المسجِدِ الأقصى، وكانت تدعو قائلةً: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وضحَّى نبيُّنا ﷺ وقال: «**اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**» (رواه مسلم).

والشُّكرُ سبيلُ القَبول، وهو بابُ زيادة النِّعم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، والصَّالحُ مِن عبادِ اللَّه يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ فوعدَهم اللَّه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

والمُسلمُ يَطمعُ في القَبُولِ ويسعَى لتحقيقِه، وهو شديدُ الحذَرِ مِن فسادِ العمل وحُبُوطِه؛ إذ ليس الشَّأنُ في العملِ الصَّالحِ فحسب، إنَّما

الشَّأنُ في حفظِه ممَا يُفسِدُه ويُحبِطُه، وأعظمُ ذلك: الشِّركُ باللَّهِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ومِن ذلك: إرادةُ الدُّنيا بأعمال الآخرة، قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والموتُ على الرِّدَّة مُحبِطٌ للأعمال؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، وكراهِيةُ الدِّين تُحبِطُ عملَ صاحبِها؛ قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، والكفرُ بآياتِ اللَّه ولِقائِه مُوجِبٌ لفسادِ العمل؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، ومَن اتَّبعَ ما أسخطَ اللَّهَ وكرِهَ رِضوانَه؛ جازاه اللَّه مِن جنسِ فعلِه فأحبَطَ عمله؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، وأعمالُ المُنافِقين سَرابٌ؛ قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ومَن عانَدَ النَّبيَّ ﷺ وخَالفَه عن عَمْدٍ وعِنادٍ فلن يضُرَّ اللَّهَ شيئاً وسيُحبِطُ عمله؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَآقُّوا الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾، ورفعُ الصَّوتِ فوقَ صوتِ النَّبيِّ ﷺ مِن مُحبِطات الأعمال؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، قال

ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ قَدَّمَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَدْيِهِ وَطَرِيقِهِ قَوْلَ غَيْرِهِ وَهَدْيَهُ وَطَرِيقَهُ».

والعُجبُ بالعمل، والتَّألِّي على اللَّه قدحٌ في جَنابِ الرُّبوبيَّة، قال النَّبيُّ ﷺ - فيمَنْ قَال: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ -: «قَالَ اللَّهُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» (رواه مسلم).

والرِّياءُ يُفسِدُ العمل؛ قال اللَّهُ في الحديثِ القُدْسيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (رواه مسلم)، و«مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (رواه مسلم)، و«مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ؛ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (رواه البخاري).

والتَّطاوُلُ على الآخرين بالمسبَّة والاعتِداء مُزِيلٌ للحسنات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (رواه مسلم).

وذنوبُ الخَلَوَات ماحِقةٌ للحسنات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا،

جلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» (رواه ابن ماجه)، و«مَنِ اتَّخَذَ كَلْباً إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ زَرْعٍ؛ انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ» (متفق عليه)، و«مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ؛ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (رواه أحمد)، وغايةُ الخسارة: أَنْ يَظُنَّ العبدُ أنَّه على فِعلٍ حسنٍ وهو خِلافُ ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فعِبادةُ اللَّهِ أصلٌ في الدِّين، وحفظُها مطلَبٌ في الإسلام، ودَوَامُها إلى المَوتِ أساسٌ في الشَّريعة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، وعلى المسلم أن لا يَزْهَدَ في أيِّ عملٍ مِن الخير وإنْ كان يسيراً، وأَنْ يجتَنِبَ كلَّ سيِّئةٍ وإنْ دقَّت؛ فإنَّه لا يعلَمُ الحسنةَ التي يَرحمُه اللَّه بها، ولا يعلَمُ السَّيِّئةَ التي يَسخطُ اللَّه عليه بها، ويَجِبُ على المسلم أَنْ يَسيرَ في جميعِ عِباداتِه بين الرَّجاء والخَوفِ، عامِراً قلبَه بحُبِّ اللَّه وحُسن الظنِّ به.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

كُونُوا لِقَبُول العَملِ أشدَّ اهتِماماً مِنكم بالعمل، واحذَرُوا ما يَحُفُّ بالطَّاعة مِمَّا يُفسِدُها أو يَنْقُصُها، ومَن عمِلَ حسنةً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ أَنْ وفَّقَه لفعلِها، ولْيَسْأَلْهُ الثَّباتَ والمزيدَ مِنها؛ فَحِفْظُ الطَّاعة أشدُّ مِنْ فعلِها، والعِبرةُ بالخواتِيمِ، والمسلمُ يجعلُ مِن طاعتِه حادِياً لتهذِيبِ نفسِه وتزكِيتِها بلزوم العبادة، والصِّدقِ، والتَّواضعِ، وسلامةِ الصَّدر، ومكارمِ الأخلاق، ويُحبُّ مِن الخير لغيرِه ما يُحبُّ لنفسِه، ولا يأمَنُ مكرَ اللَّه، ولا ييأَسُ مِن رَوْحِ اللَّه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب الثَّانِي عشر
الذُّنوبُ والفِتَنُ

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل : الذُّنوب.

الفصل الثَّاني : الفِتَن.

الفصل الأوَّل

الذُّنُــوبُ

عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ لِلإنْسَانِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا دار ابتلاءٍ وامتحان، وأعظمُ البلاءِ ما قطَعَ العبدَ عن ربِّه ودينِه، ومن الفِطْنة والعقل: سعيُ العبد لمعرفة العدوِّ من الصَّديق، وقد أبانَ اللَّهُ لنا عدوّاً مُبيناً لا فتنةَ على الخلق أشدُّ منه، فهو العدوُّ الأوَّل والأكبر، ومَنْشَأُ جميع الرَّزايا منه وإليه، عداوتُه لبني آدم شديدةٌ بيِّنةٌ، لا كان ولا يكون في الأعداء أظهر منه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

عَدُوٌّ لا يفترُ ولا ينقطع، ولا ينفع معه مداراةٌ أو لين، أقسم على

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع والعشرين من شهر رجب، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

عداوة جميع بني آدم وإغوائهم بكلِّ وسيلة: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾.

سببُ عداوتِهِ لآدم وذريَّته: أنَّ اللَّهَ شرَّف آدمَ وفضَّله، فخلَقه بيديه، وأسكنه جنَّته، وعلَّمه الأسماء، وأسجد له ملائكته، وكرَّم ذريَّته من بعده، فحسده إبليس على هذه النِّعم، وانطوت سريرتُه على الكِبْر - رأس كلِّ داءٍ وشرٍّ -، فامْتَنَعَ عن السُّجود لآدم، و﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، وبطردِه من الجنَّةِ أعلن العداوةَ وأظهرَها: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فكاد لآدم وحواء وزَيَّنَ لهما المعصيةَ حتى أُخْرِجَا من الجنَّة.

ولا يزالُ على حالِه وكيدِه يؤذي النَّاسَ حِسّاً ومعنًى، يتسلَّط على عقائدِهم الصَّافيةِ وعباداتِهم، وأجسادِهم وأرواحِهم، وأموالِهم وأولادِهم، ومأكلِهم ومشربِهم، ونومِهم وقيامِهم، وصحَّتِهم وسقمِهم، وعلى كلِّ أحوالِهم؛ قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ**» (رواه مسلم).

ففي العقيدةِ الصَّافيةِ: غايتُه إفسادُها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِماً أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ**» (رواه ابن حبَّان)، وفِطرةُ التَّوحيدِ - الَّتي هي أغلى ما يملك الإنسانُ -: يَسْعَى لتَدْنِيسِهَا، قال تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «**خَلَقْتُ**

عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً» (رواه مسلم)، وكلُّ عابدٍ لغير اللَّهِ فإنَّما يدعو الشَّيطانَ ويعبدُه، قال سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾.

ومِنْ إِفْسَادِهِ للعقيدة: تَعْليمُ السِّحر؛ ليَكْفُرَ فَاعِلُه، وكذا مَنْ أتى إلى ساحرٍ ليَسْحَرَ له، قال ﷻ: ﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، وفي آخرِ الزَّمان يخرجُ الدَّجَّالُ ويقول: «أَنَا رَبُّكُمْ»، قال ﷺ: «وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ» (رواه أحمد).

ولا تقومُ السَّاعةُ إلَّا على شِرار الخلق فيأمُرُهم الشَّيطان بعبادة الأوثان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً؛ فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ» (رواه مسلم).

وأمَّا كيدُه في العبادات: فلا يَزالُ بصاحبها حتى يُفسدَها عليه، فيُشكِّك العبدَ في طهارتِه؛ قال ﷺ: «وَإِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ؛ فَلْيَقُلْ: كَذَبْتَ» (رواه أحمد).

والخشوعُ في الصَّلاة لَذَّةٌ مع اللَّه، وإذا قام المُسلمُ لصلاتِهِ حَالَ بينَه وبينَها بوساوسه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَهُ

الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى» (متفق عليه)، وإذا وجد خللاً في الصُّفوف دخل فيها؛ قال ﷺ: «**سُدُّوا الخَلَلَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ**» (رواه أحمد).

واللَّهُ قِبَل وجهِ كُلِّ مُصَلٍّ، والالتفاتُ في الصَّلاةِ من كيد الشَّيطان؛ قال ﷺ: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ**» (رواه البخاري)، وحرصُه على قطع الصَّلاة شديد: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ وَلْيَدْنُ مِنْهَا، لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ**» (رواه الحاكم)، وَ«**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ؛ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**» (رواه أبو داود).

وعداوةُ الشَّيطانِ لا حَدَّ لها؛ فيُشاركُ النَّاسَ في مطاعِمِهم ومشارِبِهم ومناكِحِهم؛ قال سبحانه: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾، فيُنازِعُ ابنَ آدم في طعامِه ويأكلُ معه إنْ لم يذكر اسم اللَّه عليه، بل يأكل ما تساقط من طعامه؛ قال ﷺ: «**إِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللُّقْمَةُ؛ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم).

وإذا أتى الرَّجلُ أهلَهُ يَخشى الشَّيطانُ أن يكون بينهما ولدٌ صالح؛ فيَسعى لإنسائهِ ذِكْرَ اللَّه؛ قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً**» (متفق عليه).

ويُنازِعُه في مسكنِهِ إنْ لم يَذكرِ اسمَ اللَّهِ فيه؛ قال ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ**

الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ» (رواه مسلم).

وإذا كان أوَّلَ اللَّيلِ انتشرتِ الشَّياطينُ لإيذاء العباد؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ: أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ» (متفق عليه).

والنَّومُ راحةٌ للإنسان لِيستعيدَ قوَّتَه ونشاطَه، والشَّيطانُ يَعْقِدُ على قافيةِ رأسِ النَّائم ثلاثَ عُقَدٍ - ليستيقظَ وهو خبيثُ النَّفسِ كسلان - يَضْرِبُ كلَّ عُقْدَةٍ: «عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ - فَيَحُلُّ اللَّهُ تِلكَ العُقَدَ إذَا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّهُ إذَا اسْتَيْقَظَ وتَوَضَّأَ وصَلَّى -» (متفق عليه)، وإذا نام العبدُ عن الصَّلاة بَالَ الشَّيطانُ في أُذُنه إهانةً له واحتقاراً؛ ذُكِرَ عند النَّبيِّ ﷺ رجلٌ نامَ ليلةً حتى أصبح، فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ: - فِي أُذُنِهِ -» (متفق عليه)، ويَبيتُ على خيشوم النَّائم؛ قال ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُم مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ، فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثاً؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ» (متفق عليه)، والنَّومُ راحةٌ للإنسان وسكونٌ، والشَّيطانُ يَتخبَّطُه في منامِهِ ويُفزِعُه في أحلامه، قال النَّبيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ» (متفق عليه).

والأُلْفةُ والمَودَّةُ صلاحٌ للنَّفسِ والمجتمع، والشَّيطانُ دَأْبُه الفُرْقَةُ بين النَّاسِ والإفسادُ بينهم؛ قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ

المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (رواه مسلم).

لم يَسْلَمْ من شرِّه أحدٌ؛ فأوَّلُ ما يخرُج المولودُ من بطنِ أمِّه يَطعنُ في جنبيه؛ قال ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**» (متفق عليه)، ويسلُك كلَّ سبيلٍ للغواية، فيَجْرِي مِنِ ابنِ آدمَ مَجْرَى الدَّم، و«**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ**» (رواه مسلم).

ويَتلبَّسُ بالأبدانِ فيتَخَبَّطُ الإنسان؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾، ويَسعى لإضلالِ بني آدمَ حتى وهم في سكراتِ الموت، وقد علَّم النَّبيُّ ﷺ أُمَّته دعاءً بقوله: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ المَوْتِ**» (رواه النسائي).

وله في كيده لابن آدم وسائلُ عديدة؛ فيُزَيِّنُ المعصيةَ للعاصي ويُحَسِّنُها له، ففي يوم بَدْرٍ زيَّن للمشركين صنيعَهم وغرَّهم بقوَّتهم وكثرتِهم؛ قال ﷻ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾، ومِنْ تزيينه: تسميةُ المعاصي بغير اسمِها؛ كما قال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

ومِنْ كيدِه: أنَّه يدخل على النَّفسِ من الباب الَّذي تُحِبُّه وتَهْوَاه، ويُظهِرُ النُّصحَ في ذلك؛ فقال لآدمَ وحوَّاء: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾؛ بل ويُقْسِمُ على ذلك؛ قال سبحانه: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، ويَعِدُ ويُمَنِّي وهو مخادع؛

قال سبحانه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾، ويَخْدعُ العبادَ بأمانيه الكاذبة؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: الشَّيطانُ.

ويُخوِّفُ المؤمنين بجنوده الضُّعفاء: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، ويَمنعُهم من الإنفاق في مرضاة اللَّه ويوسوسُ لهم بأنَّه يَجْلِبُ الفقر، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾، ويَجلبُ الأحزانَ للعباد، ويَفتحُ عليهم التَّحسُّرَ على ما فات ومضى؛ كقول: لو فعلتُ كذا لكان كذا، قال ﷺ: «**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم).

وعلى جِسْرِ الشَّهواتِ يَصِلُ الشَّيطانُ لمراده؛ فـ«**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**» (رواه التِّرمذي)، ويدعو لنزع الحياءِ، ونبذ السِّترِ والعفافِ من الرِّجال والنِّساء، وإذا ظهرتِ العورةُ حلَّتِ العقوبة؛ قال سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾.

ويَستخفُّ الشَّيطانُ العبادَ بالأصوات المُحرَّمة من المعازف ونحوها؛ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾، وخطواتُه هي الشِّراك الأعظم لإغواء الخلق والظَّفر بمراده منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وله في كلِّ ذلك جنودٌ وأعوانٌ؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾.

وللشَّيطانِ في مَكرِه وعداوتِهِ غاياتُ سُوءٍ يسعى لتحقيقها، ورأسُ تلك الغايات: الصَّدُّ عن طاعةِ اللَّهِ وإضلالِ الخلق؛ فقد قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فيبعثُ على الغفلة ويُنسي العبادَ الذِّكر؛ قال سبحانه: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾، ويَدعو لكلِّ رذيلةٍ ويَصدُّ عن كلِّ فضيلة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ومن مقاصدِهِ: الإفسادُ بين الخلق والإبعادُ عن الخالق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ومنتهى مقاصدِه: إبعادُ الخلق عن رحمة اللَّه ودخولهم الجحيم؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وعاقبةُ اتِّباع الشَّيطان شؤمٌ ووَبال، وكلُّ شقاءٍ في الدُّنيا والآخرة فمن آثار اتِّباعه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾، مَنْ أطاعهُ كان في حَيْرَةٍ وضلال، والخسارة في موالاته؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾.

ويومُ القيامة يُحشرُ معه من أطاعه؛ قال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، وتَعْظُمُ النَّدامةُ ببراءته ممَّن تَبِعَه، فيقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، ومنتهى التَّابِع والمتبوعِ نارُ جهنَّم وبئس المصير، قال ﷻ: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالشَّيطان أغوى أبناءَ رُسلٍ وآباءَهم - كابن نوحٍ ووالدِ إبراهيم -؛ بل كان سبباً لإهلاكِ أممٍ بأكملها؛ قال سبحانه: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾، ولن ينجوَ من مهالكِه إلَّا المؤمنُ المُتوكِّلُ على اللَّه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

ومَنْ وَالَى اللَّهَ فقد عادى الشَّيطان، ومَنْ أعرض عن اللَّه وَالَى الشَّيطان، واللَّهُ وليُّ مَنْ تولَّاه، والشَّيطانُ يخذلُ مَنْ والاه، فواجبٌ علينا أن نتوبَ جميعاً إلى اللَّه، وأن نمتثلَ أوامرَه، ونجتنبَ معاصيَه، فالعِزُّ والشَّرفُ في طاعة اللَّهِ وامتثالِ أوامره، والخِذلانُ في الوقوع في حبائل الشَّيطانِ وأهوائِه، ومَنْ فعل ذلك سخط عليه الرَّبُّ وسلَّط عليه عقوبة لا يقدر على دفعها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابِهِ، وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

لا نجاةَ من الشَّيطانِ إلَّا بالتَّقوى، وأشدُّ الخلق على الشَّيطان هم عبادُ اللَّهِ المُوحِّدُون، وهذا ما أقرَّ به إبليسُ بقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، والاستعاذةُ باللَّهِ من شرِّه حصنٌ وأمان، وذِكْرُ اللَّهِ جالبٌ للرَّحمة طاردٌ للشَّيطان، و«**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**» (رواه مسلم)، ومَنْ أوَى إلى فراشه فقرأ آيةَ الكرسيِّ لا يزال عليه من اللَّه حافظ، ولا يَقرَبُه شيطانٌ حتى يُصْبِح، و«**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ**» (متفق عليه)، و«**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ**» (رواه مسلم).

وامتثالُ أمرِ اللَّهِ والوقوفُ عند حدوده خيرُ عونٍ على الخلاص من

أذيَّةِ الشَّيطان؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾، ويدُ اللَّهِ مع الجماعة، والشَّيطانُ عنها أبعد، قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ» (رواه أحمد)، والكلمةُ الحسنةُ دافعةٌ لنزغات الشَّياطين: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾، ومَنِ اتَّخذ الشَّيطانَ عدوّاً تبرَّأ منه وعاداه، ونَأَى بنفسه عن مشابهتِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خَطَرُ الذُّنُوبِ (١)

الحمد للَّه مُعِزِّ مَنْ أطاعه واتَّقَاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أمرَه وعَصَاه، أَحْمَدُه تعالى على جزيلِ كرمِه وما أَوْلَاه، وأَشْكُرُه على آلائِه وما أسداه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه، ما خَابَ مَنْ دعاه ولا يَئِسَ مَنْ رجاه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ عبدٍ اصطفاه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه ومَنْ كان هواه تبعاً لِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أكرمُ ما أسررتُم، وأعزُّ ما أظهرتُم، وخيرُ لباسٍ لَبِستُم.

أيُّها المسلمون:

حقيقةُ الحياةِ هي حياةُ القلب؛ فالمؤمنُ حيٌّ بإيمانه، والكافرُ ميّتٌ بإعراضه؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾، وليس عمرُ الإنسانِ سوى حياته باللَّهِ، ولا عُمُرَ له سواها، والعبدُ إذا أعرض عن اللَّه

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر ذي القَعدة، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيَّام حياته التي سيجدُ غِبَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾، والذي يفوتُ بارتكابِ المعصيةِ من خيري الدُّنيا والآخرة أَضعافُ ما يَحصلُ له من السُّرور واللَّذَّة بها، والألمُ والعذابُ كلُّه فيمن أسخط ربَّه ومولاه بتدنيسِ نفسِه بالذُّنوب والآثام.

أيُّها المسلمون:

إنَّ المعاصي والذُّنوبَ خطرٌ على الأبدان والقلوب، وأثرُها ظاهرٌ على الأوطان والشُّعوب، فهي جالبة للشُّرور والمصائب، بها تزولُ النِّعَمُ، وتَحصل النِّقم، وبسببها تتوالى المِحَن، وتتداعى الفِتَن، وبالمعصيةِ تَتَعسَّر الأمور على العاصي، فما يَتوجَّه لأمر إلَّا ويَجِدُه مغلقاً دونه، أو متعسراً عليه تحقيقه، والمعصية تَحرِمُ العاصيَ الرِّزقَ من السَّماء، وتَمحقُ بركةَ عُمُرِه، ويَعودُ حامدُه مِنَ النَّاسِ ذامّاً له.

إنَّ طاعةَ اللَّه هي حصنُ اللَّهِ الأعظمُ، الذي مَن دخله كان من الآمنين، ومن عصاه انقلبت مَآمِنُه مَخاوِفَ، وتعلو الوحشةُ قلبَه، فيستوحِشُ، ويُستوحَشُ منه، والعزُّ كلَّ العزِّ في طاعةِ اللَّه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، والنُّفوسُ تَشْرُفُ وتعظُمُ بطاعة اللَّه وتَصغُرُ بمعصيةِ اللَّه، فصاحبُ المعصية مُطأطِئُ الرَّأسِ ذليلٌ، المهانةُ محيطةٌ به وإن تظاهر بالعزَّة والأنفة؛ يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾، ويقول ﷺ: «**وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**» (رواه أحمد)، ويقول الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَذِلَّ مَنْ عَصَاهُ».

إنَّ الذُّنوبَ أمراضٌ متى استَحْكَمتْ قَتلتْ، وبالهلاك آذنَتْ، وتَتَابُعُ الآثامِ سببُ زوالِ الأمنِ والاطمئنانِ عن الأفراد والمجتمعات، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَى وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ؛ أَذِنَ اللَّهُ بِهَلَاكِهَا»، وما في الدُّنيا من شرٍّ وداء؛ فسببه الذُّنوبُ والعصيان؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، وشؤمُ المعاصي يُتابعُ العصاةَ، فإبليسُ لا زالَ يَتخبطُ في حَمْأةِ معصيته.

أيُّها المسلمون:

لقد توهَّم أناسٌ في أمر الذَّنب إذْ لم يروا تأثيرَه في الحال، وقد يَتأخرُ تأثيرُه فَينسون أنه من الذَّنب، ولم يَعْلمِ المُغترُّ أنَّ عقوبةَ الذَّنبِ تَحُلُّ ولو بعد حين؛ قال جل جلاله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، فقد لُعِن إبليسُ وأُهبِطَ من منزلِ العزِّ بترك سجدةٍ واحدةٍ أُمِرَ بها، وأُخْرِج آدمُ من الجنَّة بأكلةٍ تَناولَها، و«**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا**»، و«**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»، فكن خائفاً من ذنبك، ولا تَأمَنِ العقوبة؛ فإنَّ هوانَ الذَّنبِ على العاصي من علامة الهلاك، وكلَّما صَغُر الذَّنبُ في عين العبدِ عظُمَ عند اللَّه، فإيَّاكَ ومُحقَّراتِ الذُّنوب؛ فإنَّهنَّ إذا اجتمعْنَ على الرَّجلِ أَهْلَكْنَه؛ يقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**» (رواه أحمد)، ويقول أنس رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ

لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا نَعُدُّها عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» (رواه البخاري)، ولَمَّا نزل الموتُ بمُحمَّدِ بن المُنْكَدِرِ بكى، فقيل له: «مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي لِذَنْبٍ أَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَتَيْتُه، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ أَذْنَبْتُ ذَنباً حَسِبْتُهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ».

أيُّها المسلمون:

الخطيئة إذا خَفِيَت لم تَضُرَّ إلَّا صاحبَها، وإذا ظَهَرتْ فلم تُغيَّر ضرَّتِ العامَّة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ**» (رواه أحمد)، والذنبُ يَعْظُمُ ويَحْدُقُ خطره إذا جاهَر به العبدُ، أو استصْغَرَه، أو فرِحَ به، أو تهاون بِسِتْرِ اللَّهِ عليه، وبعضُ النَّاسِ قد وضَعَ على داره أمارةَ المعصيةِ بأطباقٍ سوداءَ مُعْتِمَة تَجلبُ الرَّذيلةَ وتَهدِمُ العقيدة، ومنهم مَنْ جاهَر بالرِّبا، ولم يتورَّعوا من سُمومه، فسقوه أبناءهم، وخُنِقَت من نَتَنِها مجتمعاتُهم، وفيهم مَنْ تردَّى في حَمْأَةِ الرَّدى بآثار أفعال السَّحرة والمُشَعْوِذِين، وكم هي أعدادُ المُصلِّين في المساجد؟ أَلَمْ يُفرِّط بعضُ الآباءِ في تربية أبنائهم؟! بل وجَلَبوا لهم المنكرات إلى بيوتهم!! وآووا الشَّياطين في دُورِهم حيث مَلَؤُوهَا بالمعازف، وخرج بعضُ النِّساءِ من دورِهنَّ لغير حاجةٍ، مُتبرِّجاتٍ نازعاتٍ جِلبابَ الوجلِ والحياء، ولم يَقْتَدِينَ بالنِّساء الصَّالحات السَّالفات، يقول ابنُ العربيِّ رحمه الله - وقد مَكَثَ في أحدِ بُلْدانِ المسلمينَ -: «أَقَمْتُ فِيهَا أَشْهُراً، فَمَا رَأَيْتُ امْرَأَةً

فِي طَرِيقٍ نَهَاراً إِلَّا يَوْمَ الجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَخْرُجْنَ إِلَيْهَا حَتَّى يَمْتَلِئَ المَسْجِدُ مِنْهُنَّ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ وَانْقَلَبْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَى الجُمُعَةِ الأُخْرَى».

لقد جَلَبَ المُجاهرُ على نفسه منكراتٍ دهماء، الذَّنبُ فيها على الذَّنبِ يُعمي، يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ عن المُجاهِرين بالمعاصي: «وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ لَا يُعَافَوْنَ، وَيُسَدُّ عَلَيْهِمْ طَرِيقُ التَّوْبَةِ، وتُغْلَقُ عَنْهُمْ أَبْوَابُهَا فِي الغَالِبِ»، يقول النَّبيُّ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ» (متفق عليه)، ويقول ابن حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَكُونُ إِهْلَاكُ الجَمِيعِ عِنْدَ ظُهُورِ المُنْكَرِ وَالإِعْلَانِ بِالمَعَاصِي».

أيُّها المسلمون:

إنَّ الذَّنبَ لا يَقْتِصرُ على ارتكاب المناهي فحسب؛ بل إنَّ التَّقصيرَ في أداء الواجب من جملة المآثم، وإذا فرَّط المسلمُ في جانبِ الدعوةِ إلى اللَّه، أو في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أو تخلَّى الأبُ عن قِوامةِ داره - بإصلاحِ أهلِ بيته - وقعَ في الإثم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ أَنَّ الاِسْتِغْفَارَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ ارْتِكَابِ مُحَرَّمٍ، وَلَيْسَ عَنْ تَرْكِ وَاجِبٍ»، ومَنْ لم يتقدمْ بالطَّاعة تأخَّرَ بالتَّقصير؛ يقول تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، فمَنْ لم يتقدَّم فقد تأخَّر.

أيُّها المسلمون:

أماراتُ النُّذرِ تَجلَّت؛ كسوفُ شمسٍ وخسوفُ قمرٍ، وقَحْطٌ في

المطر، وبُدوُّ عَيلةٍ، وازديادُ أمراضٍ عضويةٍ ونفسية، زلازلُ وكوارثُ، فيضاناتُ وحوادثُ، عِظةٌ وذكرى، يقول تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

إنَّ شُؤْمَ أذى العاصين يُلاحِقُ الدَّوابَّ والأشجار؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «العَبْدُ الفَاجِرُ - إِذَا مَاتَ - يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ» (متفق عليه).

عجبٌ أمرُنا واللَّهِ إنَّه لَعَجَب! نرجو المطرَ، ولا نبالي بالخطر، إنَّ الأمرَ عظيم، والمُنقلبَ مَهُول: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، لقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا عَصفَتِ الرِّيحُ تغيَّر لونُه، وأقبلَ وأدبرَ، وخرجَ من داره؛ فَرَقاً من عذاب اللَّه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

من أعظم الاغترار: التَّمادي في الذُّنوبِ معَ رجاءِ العفوِ من غير ندامة، وتَوقعُ القُرْبِ من اللَّه بغير طاعة، وانتظارُ زرعِ الجنَّةِ ببذرِ النَّار، وإنَّ الحرصَ على التَّباعدِ عن المُحرَّماتِ وأسبابها من تعظيم المناهي، وبعضُ النَّاسِ اعتمدَ على رحمةِ اللَّه وعفوِه دون عمل، فضيَّع أمرَه ونسيَ أنَّه شديدُ العقاب، وأنه لا يُرَدُّ بأسُه عن القوم المجرمين.

وعلى العاصي أن يتذكَّرَ قبل العصيان أنَّ الصَّبرَ عن فعلِ الشَّهوةِ أهونُ من الصَّبرِ على ما تُوجبُه الشَّهوة؛ فإنَّ الخطيئةَ إمَّا أن تُوجبَ ألَماً وعقوبة، وإمَّا أن تقطعَ لذَّة أكملَ منها، وإمَّا أن تَسْلُبَ نعمةً بقاؤها ألَذُّ وأطيبُ من قضاء الشَّهوة.

ففِرَّ بدينك من الفتن، واعتصِمْ بالكتاب والسُّنَّة، وجالِسِ الصَّالحين، وإيَّاكَ ومخالطةَ أهلِ المعاصي وقرناءِ السُّوء، واحذرِ الأمانيَّ والإرجاء، وكُنْ يَقِظاً من مكائد الشَّيطان ومصائدِه، واحذر وساوسَه ودسائسَه، ولا تيأسْ مِنَ إصلاحِ مُجتمعِك، ولو كثر فيه

العصيان، فالنُّفوسُ مجبولةٌ على الفِطرة وحبِّ الخير، واصبِرْ وصابِرْ على الدَّعوةِ وإقامةِ النُّفوس على الطَّريق السَّوِيِّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الفِتَنُ

الفِتَنُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهده اللَّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

امتنَّ اللَّه على عباده بنعَم ظاهرةٍ وباطنة، ولا تَتِمُّ نعمةٌ إلَّا بالدِّين، والثَّباتُ عليه من التَّحوُّلِ أو النُّقصانِ من أشقِّ الأمور، قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: **يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: **نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**» (رواه الترمذي)، ومِنْ دعاءِ الصَّالحين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس عشَر من شهر رجب، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

والشَّيطانُ راصدٌ للإنسان في كلِّ سبيلٍ لإفساد دينه؛ قال ﷺ: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى البَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً» (رواه مسلم).

والفِتَنُ من أعظمِ المُؤثِّرات على الدِّين؛ فلا تَعرِفُ سِنّاً ولا جِنساً ولا بلداً، وهي تُمحِّصُ القلوبَ، وتُظهِرُ ما فيها من صدقٍ أو رَيْبٍ، فتتعرَّضُ لكلِّ قلبٍ، فيسقطُ فيها أقوامٌ، وينجو آخرون، قال النَّبيُّ ﷺ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا؛ نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا؛ نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ» (رواه مسلم).

وهي كثيرةٌ، وصفها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ» (رواه مسلم)، ولا تدَعُ بيتاً إلَّا دخلَتْه، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ» (متفق عليه)، وكلَّما فُتِحت نعمةٌ نزلَتْ معها فتنة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَاذَا فُتِحَ اللَّيْلَةَ مِنَ الخَزَائِنِ؟ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ؟» (رواه البخاري).

وإذا بَعُدَ النَّاسُ عن زمنِ النُّبوَّة ظهرَتِ الفِتَن، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ» (رواه البخاري).

والفتنُ تتوالَى على العبد إلى مماته، وقد تأتي بمُهلِكَته وقد تَتدرَّجُ به، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ

الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» (رواه مسلم).

وخطَرُها كبير، من دنا منها أخذَته، ومَنْ حامَ حولَ حِماها أوقَعَتْهُ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ» (متفق عليه)، منها ما هو كبير يَمُوجُ كموجِ البحر، ومنها ما هو دون ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ - وَهُوَ يَعُدُّ الفِتَنَ -: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئاً، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ؛ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ» (رواه مسلم).

فمنها ما تُخرِجُ المرءَ من الدِّين، قال النَّبيُّ ﷺ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»، (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ ؒ: «وَهَذَا لِعِظَمِ الفِتَنِ؛ يَنْقَلِبُ الإِنْسَانُ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ».

وفتنةُ الشِّركِ أعظمُ من القتل، ومن فتنتِه أن يُظنَّ أن دعوةَ الأمواتِ وأصحابِ القبور مسموعة، فردَّ اللَّه شُبهتهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

أو يُظنَّ أنَّ العملَ الصَّالحَ لا يَنقُضُه الشِّركُ ولا يُفسِدُه، وقد أخبر اللَّهُ أنَّ العمل الصَّالح يبطُلُ إذا قارنه الشِّركُ به؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وكلُّ عملٍ لم يكن خالصاً للَّه فإنه لا يُقبَلُ ولو كثُر؛ قال اللَّه ﷻ في الحديثِ القُدسيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (رواه مسلم)، والرِّياءُ في الأعمالِ، وعدمُ الإخلاص فيها للَّه أعظمُ من فتنةِ الدَّجَّالِ، قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُم عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ» (رواه ابن ماجه).

والتَّوكُّلُ على اللَّهِ أحد ركني الدِّين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، واللَّهُ سبحانه هو الخالقُ الرَّازقُ القدير، وتفويضُ الأمرِ إليه يَشرحُ الصَّدرَ ويُيسِّرُ الأمر، ويُحقِّقُ - بإذن اللَّه - المُنى؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

والاعتمادُ على الأسبابِ في طلبِ الرِّزقِ وغيرِه والتَّعلُّقُ بالمخلوقين معَ ضعفِ التَّوكُّلِ أو تركِه فتنةٌ في الدِّين، وذلٌّ للنَّفس، وجلبٌ للأحزان، وداعٍ لِلْهموم، والإيمانُ يُثَبِّت النُّفوس ولا يُذبْذِبُها، فتشكرُ ربَّها عند النَّعماء، وتَصبرُ عند البلاء.

ومن الفِتَن: تركُ الهداية إن نزلت محنةٌ، أو أقْبلَتْ دنيا بزُخرُفِها، أو تحليلُ ما كان يراه حراماً؛ اتِّباعاً لهوًى أو طَمَعاً بدُنْيا؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾.

والخَلقُ يُفتَنُ بعضُهم ببعض؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ

الخَلْقِ، امْتَحَنَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فَامْتُحِنَ الرُّسُلُ بِالمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وَالمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ بِالرُّسُلِ، وَامْتُحِنَ العُلَمَاءُ بِالجُهَّالِ، وَامْتُحِنَ الجُهَّالُ بِالعُلَمَاءِ، وَامْتُحِنَ الأَغْنِيَاءُ بِالفُقَرَاءِ، وَالفُقَرَاءُ بِالأَغْنِيَاءِ، وَامْتُحِنَ الضُّعَفَاءُ بِالأَقْوِيَاءِ، وَالأَقْوِيَاءُ بِالضُّعَفَاءِ».

والأُلْفَةُ وجَمْعُ الكلمةِ على الحقِّ من أُسُسِ قوَّة الإسلام وأهله، ونهى اللَّه عن الشَّتات والافتراق، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، ومن أُوْلَيَاتِ أعمالِ النَّبيِّ ﷺ لمَّا قدِمَ المَدِينَةَ: تَأْلِيفُ قُلُوبِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، وَالمُؤَاخَاةُ بينَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ؛ لِنَشْرِ الإسلام (متفق عليه).

ومن الفِتَن: الفُرقةُ والنِّزاعُ والاختلافُ بين المسلمين؛ اتِّباعاً لهوًى ونحوه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالفِتَنُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا التَّهَاجُرُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّطَاعُنُ وَالتَّلَاعُنُ وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ هِيَ فِتَنٌ وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ السَّيْفَ».

واللَّهُ كرَّمَ الإنسانَ وفضَّلَه وعظَّمَ حرمةَ المسلم ودمَه، وفي آخرِ الزَّمانِ يَقِلُّ العملُ الصَّالحُ ويَضعُفُ الإيمانُ في النُّفوس، ويُستهانُ بحُرمات اللَّه.

ومن الفِتَن: كثرةُ القتل في الأُمَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ**، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: **القَتْلُ**» (رواه البخاري)، ولكثرةِ القتلِ يُسفَكُ الدَّمُ من غير سببٍ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ**

زَمَانٌ لَا يَدْرِي القَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي المَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ» (رواه مسلم)، ومَنْ سلِمَت يداه عن الاعتداء؛ فَلْيحفَظْ لسانَه عن أعراض المسلمين.

والمالُ فتنةُ هذه الأُمَّة؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «فِتْنَةُ أُمَّتِي فِي المَالِ» (رواه الترمذي)، وكان النَّبيُّ ﷺ يَتعوَّذُ من فتنته يقول: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الغِنَى وَمِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ» (متفق عليه)، وخَشِيَ النَّبيُّ ﷺ على أُمَّتِهِ كثرةَ المالِ والمنافسةَ في جَمْعِه، فقال: «وَاللَّهِ! مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» (متفق عليه).

ومن فِتنتِه: جمعُه سواء من حلال أم من حرام، قال النَّبيُّ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ؛ أَمِنَ الحَلَالِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ؟» (رواه البخاري).

ومن فِتنتِه: البخلُ به، أو احتقارُ الفقراء، أو جعلُه سبباً للعصيان، أو الاستكبارُ به على الخلق، ونسيانُ أنَّ اللَّهَ هو المُنعِمُ عليه، أو بيع الدِّين؛ للحصول عليه؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (رواه مسلم).

والسَّعيدُ مَنْ قنِعَ بعطاءِ اللَّه له، وجَمَعَهُ من حلالٍ، وأيقنَ بأنَّ اللَّه هو المُنعِمُ عليه وحده، فشَكَر ربَّه، وتواضَع للخلق، وبذَلَ ماله؛ ابتغاء مرضات اللَّه.

والدُّنيا تزيَّنت لأهلها، وفتحَت أبوابَها في الصِّناعة والآلة والبناء وغيرها، والمرءُ قد يُفتنُ بما يراه فيها، وينسى أنَّ اللَّهَ هو الذي وهبَ للإنسان العقلَ، وسخَّر له ما في السَّموات وما في الأرضِ؛ لتكون عوناً له على طاعة ربِّه، كما قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾.

وحذَّر أن تكون تلك النِّعمُ صادّةً عنه، وإذا استكبَرَ بما صنعَه فالأُممُ السَّابقةُ قد فُتِح لها من القوَّةِ والمالِ والولدِ ما لم يُفتَحْ لهذه الأُمَّة، قال سبحانه: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾.

والمرأةُ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ أعوج، وهي من حبائل الشَّيطان، ويُزَيِّنُها في أعين الرِّجال؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» (متفق عليه)، وهي أوَّلُ فتنةِ بني إسرائيل؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» (رواه مسلم)، وامتدَّتْ فِتنتُها إلى هذه الأُمَّة، ودواءُ فتنتِهنَّ: غضُّ البصر، وتَحصينُ النَّفسِ بالنِّكاح، وأَمْرُ المرأةِ بالسِّترِ والحجابِ والعفاف.

والأولاد زينةُ الحياة، وجعَلَهُمُ اللَّهُ فتنةً؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾، ومن فِتنَتِهم: التَّفريطُ في تنشِئَتِهِمْ على الدِّين، أو جمعُ المال من غير حِلِّه لهم، أو تركُ شيءٍ من أنواع الطَّاعات، أو انتهاكُ محظورٍ من أجلهم.

والدَّجَّالُ ما من نبيٍّ إلَّا حذَّر أُمَّتَه منه، وهو أعظم إنسانٍ هيئةً وأشدُّه وثاقاً، مجموعةٌ - الآن - يداهُ إلى عُنقه، وما بين رُكبتيه إلى كَعْبَيه بالحديد، وإذا أذِنَ اللَّهُ بخروجه حَلَّ وَثاقَه، وسعى في الأرض، فيَهرُبُ النَّاسُ إلى الجبال خوفاً منه، ومن فِتنَتِه: ادِّعاءُ الرُّبوبيَّة، فيُكذِّبُه بعضُ النَّاس، فيأمرُ السَّماءَ فتُمطِر، والأرضَ فتُنبِت، ويَمُرُّ بالخَرِبة فيقولُ لها: أخرِجي كُنوزكِ، فتَتبَعُه كُنوزُها، ويَضربُ رَجُلاً بالسَّيف فيقطعه قطعتين، ثمَّ يدعوه فيُقبِلُ إليه، فإذا رأى ذلك بعضُ النَّاس قالوا: أنت ربُّنا، فتنةً لهم.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فلا عاصمَ من الفِتَن إلَّا مَنْ عَصَمَه اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾.

والدُّعاءُ سلاحُ المؤمنِ في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والنَّبيُّ ﷺ أمرَ صحابتَه بالتَّعوُّذ من الفِتَن، قال زيدُ بن ثابتٍ رضي الله عنه: «أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: **تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» (رواه مسلم).

وأمَرَ النَّبيُّ ﷺ بالتَّعوُّذ منها في كلِّ صلاة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ؛ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**» (رواه مسلم).

والبُعدُ عن الفِتَنِ عصمةٌ منها، ولهذا أمر النَّبيُّ ﷺ بالهَرَبِ من الدَّجَّال لمن سمِعَ به، ويَعْظُم قدرُ العبد بالبُعد عنها، قال النَّبيُّ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ؛ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً - أَيْ: مَهْرَباً مِنْهَا - فَلْيَعُذْ بِهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي الحَدِيثِ التَّحْذِيرُ مِنَ الفِتْنَةِ وَالحَثُّ عَلَى اجْتِنَابِ الدُّخُولِ فِيهَا، وَأَنَّ شَرَّهَا يَكُونُ بِحَسَبِ التَّعَلُّقِ بِهَا».

والعلمُ الشَّرعيُّ حصنٌ مَكينٌ يَدْرأُ عن الجوارح أعمالَ الشَّهوات، وعن القلب اعتقادَ الشُّبهات، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي» (رواه الحاكم).

والصَّلواتُ الخمسُ جماعةً في بيوتِ اللَّه تَحفظُ العبدَ من المكاره والشُّرُور؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

والرُّفقةُ الصَّالحةُ تُدنِي من الخير، وتُباعِدُ عن الشَّرّ، وصُحبةُ السُّوءِ ندامةٌ تُجَمِّل القبيحَ، وتَؤُزُّه إليه، والحياةُ مَعبَرٌ، والموفَّق من صانَه اللَّه من الفِتَن والمِحَن، ثم لقِيَه وهو راضٍ عنه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

فتنةُ الشُّبهاتِ تُدفَعُ باليقين، وفتنةُ الشَّهواتِ تُدرأ بالصَّبر، والمسلمُ الحقُّ هو الذي يُصلِحُ النَّاسَ يوم فِتْنتِهم، ويُبيِّنُ خَطرَها، ويُوصِي بالاعتصام بحبل اللَّه المتين، وأنواع العبادة - من الدَّعوةِ إلى اللَّهِ وغيرِها - في أوقاتِ الفِتَنِ يَعظُمُ أجرُها عند اللَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» (رواه مسلم).

وعلى المرءِ أَنْ لا يَغْترَّ بكثرةِ الهالكين، وأَنْ لا يَسْتَوْحِشَ من قلَّةِ السَّالكين، ولا يَنظرَ إلى كثرة من هلَك، وإنَّما يَنظرُ إلى النَّاجي كيف نجا؛ لِيَنجو.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فِتْنَةُ المَالِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أربحُ المكاسب، وأجزلُ المواهب.

أيُّها المسلمون:

جعلَ اللَّهُ الفقرَ والغِنَى مَطيَّتين للابتلاء؛ يُمتَحَنُ بهما شكرُ الأغنياءِ وصبرُ الفقراء، وجَعلَ الدُّنيا متاعاً زائلاً، وحَفَّها بالشَّهَوات، وأَصْلُ شهواتِها المال، وهو فتنةُ هذه الأُمَّة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ**» (رواه الترمذي)، والمالُ من موازين الابتلاء: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾، وحُبُّ المالِ يَعْلَقُ بالمخلوق، ويَكْبُرُ معه، وأضلَّ الكافرين: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العاشر من شهر صَفَر، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

خَسَارًا﴾، وأَشْغَلَ المنافقين: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾، وأَلْهَى أفراداً من المسلمين: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، وقد يُخْرِجُ العبدَ من دِيانةٍ ويُدخِلُه في أخرى؛ فشَرَعَ الإسلامُ إعطاءَ المؤلَّفة قلوبُهم من الزَّكاة طمعاً في إسلامهم، وقد يَفْتِنُ المسلمَ في دينه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (رواه مسلم).

والشَّيطانُ مسلَّط بالعُتُوّ في الأموال: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ﴾، وهو من أسبابِ طُغيانِ العبدِ وعصيانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾، وهو زينةُ الدُّنيا وخِداعُها: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾، والحرصُ عليه ممَّا يُفسِدُ الدِّين، وإفسادُه للدِّين بالحرص عليه أشدُّ من إفساد الذِّئبين الجائِعَيْن إذا أُرْسِلا على غنم، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» (رواه الترمذي)، ومَطامِعُ النَّفسِ فيه لا تَنقضي ما لم تُلجَم بلجام القناعة والشُّكر، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثاً، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ» (متفق عليه)، وهو ممَّا يخشاه المصطفى ﷺ على أُمَّته، يقول ﵊: «وَاللَّهِ! مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ» (متفق عليه).

والفقراءُ المستحِقُّون للجنَّة يَسبِقون الأغنياء المُستحقِّين لها، قال النَّبيُّ ﷺ: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ

خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ» (رواه الترمذي)، وكلُّ عبدٍ يُسألُ يومَ يلقى ربَّه عن صِفَةِ كَسْبِه؛ أَمِنْ حلالٍ هو أم من حرامٍ؟ وكيف أنفق؟ قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟» (رواه الترمذي).

وفي التَّكاثرِ منه شغلٌ عن الآخرة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، وهو لا يُقرِّبُ من اللَّه شيئاً، إنما يُقرِّبُ الإنفاقُ منه والعملُ الصالح: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، وهو دمعُ الأَلَمِ والمَشقَّة، والجامعُ له خادم لغيره: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، فالمالُ لِغيرِك، وجَمْعُه وجُهْدُه عليك، يقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» (متفق عليه).

ولا قلبَ يَصْفُو، ولا عَملَ يَزْكُو، ولا أملَ يُرْجَى لِمَنْ كَدَحَ في الدُّنيا بالكسب الحرام، والبُؤسُ والشَّقاءُ يُحيطانِ به، والبركةُ تُنزَعُ من ماله، ويتلاشى النَّفعُ منه؛ قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وملذَّاتُه وزينتُه تُنزع منه؛ قال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، وقد يَظهرُ شُؤْمُ المالِ المُحرَّم على الجوارح، وقد يكونُ من أسباب عقوقِ الأبناء لوالديهم، قال الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ رحمه الله: «إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ

دَابَّتِي وَجَارِيَتِي»، وإذا لَامَسَ المالُ الحرامُ الجسدَ لم يُسمَع الدُّعاء، «ذَكَرَ - النَّبِيُّ ﷺ -: الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (رواه مسلم)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا مِثَالٌ لِاسْتِبْعَادِ قَبُولِ الأَعْمَالِ مَعَ التَّغْذِيَةِ المُحَرَّمَةِ».

والقلوبُ مِنْ صاحبِ المالِ الحرام نافرةٌ، يقولُ أبو الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَخْلُو بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فَيُلْقِي اللَّهُ بُغْضَهُ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ»، وقد يتحسَّرُ آكلُ الحرام عند الممات، قال ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَمْ قَدْ سَمِعْنَا عَنْ صَاحِبِ مَالٍ أَطْلَقَ نَفْسَهُ فِي شَهَوَاتِهَا، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ، فَنَزَلَ بِهِ مِنَ النَّدَمِ وَقْتَ المَوْتِ أَضْعَافَ مَا الْتَذَّ، وَلَقِيَ مِنْ مَرِيرِ الحَسَرَاتِ؟!»، والشُّبهةُ في المال أُخيَّةُ الحرام، قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ» (متفق عليه).

وفي الحلالِ غُنيَةٌ عن الحرامِ والشُّبُهات: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، ومَنْ تَجاوزَ الحلالَ ووقعَ في الشُّبُهات، فما أَخلَقَهُ بأن يخالطَ الحرامَ المحضَ ويقعَ فيه! يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ» (رواه البخاري)، وفي رواية: «مَنْ يُخَالِطُ الرِّيبَةَ يُوشِكُ أَنْ يَجْسُرَ - أَيْ: يَتَجَرَّأَ عَلَى شُبْهَةٍ أُخْرَى أَغْلَظ مِنْهَا حَتَّى يَقَعَ فِي الإِثْمِ -» (رواه أبو داود).

وإيَّاكَ أَنْ تغترَّ بعزمك على تركِ الهوى مع مقاربةِ الفِتْنَة؛ فإنَّ الهوى مَكايد، وأعظمُ الخلقِ اغتراراً مَنْ أتى ما يَكرهُهُ اللَّه، وفسادُ المالِ في التَّأوّلِ فيه، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَشْبَعُ الرَّجُلُ مِنَ الشُّبْهَةِ»، وشهواتُ الدُّنيا مصائدُ هلاك، والدُّنيا مفازةٌ، فينبغي أن يُصْحبَ فيها التَّقوى؛ لا الطَّمعُ والهوى، وبمُجانبةِ الشُّبُهات والبعدِ عنها جاء الإسلام؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» (رواه الترمذي)، ومرَّ النَّبيُّ ﷺ بتَمْرَةٍ في الطَّريق فقال: «**لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا**» (متفق عليه)، وبِالوَرَعِ أخذَ السَّلفُ وعَمِلَ به الصَّحابة؛ «أَطْعَمَ رَجُلٌ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَعَاماً مِنْ مَالٍ تَكَهَّنَ بِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِهِ وَتَقَيَّأَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ» (رواه البخاري).

وقد يُمَدُّ العبدُ بالمالِ استدراجاً له؛ قال سبحانه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾، وكمْ مِنْ مُعْجَبٍ بماله هلك؟ ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فأُهلِكَ حرثُه، وقارونُ أغنى أهلِ زمانِه بَغَى فخُسِفَ به؛ قال سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، ومَنِ اغترَّ بالمالِ قد يُسلَبُ إيَّاه، كما قصَّ اللَّه في كتابه قصَّةَ أصحابِ البُسْتَانِ في سورة القلم.

وفي الصَّحابة والأعلام أغنياءُ شاكرون؛ فَلِعُثمانَ بنِ عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعبدِ الرَّحْمَن بنِ عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعبدِ اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ من الأموال ما

لا يُجهل، فلم ينقطعوا عن اللَّه بدنياهم، ولم يَفْخروا ولم يَستكبروا بها، بل ساروا بها إلى اللَّه؛ فكانت طريقاً لهم إلى الجنَّة.

والمالُ الطَّيِّبُ يَتَضاعَف، والمُحرَّمُ وإن كان كثيراً يَتَلَاشى؛ قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾، ومَنْ أخذ المالَ من غير حِلِّه نُزِعت بركتُه، وكان كَمَنْ يَشْرَبُ من ماء البحر، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيداً عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (متفق عليه)، والأعمالُ تَطِيبُ بِطِيب المَطعم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً» (رواه مسلم).

والرُّسلُ طعامُهم وشرابُهم طيِّب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، وأُمِر المؤمنون بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، والمالُ بالبركة فيه لا بكثرته، وعمادُ البركةِ بالصِّدق فيه، قال عليه الصلاة والسلام: «فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا» (متفق عليه)، ومَنْ كان كسبُه حلالاً كانت دعوتُه أحرى بالإجابة، قيل لسعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه: «تُسْتَجَابُ دَعْوَتُكَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: مَا رَفَعْتُ إِلَى فَمِي لُقْمَةً إِلَّا وَأَنَا عَالِمٌ مِنْ أَيْنَ مَجِيئُهَا، وَمِنْ أَيْنَ خَرَجَتْ».

والعملُ يزكو بأكلِ الحلال، وفي ترك الذُّنوب صيانةُ المال من الزَّوالِ أو القلَّةِ أو نزعِ البركة، والمالُ يُحمَدُ بالعطاء: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾، والمالُ إن لم ينفعْ صاحبَه؛ ضرَّه، وأربحُ النَّاسِ: مَن جعَلَهُ وسائلَ إلى اللَّه والدَّار الآخرة؛ «نِعْمَ

المَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرءِ الصَالِحِ» (رواه أحمد)، وأخسرُهم: مَنْ توسَّلَ به إلى هواه ونيلِ شهواته: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

والمُنفِقُ ابتغاءَ وجهِ اللَّهِ هو الذي عَرَف حقيقةَ المال، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا** - يَعْنِي: بِبَذْلِهِ -» (متفق عليه)، وإذا رزقك اللَّهُ مالاً فخُذْه بسخاوةِ نفسٍ؛ لِيبارَكَ لك فيه، ولا تأخذْه بإشرافٍ أو حِرصٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ**» (متفق عليه)، والمُقْتَدرُ السَّعيدُ مَنْ تَداركَ عُمُرَه بتخصيص وَقْفٍ له بعد مماتِه، مع سخاءٍ بالبذل في حياته، مع وصيَّةٍ مشمولةٍ بالبِرِّ والخيرِ تُنَفَّذ بعد رَحيلِه.

وفي النَّاس أغنياءُ وإن لم يَملكوا أموالاً: بغِنَى قلوبِهم ممَّا يَملكون، وتَعَفُّفِهم عمَّا لا يملكون، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» (متفق عليه).

وأفقرُ الأغنياءِ مَنْ حَرَم نفسَه من الإنفاق، وأغنى الفقراءِ غنيُّ النَّفسِ المُتعفِّفُ عن السُّؤال، والسَّعيدُ منهما مَنْ أكثرَ من الطَّاعات، واجتَنَبَ المعاصي، ومَنْ كان غِنَاه في قلبه لم يَزلْ غنيّاً، ومَنْ كان غناه في كسبه لم يَزلْ فقيراً، ومَنْ قصد المخلوقين لحوائجِه لم يزل محروماً، والزُّهد: أن تَتركَ الدُّنيا من قلبك وهي في يدك، لا أن تَتركَها من يدِك وهي في قلبِك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الفَقْرُ إلى اللَّه والتَّذلُّلُ له هو عَيْنُ الغِنى، وأَذلُّ الخلقِ بين يديه هو أَعزُّهم، وإعطاءُ المالِ للعبدِ لا يَدلُّ على رضاه، ومَنعُه مِنه لا يَدلُّ على سخطه، إنَّما يُعطي؛ لتَكرُّمِه ويَمنعُ لِحكمتِه ابتلاءً لخلقه: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾، ولو كانت الدُّنيا تُساوي عند اللَّه جناحَ بَعوضةٍ؛ لَمَا سقى كافراً منها شربة ماء.

ومَنْ نظر في دنياه إلى من هو فوقَه أَسِفَ على ما فاته، ومَنْ نظر إلى من دونه في المال شَكَرَ نِعَمَ اللَّه السَّابغة عليه، ومِنْ قواعدِ الشَّريعة: النَّظرُ إلى مَنْ هو أعلى منك في الدِّين، ومَنْ هو أدنى منك في الدُّنيا، قال ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ** - أَيْ: مِنَ الدُّنْيَا -، **وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**» (رواه مسلم)، ومَنْ أنعم اللَّه عليه بالاستقامة في الدِّين مع الرِّزق الكفافِ والقناعة به؛ فقد نال السَّعادة، قال ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**» (رواه مسلم).

ثُمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

النَّجاةُ مِنَ الفِتَنِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهده اللَّه فلا مُضلَّ له ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أسْبَغَ اللَّه على الخلق نِعَماً ظاهرةً وباطنةً، واصطفى نِعمَةً هي أَنفَسُ النِّعَمِ وأعلاها، مَنَحها لمن شاء من عباده، وحَرَم منها الكثير وهم يَتَمَنَّونَها؛ قال ﷻ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾، وهي أكثر النِّعم عُرضةً للزَّوال، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ؛ يُقَلِّبُهَا كَمَا يَشَاءُ**» (رواه الترمذي).

وكان يعقوبُ عليه السلام يوصي أولادَه بالحفاظ عليها: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يدعو

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع عشَر من شهر رجب، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

ربَّه بأن يُديمَها ويقول: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (رواه أحمد).

ومِن دعاء الرَّاسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، وكلُّ مسلمٍ مأمورٌ بالدُّعاء في صلاته بالحفاظ عليها؛ إذ بها سعادةُ الدَّارين، قال سبحانه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «العَبْدُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ تَثْبِيتِ اللَّهِ لَهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ»، واللَّهُ أمر عباده أن يسألوه الثَّباتَ على الهداية: «يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» (رواه مسلم).

والفِتَن كثيرةٌ وقد تُزيلُ تلك النِّعمةَ، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ» (متفق عليه)، وهي تُزعزعُ قلوبَ العُبَّاد إلَّا مَنْ عَصَم اللَّه، ومَن اسْتَشْرَفَ إليها أخذته، والحيُّ لا تُؤْمَنُ عليه فتنة، قال النَّبيُّ ﷺ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا؛ نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا؛ نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ» (رواه مسلم).

وقد تُخرجُ المرءَ عن دينه في يومه، قال النَّبيُّ ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «وَهَذَا لِعِظَمِ الفِتَنِ؛ يَنْقَلِبُ الإِنْسَانُ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ»، وكان النَّبيُّ ﷺ يَتعوذُ من الفِتَن في صلاته يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ» (متفق عليه)،

وقد أَمَرَ أُمَّتَه بالتَّعوُّذ منها، فقال: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» (رواه مسلم).

وفِتنَةُ النِّساءِ إن لم تُحذَرْ زلَّتْ بالرَّجُلِ القَدَم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» (متفق عليه)، ولَمَّا كانت الفِتْنَةُ بِهِنَّ عظيمةً أمرهنَّ اللَّه بالقَرار في البيوت، وعدِمِ الخروجِ منها إلَّا لضرورة أو حاجة، فإن مسَّت الحاجةُ إلى الخروج فليكن على تبذُّلٍ وتَستُّرٍ تامٍّ، وبُعدٍ عن الاختلاط بالرِّجال، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنِ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ أَعْظَمُ أَسْبَابِ نُزُولِ العُقُوبَاتِ العَامَّةِ».

والمالُ فتنةُ هذه الأُمَّة؛ قد يُدخلُ المرءَ في الدِّين وقد يخرجُه منه، والعدلُ أن يؤخذَ من حِلِّه ويُجعَلَ في اليد لا في القلب، ويُنتفعَ به في مرضات اللَّه، وتتبُّعُ المتشابهِ من الأحكام، والأخذُ بالرُّخص في الحلال والحرام، والتَّحايُلِ؛ لارتكاب المُحرَّم؛ فسادٌ للدِّين، قال اللَّه لنبيِّه ﷺ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، قال سليمان التَّيمي رحمه الله: «لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ؛ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ».

والتَّهاونُ بصغائر الذُّنوب هلاكٌ للعبد، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ! فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**» (رواه أحمد)، والبعدُ عن اللَّه بالعصيان والتَّقصير في الواجبات من أسباب الغواية؛ قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

والعُجْبُ بالعملِ والنَّفسِ معصيةٌ قد يُعاقَبُ عليها بالتَّحوُّلِ عن الثَّبات، يوسفُ عليه السلام استعانَ باللَّهِ وحدَه في العصمة من الزَّلَلِ فعُصِم: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۞ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾، والاستعجالُ في رؤية ثمرةِ الخيرِ يُورِثُ الفُتُورَ ثمَّ الانقطاع، والواجبُ الإخلاصُ ومداومةُ العملِ.

واليأسُ من إصلاح مجتمعٍ لظهور الخطايا فيه عجزٌ في النَّفس، بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ وحَوْلَ الكعبة أصنامٌ وأوثان، فما صدَّه ذلك عن نُصح قومه.

ومع كثرةِ الفِتَنِ وتَغيُّرِ الأحوالِ تَشْتَدُّ الحاجةُ إلى الثَّبات على الدِّين، وقد ذمَّ اللَّه مَنْ يَضْعُفُ تمسُّكه بالدِّين عند فتنةٍ ظَهرتْ، أو معصيةٍ فَشَتْ؛ قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

وتلاوةُ كتابِ اللَّهِ والإكثارُ من ذكره ثباتٌ على الدِّين، قال جلَّ شأنه: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

ومَنْ أكثرَ من الطَّاعات، وابْتعدَ عن السيِّئات كان أشدَّ ثباتاً؛ قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾.

والمداومةُ على العمل الصَّالح يُقوِّي الإيمانَ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ**» (متفق عليه)، قال

النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُثْمِرُ القَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيدُ عَلَى الكَثِيرِ المُنْقَطِعِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً».

ومجالسةُ العلماءِ تُحيي القلوبَ، وتَحُثُّ على العمل، والصَّاحبُ الصَّالحُ مُعِينٌ على الخير؛ إن ضَعُف صاحبُه عن الطَّاعة قوَّاه، وإن زلَّت قدمُه لمُحرَّمٍ نهاه، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وفي قَصصِ الأنبياءِ رَفْعٌ لِلْهِمَم ووُثُوقٌ باليقين، قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾.

والرِّضا بالمكتوب من المصائبِ والمتاعبِ رُكنٌ من الدِّين، به الطُّمأنينةُ والسُّرور، والمؤمنُ أصبرُ النَّاسِ على البلاءِ، وأثْبَتُهم على الدِّين في الشَّدائد، وأرضاهم نفساً في المُلِمَّات.

والقناعةُ بما قُسِمَ حُسنُ ظنٍّ باللَّهِ، يُورِثُ التَّعلُّقَ به والتَّمسُّكَ بدينه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**» (رواه مسلم).

والإيمانُ يَخْلَقُ كما يَخْلَقُ الثَّوب، وتَجديدُه بالتَّوبة في كلِّ وقتٍ وحين، ورجاءُ ما عند اللَّه من النَّعيم يَجمحُ النَّفس عن اتِّباع الهوى، والدُّعاءُ أمرٌ لَازِمٌ على المسلم، وصفاءُ التَّوحيد وتعليمُه أعظمُ سببٍ في الثَّباتِ على الدِّين، أصحابُ الكهف لمَّا قاموا: ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ﴾، قال اللَّه عنهم: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾.

والإكثارُ من نوافلِ العبادات - من الصَّلاةِ والصَّدقةِ والعمرة، والإحسانِ إلى المحاويجِ - يَحْفَظ من الفِتَن، قال اللَّه في الحديثِ القُدْسيِّ: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**» (رواه البخاري).

ومَنْ حَفِظَ جوارحَه حسُنَت خاتِمتُه على الدِّين، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُوءُ الخَاتِمَةِ لَا تَكُونُ لِمَنِ اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وَصَلَحَ بَاطِنُهُ، مَا سُمِعَ بِهَذَا وَلَا عُلِمَ بِهِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ كَانَ لَهُ فَسَادُ العَقْلِ، أَوْ إِصْرَارٌ عَلَى الكَبَائِرِ، وَإِقْدَامٌ عَلَى العَظَائِمِ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِالدِّينِ ثَبَّتَهُ اللَّهُ فِي مُدْلَهِمَّاتِ الأُمُورِ».

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

مجاهدةُ النَّفسِ عن الهوى ومَنعُها من الالتفات إلى الصَّوارِفِ عن الهدى؛ من الثَّبات على الدِّين، ولا تَتِمُّ سلامةُ القلبِ مُطْلقاً حتى يَسلَمَ مِنْ شركٍ يُناقِضُ التَّوحيد، وبدعةٍ تُنَافِي السُّنَّة، وشهوةٍ تُخالفُ الأمرَ، وغَفلةٍ تُناقضُ الذِّكرَ، وهوًى يُناقضُ الإخلاصَ.

والسَّعيدُ مَنْ هداه اللَّه وثبَّته على الدِّين حتى الممات، فأخلصوا للَّه أعمالكم واسْأَلُوا ربَّكم الثَّباتَ على دينه، واستعيذوا باللَّهِ من الفِتَن ما ظهر منها وما بطن.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الثَّبَاتُ وَأَسْبَابُهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

أجلُّ النِّعم: إخلاصُ العبوديَّةِ للَّه والاستقامةُ على طاعته، والمسلمُ يُحافظُ عليها ويَحْرُسُ قلبَه ممَّا يُكدِّرُها؛ إذِ الشيطانُ مُحيطٌ به من كلِّ جانب؛ ليَسْلُبَها منه؛ قال سبحانه عنه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾، وما مِنْ فتنةٍ ظَهرتْ أو ستظهرُ إلَّا وتُعرضُ على كلِّ قلبٍ كَعَرْضِ الحصير عوداً عوداً، والفتنةُ كما تكون في الشَّرِّ كذلك في الخير تكون، كفِتنَةَ المالِ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث من شهر محرَّم، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ

والبنين والعافية؛ قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، و«قُلُوبُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

والدِّينُ أعزُّ وأغلى ما يَملِكُه المسلم، وهو زاده في الدُّنيا والآخرةِ، ولا غنى له عنه، والحياةُ فِتَنٌ، والثَّباتُ عزيز، وأعظمُ ما يُحتاجُ إليه: التَّمسُّكُ بالدِّين، والثَّباتُ عليه، وقد أمر اللَّه نبيَّه ﷺ بالاستقامة على الدِّين وعدمِ اتِّباع أهل الهوى فقال: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، وأُمِر كلُّ مسلم أنْ يَدعوَ ربَّه في كلِّ ركعةٍ بالهداية والثَّبات: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «هَذَا الدُّعَاءُ أَفْضَلُ الأَدْعِيَةِ وَأَوْجَبُهَا عَلَى الخَلْقِ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ صَلَاحَ العَبْدِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

ومِنْ دَأْبِ الصَّادقين: الخوفُ على إيمانِهم من النَّقصِ أو الزَّوال؛ إبراهيمُ عليه السلام حطَّم الأصنامَ بيديه، ومع هذا يدعو ربَّه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، ويوسفُ عليه السلام يدعو إلى التَّوحيد ويقول: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ونبيُّنا ﷺ افْتَتَحَ دعوتَه واخْتَتَمَها بالتَّوحيد، وكان كثيراً ما يدعو: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (رواه الترمذي)، وفي سفرِه يدعو ربَّه أيضاً بالثَّبات، فكان إذا سافر قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَالحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ - أَيِ: الرُّجُوعِ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى المَعْصِيَةِ -، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ» (رواه مسلم).

وكان ﷺ يَتفقَّدُ ثباتَ صحابتِه، وإذا رأى من أحدهم نقصاً في العبادة ذكَّرَهُ ونَصَحَه، قال لعبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَكُنْ بِمِثْلِ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**» (متفق عليه)، وحثَّ أُمَّتَه على الثَّباتِ واستدامةِ العمل، قالت عائشة رضي الله عنها: «وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ - أَيِ: العَمَلِ - إِلَيْهِ: مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ» (متفق عليه).

واللَّهُ سبحانه هُو الهادي، والهِدايةُ بيده وحده، قال تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «**يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ**» (رواه مسلم)، ولا تَثبتُ قدمُ الاستقامةِ إلَّا بافتقار القلْبِ إلى اللَّه واليقينِ أنَّه لا ثباتَ إلَّا بِتثبيتِه، قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

وصفاءُ التَّوحيد وتَعلُّمه أعظمُ سببٍ للثَّبات على الدِّين، قال سبحانه عن أصحاب الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾.

وطهارةُ القلْبِ وسلامتُه وإخلاصُه: من مُوجِبَات الثَّبات، ومِنْ أعظم ما يَصْرِفُ اللَّهُ به عن العبد أسبابَ الهلاك؛ قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، ومَنْ ساءَ قصدُه، وانحرفت سَريرتُه عن الإخلاص؛ ظَهَر أثرُ ذلك على دينِه وسيرتِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**» (متفق عليه)، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله:

«قَوْلُهُ ﷺ: «**فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ**»: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَاطِنَ الأَمْرِ يَكُونُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ خَاتِمَةَ السُّوءِ تَكُونُ بِسَبَبِ دَسِيسَةٍ بَاطِنَةٍ لِلْعَبْدِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا النَّاسُ».

والدُّعاء بالثَّباتِ افتقارٌ وعِبادة، وبه تحقيقُ الاستقامة، والنَّبيُّ ﷺ كان يدعو بالثَّباتِ على الهدايةِ ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**» (متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمُ أصحابَه الدُّعاء بذلك، قال شدَّاد بنُ أوسٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ**» (رواه الترمذي)، والرَّاسخون في العلم والإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

والإخلاصُ مُوصِلٌ إلى اللَّهِ، ونَجاةٌ من كُلِّ قاطعٍ عنه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، واتِّباع السُّنَّة عصمةٌ ونَجاة؛ قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ وَإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ».

وإذا ظهرت فتنةٌ فالعصمةُ منها بَعْدَ اللَّهِ في المبادرة بالأعمال الصَّالحة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ** - أَي: الصَّالِحَةِ - **فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» (رواه مسلم).

والامتثالُ لأمرِ اللَّه بعد المواعظ من سُبُلِ الثَّبات؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾، كما أنَّ تَرْكَ العَمَلِ بعد العلم والموعظةِ من أسباب الخِذلان والضَّلال، قال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» (متفق عليه).

والإقبالُ على تلاوةِ القرآنِ العظيم وحفظِه واستماعِه والعملِ به من مقاصد تنزيله، وهو تثبيتٌ للقلبِ من الزَّيغ؛ قال سبحانه لنبيِّه ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، وأَمَرَهُ تعالى بإعلامِ الأُمَّةِ أَنَّهُ ثَباتٌ للمؤمنين فقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وتأمُّلُ قَصَصِ الأنبياءِ وثباتِهم مع ما لَاقَوْهُ من عداوةٍ وأذىً يُعِينُ النَّفسَ على سلوكِ طريقهم؛ قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

والصَّلاةُ طاردةٌ لِمَا يُفْسِدُ القلْبَ والبَدن: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، والصَّدقةُ برهانٌ على إيمان العبدِ وصلاحِه، وبها يَحفظُ اللَّه دينَهُ ودُنياه، ومَنْ أكثرَ من النَّوافل؛ أحبَّه اللَّهُ وحَفِظَه، قال تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**» (رواه البخاري)، وذِكْرُ اللَّهِ يُصلحُ القُلوب ويَعْصِمُها من الفِتَن، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما:

«الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ؛ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ؛ خَنَسَ».

واليقينُ بإظهارِ اللَّه لدينِهِ وحفظه لملَّته، عونٌ على الطَّاعة والثَّباتِ على الدِّين، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَاللَّهِ! لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» (رواه البخاري).

والرِّضا بالمكتوب - من المصائب والمتاعب - من أُسسِ الدِّين، وبه طمأنينةُ القلب وسرُورُه، والمؤمنُ أصبرُ النّاسِ على البلاء، وأثبتُهم على الدِّين في الشَّدائد، وأرضاهُمْ نفساً في المُلِمَّات، ومن استشعر عظيمَ نعمةِ الهدايةِ والاصطفاءِ؛ ازداد تمسُّكاً بالحقِّ وثباتاً عليه، قال سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾، والجزاءُ من جنس العمل، فَدَوَامُ المراقبةِ للَّه، وحِفْظُ حدوده وحرماتِهِ سببٌ لحفظ اللَّه لعبده؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**احْفَظِ اللَّهَ؛ يَحْفَظْكَ**» (رواه الترمذي).

ومجالسةُ العلماء والصَّالحين تُحيي القلوبَ وتعينُ على الطَّاعة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾، وصف ابنُ القيِّم رحمه الله أثرَ زيارته لشيخ الإسلام رحمه الله بقوله: «وَكُنَّا إِذَا اشْتَدَّ بِنَا الخَوْفُ، وَسَاءَتْ مِنَّا الظُّنُونُ وَضَاقَتْ بِنَا الأَرْضُ أَتَيْنَاهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَرَاهُ وَنَسْمَعَ كَلَامَهُ؛ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَيَنْقَلِبُ انْشِرَاحاً وَقُوَّةً وَيَقِيناً وَطُمَأْنِينَةً»، والمؤمنُ لا يغترُّ بالباطلِ وأهله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾.

والقناعةُ بما قَسم اللَّهُ حُسنُ ظنٍّ به، يُورِثُ التَّعلُّقَ به، والتَّمسُّكَ بدينه، قال النَّبيُّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (رواه البخاري)، وقِصَرُ الأمل، وزيارةُ المقابر للرجال، والإكثارُ من ذكر الموت؛ يَحْمِلُ النَّفسَ على التَّقوى، ويَسُوقُهَا إلى الطَّاعة، وتَذَكُّر منازل الآخرة، وما أعدَّ اللَّه للصَّالحين من عباده؛ سُلوانٌ للثَّبات على الدِّين، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ» (متفق عليه).

والعاقلُ لا يُخاطِرُ بِتَعريضِ قَلْبِه للفتنِ والشُّكوك، بِزَعْمِ أنَّه لن يَتأَثَّرَ بها، فذلك عُجْبٌ منه بنفسه وحالِه، وقد يُعاقَبُ بالتَّخلية بينه وبين نفسِه فيُهْلكُها، وتتبُّع الشُّبهات والأفكارِ المنحرفةِ والعقائدِ الفاسدةِ والشَّهواتِ سببٌ للزيغِ، وتوسُّعُ وسائلِ الاتِّصال وسهولةُ الوصولِ إليها يَزيدُ من خطورتها ويجعلُ الحذرَ منها أوجب، ونهجُ الأنبياءِ: الفرارُ من الفتن؛ يوسفُ عليه السلام استحبَّ السِّجنَ على الفتنة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾، وكان السلفُ مع سعة علمِهم وعميقِ إيمانهم يَنْأَوْنَ بأنفسهم عن مثل ذلك، قال مَعْمَرٌ رحمه الله: «كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ طَاوُسٍ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ فِي القَدَرِ فَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ، فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ وَقَالَ لِابْنِهِ: أَدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ وَلَا تَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ شَيْئاً؛ فَإِنَّ القَلْبَ ضَعِيفٌ»، قال الذَّهبيُّ رحمه الله: «أَكْثَرُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ عَلَى مِثْلِ هَذَا التَّحْذِيرِ؛ يَرَوْنَ أَنَّ القُلُوبَ ضَعِيفَةٌ وَالشُّبَهَ خَطَّافَةٌ».

ومَنْ طَرَقَ أبوابَ الشُّبُهات والهَوَى وقعَ فيها، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا

زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾، و«مَنِ اتَّقى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ».

ومِن دُروبِ الضَّلالِ: الاعتراضُ على نُصوصِ الشَّرعِ وردُّها بالأهواء والظُّنون؛ قال سبحانه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَعَوَّدَ مُعَارَضَةَ الشَّرْعِ بِالرَّأْيِ؛ لَا يَسْتَقِرُّ فِي قَلْبِهِ الإِيمَانُ».

ومُحقَّراتُ الذُّنوبِ تَجْتَمِعُ على صاحِبها فتُهْلِكُه؛ «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ! فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ» (رواه أحمد).

والاستعجالُ في رؤيةِ ثَمَرَةِ الخير يُورِثُ فُتُوراً ثُمَّ انقطاعاً، والواجبُ دوامُ العمل والإخلاصُ للَّه فيه.

والإيمانُ يَخْلَق كما يَخْلَق الثَّوب، وتجديده بالتَّوبة والاستغفارُ في كلِّ وقتٍ وحين، والمبادرةُ بذلك طَهارةٌ للقلب وغَسْلٌ له من أدران الذُّنوب، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ؛ سُقِلَ قَلْبُهُ» (رواه الترمذي).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فَرِضَا اللَّهِ في الاستقامةِ على الدِّين والثَّباتِ عليه، والمؤمنُ لا تَتغيَّر حالُه في الشِّدةِ والرَّخاء، ولا يَتَذَبْذَبُ في السَّرَّاء أو الضَّرَّاء، يَعبُدُ ربَّهُ في كُلِّ حِينٍ وعلى كُلِّ حَالٍ، ويعتزُّ بدينِه، ويَتمسَّكُ به، ويَدعُو النَّاس إليه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مِن النَّاسِ مَنْ إذا صَلَحت له دُنْيَاهُ؛ أقامَ على العبادة، وإن فسدت عليه دُنياه وتغيّرتْ؛ تبدَّل حالُه، ومنهم مَنْ إذا أصابته شِدَّةٌ، أو امتحانٌ، أو ضِيقٌ؛ أضاعَ دينه، وضَعُفَ عن التَّمسُّك به، واللَّهُ حَذَّرَ من ذلك في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الباب الثَّالث عشر

المُجْتَمَعُ

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوَّل : استقرارُ المُجتَمَع.

الفصل الثَّاني : الأَقَارِب.

الفصل الثَّالث : حُقُوقُ المُسْلِمِين.

الفصل الأوَّل

اسْتِقْرَارُ المُجْتَمَعِ

نِعْمَةُ الأَمْنِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه رَشَد، ومَنْ أعرض عن مولاه عاش في كَمَدٍ.

أيُّها المسلمون:

فرضَ اللَّهُ الفرائضَ، وحرَّمَ المُحرَّمات، وأَوجبَ الحقوق؛ رعايةً لِمَصالحِ العباد، وجَعلَ الشَّريعة غِذاءً لِحِفْظِ حياتِهم ودواءً لدفع أدوائهم، وجاءت دعوة الرُّسُل بإخلاص العبادة للَّه وحده بخضوع وخشوعٍ وطُمأنينةٍ، ومَقَتَت ما يَصرفُ القلوبَ عن خالقِها، فكانت أَوَّلُ تَضرُّعاتِ الخليل عليه السلام أنْ يَبْسُطَ الأَمْنَ على مَهْوَى أفئدةِ المسلمين، فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؛ فاسْتَجابَ اللَّهُ دعاءَه، فقال

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر جمادى الآخرة، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

سبحانه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، وفضَّلَ اللَّهُ البيتَ الحرامَ بما أَحلَّ فيه من الأَمْنِ والاسْتِقْرار: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

وامتنَّ اللَّه على ثمودَ - قومِ صالحٍ - نَحْتَهُم بيوتَهم مِنْ غيرِ خوفٍ ولا فزع، فقال عنهم: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾، وأَنْعَمَ اللَّهُ على سَبأَ الآلاءَ المُتَتابِعَةَ والأَماكِنَ الآمِنَة، فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾، ويوسفُ عليه السلام يُخاطِبُ والديْه وأَهْلَه مُمْتناً بنعمةِ اللَّهِ عليهم بدخولهم بلداً آمناً مُسْتقِرّاً تَطْمئنُّ فيه نفوسُهم: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، وحَبسَ اللَّهُ عن مكَّةَ الفِيل، وجَعلَ كيدَ أصحابِ الفيل في تَضْليلٍ؛ لِتَبْقَى كعبةُ اللَّه صرحاً آمناً عبر التَّاريخ.

والعَرَبُ قبل الإِسْلَام تَعِيشُ حَالةً مِن التَّمزُّقِ والفَوْضَى والضَّيَاع، تَدُورُ بَيْنَهم حُرُوبٌ طَاحِنةٌ ومَعَارِكُ ضَاريةٌ، وعَلَتْ مكانةُ قريش مِن بيْنِهِم؛ لاحْتِضَانِهَا بَلَداً آمناً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾، بل وأَقْسَمَ اللَّهُ بذلكَ البلدِ المُستقِرِّ الآمن، فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

ووَعَدَ اللَّهُ نَبيَّهُ مُحمَّداً ﷺ وأَصْحَابه بِأَدَاءِ النُّسُكِ عَلَى صِفةٍ تَتشوَّقُ لها أَنْفُسُهُم - وهي الأَمْن - ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ﴾.

ومِمَّا اخْتَصَّتْ به مدينةُ المصطفى ﷺ: أَمْنُهَا حين تفزعُ القُرَى من

المَسِيح الدَّجَّال؛ قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ» (رواه البخاري).

ومِنْ نعيم أهلِ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ: أَمْنُ المَكَان؛ فلا خَوْفٌ ولا فزعٌ ولا تَحوُّلٌ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

أيُّها المسْلِمون:

لقد جَمَعَتْ شريعةُ الإسلامِ المحاسنَ كلَّها؛ فَصَانَتِ الدِّينَ، وحَفِظَتِ العقول، وطهَّرتِ الأموال، وصَانَتِ الأَعْرَاض، وأمَّنتِ النُّفُوس، وأَمَرَتِ المُسْلِمَ بإلقاءِ كلمةِ السَّلامِ والأمانِ والرَّحْمةِ والاطمئنانِ على أَخيهِ المُسْلِم؛ إشارةً منها لنَشْرِ الأَمْنِ بينَ النَّاس، وأَوْجَبَتْ حِفْظَ النَّفسِ حتى في مَظِنَّةِ أَمْنِها في أَحبِّ البِقَاعِ إلى اللَّه؛ قال ﷺ: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ؛ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا - أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ -، أَنْ يُصِيبَ أَحداً مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ» (متفق عليه).

وحذَّرَتْ من إظهارِ أسبابِ الرَّوْعِ بين صفوفِ المسلمين؛ قال ﷺ: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ» (متفق عليه)، وحرَّمَتْ عَلَى المُسْلِمِ الإشارةَ على أَخيهِ المُسْلِم بالسِّلاح ولو مَازِحاً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ

لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءً مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وَسَوَاءً كَانَ هَذَا هَزلاً وَلَعِباً أَمْ لَا؛ لِأَنَّ تَرْوِيعَ المُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ».

ودعا الإسلامُ إلى كُلِّ عَمَلٍ يَبْعَثُ على الأمنِ والاطمئنانِ بين صفوفِ أفرادِه، وأَمَرَ بإخفاءِ أسبابِ الفَزَعِ في المجتمع؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً» (رواه أحمد)، ولَمَّا دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مكَّةَ عامَ الفَتْحِ مَنَحَ أَهْلَ مكَّةَ أعظمَ ما تَتُوقُ إليه نُفوسُهم؛ فأعطى الأمانَ لهم، وقال: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» (رواه مسلم).

وما شُرِعَتِ الحُدُودُ العَادِلَةُ الحَازِمَةُ في الإسلام على اخْتِلَافِهَا إلَّا لِتَحْقيقِ الأمن في المُجْتَمَعات.

أيُّها المسلمون:

بالأمنِ والإيمانِ تَتوحَّدُ النُّفُوس، وتَزْدَهِرُ الحياة، وتُغْدَقُ الأرزاق، ويَتَعارَفُ النَّاس، وتُتَلَقَّى العُلُومُ مِنْ مَنابِعِهَا الصَّافِية، ويَزْدَادُ الحَبلُ الوَثِيقُ بين الأُمَّةِ وعُلَمَائِهَا، وتَتَوثَّقُ الرَّوابطُ بين أفرادِ المجتمع، وتَتَوحَّدُ الكلمةُ ويَأْنَسُ الجميع، ويَتَبَادَلُ النَّاسُ المَنافِعَ وتُقَامُ الشَّعائرُ بطُمَأْنِينَة، وتُقَامُ حدودُ اللَّه في أرضِ اللَّه على عباد اللَّه.

وإذا اختلَّ الأمنُ تبدَّلَ الحال، ولم يَهْنَأْ أَحَدٌ براحةِ بال، فيَلْحَقُ النَّاسَ الفَزَعُ في عباداتهم؛ فتُهْجَرُ المساجدُ ويُمْنَعُ المُسْلِمُ من إظهارِ

شعائرِ دينه، قال سبحانه: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، وتُعاقُ سُبُلُ الدَّعوة، ويَنْضَبُ وصولُ الخيرِ إلى الآخرين، وينقطعُ تَحصيلُ العلمِ وملازمةُ العلماء، ولا تُوصلُ الأرحام، ويئِنُّ المَرْضَى فَلَا دَوَاءَ ولا طَبِيب، وتَخْتَلُّ المَعَايِشُ، وتُهْجَرُ الدِّيار، وتُفَارَقُ الأَوْطَان، وتَتَفَرَّقُ الأُسَر، وتُنْقَضُ عُهُودٌ ومَوَاثِيقُ، وتَبُورُ التِّجارةُ، ويَتَعَسَّرُ طَلَبُ الرِّزق، وتَتبدَّلُ طِبَاعُ الخَلْق؛ فَيَظْهَرُ الكَذِب، ويُلْقَى الشُّحّ، ويُبادَر إلى تصديقِ الخَبَرِ المَخُوفِ وتَكْذِيبِ خبرِ الأمن، باختلالِ الأمن تُقْتَلُ نُفوسٌ بريئةٌ، وتُرمَّلُ نساءٌ، ويُيَتَّمُ أطفالٌ.

إذا سُلِبَتْ نِعمةُ الأمنِ فَشَا الجَهْلُ، وشَاعَ الظُّلم، وسُلِبَتِ المُمْتَلَكَات، وإذا حلَّ الخوفُ أُذِيقَ المجتمعُ لِبَاسَ الفَقرِ والجُوع، قال سبحانه: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَمَّى اللَّهُ الجُوعَ وَالخَوْفَ لِبَاساً؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنَ الهُزَالِ وَشُحُوبَةِ اللَّوْنِ وَسُوءِ الحَالِ مَا هُوَ كَاللِّبَاسِ».

الخوفُ يَجلِبُ الغَمَّ، وهو قَرِينُ الحُزْن؛ قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، يقول معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِيَّاكُمْ وَالفِتْنَةَ! فَلَا تَهُمُّوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا تُفْسِدُ المَعِيشَةَ، وتُكَدِّرُ النِّعْمَةَ، وتُورِثُ الاسْتِئْصَالَ».

ولو قلَّبتَ البَصَرَ في الآفاقِ لَوَجَدْتَ الأَمْنَ ضَرُورةً في كلِّ شأنٍ، ولَنْ تَصِلَ إلى غايةِ كمالِ أَمرٍ إلَّا بالأمن، بل لَنْ تَجِدَ مُجْتَمَعاً نَاهِضاً وحِبَالُ الخوفِ تَهُزُّ كِيَانَه.

أيُّها المسلمون:

نعمةُ الأمن مِنْ نِعمِ اللَّه حقّاً، حَقيقٌ بأن تُذْكَرَ ويُذَكَّرَ بها، وأن يُحافَظَ عليها؛ قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

ونعمةُ الأمن تُقابَلُ بالذِّكرِ والشُّكْرِ: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾، وأمَرَ اللَّهُ قُريشاً بشكرِ نِعمةِ الأمن والرَّخاءِ بالإكثار من طاعته؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

والمعاصي والأمنُ لا يَجْتَمِعَان؛ فالذُّنوبُ مُزيلةٌ للنِّعَمِ وبها تَحُلُّ النِّقَمُ؛ قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وما نَزَلَ بلاءٌ إلَّا بذنْبٍ ولا رُفِعَ إلَّا بتوبةٍ، والطَّاعةُ هي حِصْنُ اللَّهِ الأَعْظَمُ الذي مَنْ دَخَلَه كان من الآمِنين، وبالخوفِ من اللَّه ومراقبتِه يَتَحقَّقُ الأمنُ والأمَان؛ فهَابيلُ امْتنَعَ مِنْ قتْلِ أخيه قَابِيلَ؛ خوفاً من اللَّه: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والعنايةُ بالعِلم والتَّمسُّكُ بالكتاب والسُّنَّة - شريعةً وقِيَماً وأصولاً اجتماعيَّةً - عِصمةٌ من الفِتَن، والتَّعليمُ الشَّرعيُّ أساسٌ في رسوخِ الأمن والاطمئنان؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِذَا ظَهَرَ العِلْمُ فِي بَلَدٍ أَوْ مَحِلَّةٍ قَلَّ الشَّرُّ فِي أَهْلِهَا، وَإِذَا خَفِي العِلْمُ هُنَاكَ ظَهَرَ الشَّرُّ وَالفَسَادُ»، والعلماءُ

الرَّبَّانيُّونَ هم ورثةُ الأنبياء، وفي مُلازَمَتِهم وزياراتِهم وسؤالِهم والاستنارةِ بآرائهم: سدادٌ في الرَّأي، وتوفيقٌ للصَّواب، ودرءٌ للمفاسد.

وببركةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر تُمْنَعُ الشُّرورُ والآفاتُ عن المجتمعات، وحِفْظُ العبدِ نفْسَه من شَهَواتِ النَّفسِ وشُبُهاتِ القلبِ أَصْلٌ في صيانةِ المجتمعِ من المخاوفِ والمَكَارِه، وتأويلُ نُصوصِ الشَّريعةِ على غير وَجْهِهَا سببُ انحرافِ الأفهام، ومنها يَنطلقُ الأعداءُ لِتَلْويثِ عُقولِ النَّاشئة، ويَزْدَادُ أَثَرُهُ حين يَضْعُفُ التَّحصُّن بعلومِ الدِّين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الأمنُ مَطْلَبٌ في الحياةِ لا يَسْتَغْنِي عنه الخَلْقُ لِقضاءِ مَصَالِحِهِم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وما مِنْ عَبْدٍ إلَّا ويَبْحَثُ لنفْسِه عن أسبابِ أَمْنِهَا، ويَتَوقَّى جَهْدَ طاقتِه أسبابَ الخوفِ التي قد تُحْدِقُ به في طريقِ حياته، ومَهْمَا أُوتِيَ الإنسانُ مِنْ سلامةِ بدنٍ، وَوَفْرَةِ رزقٍ؛ فإنَّه لا يَشْعُرُ بقيمَتِهَا إلَّا بالأمنِ والاستقرار، والخوفُ مِنَ اللَّه ومراقبَتُه مفتاحُ الأمنِ للمُسْلِم في دنياه وفي أُخْرَاه، وعَقْدُ القلبِ على أركانِ الإيمانِ، وتوفيرُ مُقْتَضَيَاتِه في عمل الجوارح هو المصدرُ الحقيقيُّ لحصولِ الأمن في الدُّنيا والآخرة، والأمنُ التَّامُّ في طاعةِ اللَّه ولُزوم ذِكْرِه؛ قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

وإذا استقامَ الفَرْدُ في نفْسِه، وأَلْزَمَ مَنْ تحتَ يَدِه - مِنْ زوجةٍ وأبناء - على السَّيْرِ وَفْقَ كِتابِ اللَّه وسُنَّةِ رسوله ﷺ حَقَّقَ الأمنَ لنفْسِه، وانتَظَمَ الأمنُ في المجتمع.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الاجْتِمَاعُ وَالائْتِلافُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّهِ طريقُ الهُدى، ومُخالفتُها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

خلَقَ اللَّهُ العبادَ ورزَقَهم ودبَّرَ أمرَهم ورَحِمَهم بدينِ الإسلام، فيه صلاحُ دُنياهم وآخرتِهم؛ قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ أي: فِي الدُّنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي: فِي الآخرة.

دينٌ عظيمٌ مِنْ أَهَمِّ أُصُولِه وخصائِصِه وقواعِدِه العِظام: حثُّهُ على جَمْعِ أهلِه على الحقِّ والتَّأليفِ بين قلوبِهم، وهي نِعْمةٌ عظيمةٌ امتَنَّ اللَّه بها على عبادِه؛ قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر ذي الحِجة، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والمُجتمِعُون على كلمةِ الإسلام، المُتَّبِعون للكتابِ والسُّنَّةِ؛ هم المُؤمنون حقّاً، وإنْ كَثُر أو قوِيَ مُخالِفُهم، وقد اتَّفقَ الرُّسلُ على جَمْعِ أُمَمِهِم على الحقِّ؛ فأَمَرُوا بإقامةِ الإسلامِ والاستقامةِ عليه - عِلْماً وعَمَلاً، عقيدةً وسُلوكاً -، والاجتماع على ذلك؛ قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾، وكلُّهم دعا قومَه للاجتماعِ على عبادةِ اللَّه؛ فكلُّ نبيٍّ قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وبُعِثَ النَّبيُّ ﷺ في قوم مُتفرِّقين، مُتنازِعين في شأنِ دينِهم ودُنياهم: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، فنهَى النَّبيُّ ﷺ عن مُشابَهتِهم وأَمرَ بالاجتماع؛ فاستقامَ أمرُ المِلَّة، وذهبَتِ الجاهليَّةُ، وصلَحَ أمرُ النَّاس باجتماعهم على الدِّين.

ولا تَتِمُّ مصلحةُ العبادِ في الدُّنيا والآخرة إلَّا بالاجتماعِ على الإسلام الخالصِ والتَّعاونِ والتَّناصر، ولكونِ ذلك ضرورةً من ضرورات الدِّين؛ كان أصلاً مُتَّفَقاً عليه بين جَمِيعِ الرِّسالات، ومقصِداً كبيراً في جميع التَّشريعات، وهو أيضاً ضرورةٌ دنيويَّةٌ لا صلاحَ للحياة إلَّا به، ولا استقرارَ دونَه، ولا يتمُّ أمرُ العباد فيما بينهم، ولا تَنتظِمُ مصالحُهم إلَّا بذلك.

وهو سبيلُ استعادةِ الأُمَّةِ مَجْدَهَا، ولَمِّ الشَّمْل، وعِزَّةِ الجَنَابِ، وتَحْصِينِ المُجْتَمَعات، وهو السَّبيلُ الأَمْثلُ لِتَحْقِيقِ آمَالِ المُسْلِمِين ودفع آلَامِهِم، وهو الرَّابطةُ الحَقُّ بين المُسْلِمِين، وبه حِفظُ بَيْضَةِ الإسلام.

وهو وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ على الأُمَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، قال ابن جريرٍ الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ؛ مِنَ الأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةِ الحَقِّ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ».

واهْتمَّ النَّبيُّ ﷺ لذلك الأمرِ أشدَّ اهتمامٍ، فبيَّنَه لأصحابِه بالقولِ، وقرَّبَه لأذهانهم بالخَطِّ في الأرض؛ لِيَرْسَخَ هذا الأمرُ المُهمُّ في أذهانهم؛ قال ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: **هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾» (رواه أحمد)، وذكَّر اللَّهُ هذه الأمَّةَ بهذا الأصلِ العظيم؛ فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

في الاجتماع على الهُدى حُلولُ الرَّحمة، ولذا من صفاتِ المُؤمنين أنَّهم رُحماءُ بينهم، وهو نعمةٌ امتنَّ اللَّه بها على عبادِه، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾.

وكما أمَرَ اللَّهُ المُؤمنين بالاجتماع، نهاهُم عن الاختلافِ والفُرْقة: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾، وأخبرَهم أنَّهم إنَّما هَلَكَ مَنْ كان قبلَهم بالمِراءِ والخُصُومات في دين اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾.

والاستقامةُ على الدِّينِ، والأُلْفَةُ عليه هو طريقُ المُرْسَلِين، مَنْ سَلَكَه نَجا، ومَنْ حَادَ عنه كان من الهالِكين؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

في لُزُومِ جَماعةِ المُسلمين العِصمةُ والنَّجاةُ من الفِتَن، وبها أَوْصَى النَّبيُّ ﷺ أمَّتَه إذا حلَّتِ الفِتَنُ؛ قال حُذيفةُ رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: «هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **نَعَمْ؛ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنا، قَالَ: **نَعَمْ؛ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» (متفق عليه).

ومن النَّصيحةِ للمُسْلِمِين: لُزومُ جَمَاعَتِهم بمُوافَقَتِهم في الاعتقادِ الصَّحيحِ والعملِ الصَّالح، والسَّعيُ في تأليفِ قلوبهم.

وأَطْهَرُ النَّاسِ قَلْباً: ألزَمُهُم للحقِّ مع جَمَاعةِ المُسلمين؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ** - أَيْ: مِنْ أَسْبَابِ طَهَارَةِ قَلْبِ المُؤْمِنِ مِنَ الحِقْدِ وَالخِيَانَةِ -: **إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، مُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ** - أَيْ: أَنَّ دَعْوَةَ المُسْلِمِينَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِمْ، فَتَحْرُسُهُمْ عَنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَعَنِ الضَّلَالَةِ -» (رواه الترمذي).

وهي ممَّا رضِيَه اللَّهُ لعبادِه، والعبدُ يرضَى لنفسِه ما رضِيَه اللَّه له؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً؛ فَيَرْضَى**

لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ...» (رواه مسلم)، قال الشَّيخُ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّاب ﷺ: «وَلَمْ يَقَعْ خَلَلٌ فِي دِينِ النَّاسِ وَلَا دُنْيَاهُمْ، إِلَّا بِسَبَبِ الإِخْلَالِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ، أَوْ بَعْضِهَا».

المُتمسِّكونَ بالإسلام مِن مَعِينِه الصَّافِي - الكتابِ والسُّنَّةِ - بَاقُون ومَنصُورُون؛ قال الرَّسولُ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» (متفق عليه)، وهم أسعَدُ النَّاسِ بائتلافِ قلوبِهم، والتَّراحُمِ والأُلفةِ فيما بينهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

والوَسطيَّةُ منهجُهم؛ فلا إفراطَ ولا تفريطَ، ولا غلُوَّ ولا جفاء، وهم النَّاجُون من البِدَعِ والضَّلالِ والفُرْقَةِ في الدُّنيا، ومن الهلاكِ والعذابِ في الآخرة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ؛ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ» (رواه أبو داود)، وعند الحاكم: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا الوَاحِدَةُ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي».

وبِتَثبيتِ اللَّهِ لهم هم ثابِتُون على الحقِّ، فلا اختلافَ في منهجهم وإن تطاوَلَت بهم السِّنُون، ومن طالَعَ كُتبَهم وأقوالَهم، وعرفَ سِيرَهم مِنْ سابِقِيهم ولاحِقِيهم؛ وجَدَهم على صِراطٍ واحدٍ، كأنَّما خرجَت أقوالُهم

من قلبٍ واحدٍ، وكأنَّ أفعالَهم صدرَتْ مِنْ جَسدٍ واحدٍ خلافاً لِمَا عليه غيرُهم؛ فطرائِقُهم بعيدةٌ عن العِلمِ والبُرهان، وحُجَجُهم ضعيفةٌ واهِيةٌ، وأقوالُهم مُتناقِضةٌ مُتضارِبةٌ، ومَن تركَ الحقَّ؛ اضطربَ أمرُه، والتبسَ عليه دينُه؛ قال سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

ويومَ القيامة يَفوزُ المُتَّبِعونَ للكِتابِ والسُّنَّة؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَماعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الفُرْقَةِ وَالخِلَافِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فكفَى بالجَماعةِ شَرفاً أنَّ يدَ اللَّهِ على الجَماعة، وأنَّ اللَّهَ يَرْضَاهَا، وفيها الصَّلاحُ والخير، وفي الفُرْقَةِ الفسادُ والشَّتَاتُ والهَلاك، والعاقلُ لا يُفرِّطُ في الجماعةِ المُتَّبِعةِ للكِتابِ والسُّنَّة وما عليه سَلَفُ الأُمَّة، وإنْ تَراءَتْ له في تَرْكِهَا مصالح؛ فهي ليست سوى مصالحَ مرجُوحةٍ أو مُتوهَّمة؛ بل يَفرَحُ بهدايةِ اللَّه له لهذا الدِّين القَوِيم، ويلزَمُ جماعةَ المسلمين، ويدعو غيرَه إلى ذلك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

السُّنَّةُ مقرونةٌ بالاجتماع، والمُتمسِّكون بها هم أهلُ الجماعة، ونَهجُهم واحدٌ وهو: إفرادُ اللَّه بالعبادةِ، وإخلاصُ الدِّينِ له، وإثباتُ أسمائِه وصفاتِه كما وَصفَ اللَّه به نفْسَه في كِتابِه، ووصَفَه به رسولُه ﷺ - من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ -، وتحقيقُ ركنِ الإيمانِ بالقَضاء والقَدَرِ - مِنَ الإيمانِ بسَابقِ علمِ اللَّهِ لِمَا هو كائِنٌ، وكتابةِ ذلك في اللَّوْحِ المَحْفُوظ، وخَلْقِه له، ولا يكونُ شيءٌ في الكَون إلَّا بمشيئتِه -.

ومِنْ نَهجِهم: تحقيقُ المُتابَعَةِ للنَّبيِّ ﷺ، واتِّباعُ هَدْيِ أصحابِه ﵃، واقتفاءُ آثارِ سلفِ هذه الأُمَّة، معَ صِدْقِ الاعتصام بالكِتابِ والسُّنَّة، والإقبالِ على العِلم بهما، والعملِ بما فيهما.

والاجتماعُ على الأخذِ بالكِتابِ والسُّنَّة أَصْلٌ من أُصولِ أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فيتَّبِعون الكِتابَ والسُّنَّةَ، ويجتنبون الشُّذوذَ والخلافَ

والفُرقةَ، ويحرِصُونَ على اجتماعِ كلمةِ المسلِمين دون تَضْيِيعٍ للحقِّ بكتمانٍ أو لَبْسٍ بِبَاطلٍ، ويُعامِلون مخالفيهم بالعدلِ والرَّحْمَةِ دون بَغْيٍ أو جَوْرٍ.

ومَنْ رُزِقَ العلمَ النَّافعَ، والعملَ الصَّالحَ، وابْتَعَدَ عن الشُّبُهات والشَّهَوات؛ كان من عِبَادِ اللَّهِ الفائِزين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

ضَرَرُ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

خلقَ اللَّهُ آدمَ واستخلَفَهُ في الأرض لعبادته، فاجتمَعَتْ ذرِّيَّتُه مِن بعده عشرةَ قرونٍ على توحيدِ اللَّه ومحبَّتِه، ثم استزلَّهم الشيطانُ فحرَفَهم عن دين اللَّه وطاعتِه، وتفرَّقُوا بعد أن كانوا أمَّةً واحدةً؛ قال تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» (رواه مسلم)، فذَمَّهُم اللَّهُ على اختلافِهِم، وبَعَثَ فيهم رُسُلاً لجمْع كلمتِهم، والتَّأليفِ بين قلوبِهم على الحقِّ؛ قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: بعد أن تفرَّقوا.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي عشر من شهر صَفَر، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واصطفى اللَّهُ بني إسرائيل، وجَعلَ فيهم أنبياءَ ورسُلاً، فخالفوهم ونبَذُوا الكتابَ وراءَ ظُهُورِهِم، وتَفرَّقوا شِيَعاً وأَحْزَاباً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» (رواه ابن حِبَّان)، وأَخبرَ النَّبيُّ ﷺ بوقوعِ الفُرقةِ في هذه الأُمَّة، وكلَّما تأخَّرَ العصرُ عن النُّبُوَّة كَثُرَ التَّفرُّقُ والاختلاف؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً» (رواه أحمد)، وحذَّر النَّبيُّ ﷺ من الفُرْقَة؛ لِينجُوَ منها من شاءَ اللَّهُ له السَّلامة؛ فقال: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ!» (رواه الترمذي).

واللَّهُ نهَى عبادَه عن التَّفرُّق فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، وأَخبرَ سبحانه أنَّ سبيلَه واحدٌ، وأنَّ كلَّ ما خالفَ الكِتابَ والسُّنَّةَ فهي سبُلُ الشَّيطان - تُفرِّقُ الخلْقَ وتُبعِدُهم عن الرَّحمن -.

وأوصى اللَّهُ الأُممَ بما أَوْصى به الأنبياءَ مِنْ إقامةِ الدِّينِ والبُعدِ عن الافْتِراق؛ فقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾، وذَمَّ سبحانه الفُرْقةَ وعابَ أهلَها؛ فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾، ووصفَ حالَهم بقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

والسَّعيُ فيها من خِصالِ المُنافقين؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وعليها طُبِعُوا: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، وهي من أَخصِّ سُننِ الجاهِلين؛ قال

النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (رواه مسلم).

ونَهى سبحانه عن مُشَابَهَةِ أهلِ الاختلافِ وسُلوكِ طريقِهم؛ فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، وبرَّأ اللَّه رَسُولَه من أهلِ الفُرْقَة؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وأهلُها مُشاقُّون للرَّسولِ ﷺ، مُخالِفون للمُؤمنين؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

وأعظمُ الفُرْقَةِ: الانحرافُ عن توحيدِ ربِّ العالمين؛ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾، والإحداثُ في الدِّينِ مُفارَقةٌ لاتِّباع خيرِ المُرسَلين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم).

والخروجُ على الأئمَّةِ ووُلاةِ الأمر، ومُنازَعةُ الأمرِ أهلَه فسادٌ عظيمٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَزَعَ يداً مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (رواه أحمد).

وأهلُ العلمِ قُدوةٌ في المُجْتَمَعات، وهم أَوْلَى النَّاسِ بائتِلَافِ قلوبِهم، واجتماعِ كلمتِهم، والخلافُ بينهم داعٍ لِعَدَمِ القَبُولِ منهم؛ لذا أَوْصَى النَّبيُّ ﷺ مُعاذاً وأبا مُوسى رضي الله عنهما لَمَّا بعثَهُمَا إلى اليمن بقوله: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» (متفق عليه)،

ونهَى عن الاختلاف في الحقِّ؛ فقال: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ؛ فَقُومُوا**» (متفق عليه).

والتَّفرُّقُ في إقامة الصَّلاة، وعدمُ الاجتماعِ عليها؛ مِنِ اسْتِحْوَاذِ الشَّيطان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فَعَلَيْكَ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ القَاصِيَةَ**» (رواه أبو داود)، وأنكرَ الرَّسولُ ﷺ التَّفرُّقَ عند انتظارِ الصَّلاةِ؛ قال جابرُ بنُ سَمُرة رضي الله عنه: «خرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فرَآنَا حِلَقاً، فَقَالَ: **مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ** - أَيْ: مُتَفرِّقِينَ -» (رواه مسلم)، ونهَى عن اختلافِ المُصلِّين في صفُوفِهم، وتوعَّدَ أهلَه باختلاف وجوهِهم، وأخبرَ أنَّ مآلَه اختلافُ القلوب، فاختلافُ الظَّاهرِ سببٌ لاختلاف الباطِن؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**» (متفق عليه)، ومُخالفةُ الإمام في الصَّلاةِ من مظاهرِ الاختلافِ والفُرقةِ الَّتي نَهَى الإسلامُ عنها؛ قال الرَّسول ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ**» (متفق عليه).

وكما نهَى الإسلامُ عن التَّفرُّقِ في أُمورِ الدِّين؛ نَهَى أيضاً عن الفُرقةِ في أمور الدُّنيا، فالاجتماعُ على الطَّعام يُورِثُ البَرَكَة، والتَّفرُّقُ فيه يُذهِبُها؛ شكَا أُنَاسٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: «إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: **فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**» (رواه أبو داود).

وتفرُّقُ الرُّفقةِ في السَّفَر مِنْ سَبيلِ الشَّيطان؛ قال الرَّسُول ﷺ: «**إِنَّ**

تَفرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ» (رواه أبو داود).

وفي علاقةِ أفرادِ المُجتمع ببعضِهم؛ نَهَى عن التَّهَاجُرِ والقَطِيعَةِ بين المُسْلِمِين، وأَخبَرَ أنَّ أبوابَ الجنَّةِ تُفْتَحُ «يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ؛ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» (رواه مسلم).

ونَهَى عن العَصَبِيَّة ودعاوَى الجاهليَّة؛ قال رجلٌ من الأنصار: «يَا لَلْأَنْصَارِ! وَقَالَ آخَرُ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟! دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» (متفق عليه).

واللَّهُ لا يُحِبُّ اختلافَ عبادِه ولا يرضاه، ولا تكونُ الفُرْقَةُ بينهم إلَّا من عندِ غيرِ اللَّه، وقد دلَّت أُصولُ الشَّريعةِ على تحريمِ كلِّ ما يُوجِبُ الفُرْقَةَ واختلافَ الكلمة، وذلك من مقاصدِ النَّهْيِ في دينِ المُرْسَلِين، فجاء النَّهيُ عن كلِّ سبيلٍ قد يُؤَدِّي إلى الفُرقةِ بينَ المسلمين؛ من سُوءِ الظَّنِّ، والحَسدِ، والتَّجسُّسِ، والنَّمِيمَةِ، والرِّبا، وبَيعِ المُسْلِم على بَيْعِ أَخِيه، وخِطْبتِه على خِطْبَتِه، وتَتبُّعِ عَوْرَتِه، والغِشِّ.

وأَمَرَ اللَّهُ بأَطْيَبِ الكَلَامِ ونَهَى عن سَيِّئِه؛ جَمْعاً للكلمة ودَفْعاً لضِدِّه؛ فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾.

وأعظمُ مُوجباتِ الفُرْقَة: الشِّركُ باللَّه؛ فهو دَاعٍ للاختلاف، وتَعدُّدِ المَعْبُوداتِ مِنْ دونِ اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾.

والإِعْرَاضُ عن الكِتَابِ والسُّنَّة، أو أَخْذُ شيءٍ مِنْهُمَا وتَرْكُ بعضِه؛ سبيلُ النِّزاعِ والشِّقَاق، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، واتِّباعُ المُتشابِه من النُّصوص زيغٌ لأصحابِه وفتنةٌ للخلْق: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

ووُلُوجُ بابِ الشُّبُهاتِ والسَّيْرُ وَرَاءَ الشَّهَوات دَاءٌ أَفْسَدَ الأُمَم وفرَّقَ أجيالَها، وسبيلُ كلِّ شيطانٍ مآلُه الفُرقة؛ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وما بغى قومٌ إلَّا افترقوا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

وإذا نشأَ الخلافُ عن هوًى وتعصُّبٍ، أو بغْيٍ وتَقْلِيدٍ، أو حَمِيَّةٍ وتَحزُّبٍ؛ فهو سبيلٌ للفُرقة، ويجبُ البُعد عنه، قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَوَاضِعُ التَّفرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ عَامَّتُهَا تَصْدُرُ عَنِ اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ»، والتَّنافسُ على الدُّنيا سببُ العداوةِ والبغضاء؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «فَوَاللَّهِ! مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» (متفق عليه).

وإذا تفرَّق النَّاسُ شِيَعاً وأَحْزَاباً تَمكَّنَ الشَّيطانُ منهم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ» (رواه الترمذي)، وَأَقربُ جُنُودِ إِبْليسَ منه مَنْزِلةً أَشَدُّهم في الأُمَّة فُرْقَةً؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً؛ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» (رواه مسلم).

والاختلافُ في الدِّين، واتِّباعُ الأهواءِ والآراءِ المُضِلَّةِ، يصُدُّ عن صراطِ اللَّه ودينِه، وبه وقع الانحرافُ عن طريقِ الأنبياءِ ومنهجِهم، فكلُّهم أَمَرُوا بإقامةِ الدِّينِ للَّه، والاجتماع على الحقِّ وعدمِ التَّفرُّق فيه، وإذا وَقع الاختلافُ فسَدَ دينُ أهلِه وحُرِمُوا بركةَ الأَخْذِ من الكِتاب والسُّنَّة، وغلبَتِ الأهواء، وذَهَبَ سُلطانُ العِلْمِ والهُدَى.

وبالفُرْقَةِ اختلافُ القلوب، وانقطاعُ أَوَاصِرِ الأُخوَّة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «لَا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» (رواه مسلم)، وهي سببُ العداوة والبَغْضاء؛ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذۡكُرُوا۟ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾، ومَا تَفرَّق قومٌ إلَّا هانُوا وضَعُفُوا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفۡشَلُوا۟ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾، وإذا وقعَت في أُمَّةٍ كانت أمارةَ سخَطِ اللَّهِ عليهم؛ قال سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ

عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَيْ: يُذِيقُكُمُ الأَهْوَاءَ وَالِاخْتِلَافَ».

وعَاجِلُ عُقُوبةِ الفُرْقَةِ تَسَلُّطُ الأعداء، واللَّهُ وعَدَ نبيَّه: «أَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً» (رواه مسلم).

وبالنِّزاعِ والاختلافِ والفُرقةِ: ضَياعُ الحقِّ، وهدمُ أُصولِ الدِّين، ومُشابهةُ المشركين، وفشُوُّ الضَّلالِ والكلامِ بلا عِلْمٍ، والانشغالِ به عن العَمَلِ بالدِّين وتَعْلِيمِه والدَّعوةِ إليه، مع تعطيلِ شَعَائِرِ الدِّينِ الظَّاهرة - من الأمرِ بالمعروف، والنَّهيِ عن المنكر، وغيرِه -، وبها تُرْفَعُ النِّعَم؛ أُرِيَ النَّبيُّ ﷺ ليلةَ القدر، فخرجَ ليُخبرَ بليلةِ القدر، فتَلَاحَى رجُلان من المسلمين، فقال: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَرُفِعَتْ» (رواه البخاري).

والفُرْقَةُ قد تُؤْذِنُ بذنوبٍ عِظام، وتُفضِي إلى الاقْتِتَالِ وسَفْكِ الدِّماء؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾.

ووبالُ الاختلافِ الهلاكُ؛ قال الرَّسول ﷺ: «لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا؛ فَهَلَكُوا» (رواه البخاري)، وفي الآخرَةِ تَسْوَدُّ وُجوهُ أهلِه؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ

وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَماعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَةِ وَالفُرْقَةِ»، و«يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، فَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ» (رواه الحاكم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالفُرقةُ ذُلٌّ وهوانٌ، والنِّزاعُ شرٌّ وبلاءٌ، والاختلافُ ضَعفٌ وحَيرةٌ، والشَّتاتُ فسادٌ للدُّنيا والدِّين، وكلُّها تُفرِحُ العدوَّ، وتُوهِنُ مِنْ قوَّةِ الأُمَّة، وتُؤخِّرُ سَيْرَ الدَّعوةِ إلى اللَّه، وتَصُدُّ عن نشرِ العِلم، وتُوغِرُ الصُّدُور، وتُظلِمُ القُلُوبَ، وتُكدِّرُ المعيشَةَ، وتَسلُبُ الأوقات، وتَشغلُ العبدَ عن عملِ الصَّالحات، والعاقلُ مَنْ أعرضَ عن النِّزاع، واعتَصمَ بالكِتاب والسُّنَّة، وأصلحَ نفسَه وغيرَه، وتلك وصيَّةُ النَّبيِّ ﷺ للأمَّة للنَّجاةِ من الفُرقة والاختلاف.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

كلُّ مَنْ كان للكتابِ والسُّنَّةِ وآثارِ الصَّحابةِ أَتْبَع؛ كان أكملَ، وأَوْلَى بالاجتماعِ والهُدَى والاعتصامِ بِحَبْلِ اللَّه، وأَبْعَدَ عن التَّفرُّقِ والاختلافِ والفِتْنَة.

ومِن أَعْظمِ مَقَاصِدِ الإسلام: جَمْعُ كلمةِ أهلِه، والتَّأليفُ بين قُلُوبِهِم، وإصلاحُ ذاتِ بيْنهم، ولا صَلَاحَ للخلقِ إلَّا باجتماعهم على الحقِّ والدِّين، واللَّهُ حَكَم بأُخُوَّة المُؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وشبَّه النَّبيُّ ﷺ حالَ المُؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهِم وتعاطُفِهِم بالجسد؛ «**مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**» (متفق عليه)، و«**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**» (متفق عليه).

وتلك نعمةٌ مَنَحَهَا اللَّهُ لعبادِه فضلاً منه وكرَماً؛ قال سبحانه:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾، ويجبُ على المُسْلِم أنْ يُحافِظَ على هذه النِّعمةِ بِسَلامةِ الصَّدر، والنُّصحِ للنَّاسِ، وحُبِّ الخيرِ لهم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

حُكْمُ المُظَاهَرَات (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

لقد منَّ اللَّه على عباده بدينٍ متينٍ خاطبَ العقلَ والقلبَ، وأَصَّل القواعدَ والأحكام، وقرَّر أُصولَ التَّعامُلِ مع البُسَطاءِ والعُظَمَاء، وأهلِ البَطَالَة والأَثْرِياء، والفُقَرَاءِ والأَغْنِيَاء، شاملٌ للكلِّيَّاتِ والجُزئيَّات، والاعتقاداتِ والعبادات، والسُّلوكِ والآداب، قال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾.

ولكمالِه حَسَدَ الأعداءُ أهلَ الإسلام تمسُّكَهُم به، قال سبحانه:

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العشرين من شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾، فيسْعَوْنَ إلى إقْصاءِ أهلِه عنه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ومِنْ أعظمِ مداخلِ أهلِ الباطلِ على المُسْلِمين: زَعْزَعَةُ الأمنِ في بلدانهم؛ فإذا فَقَدُوه انقطعَتِ السُّبُل، وتفرَّقَتِ الكلمةُ وحلَّ الفَقْرُ وانتَشَرَتِ الأَسْقَام، وسُلِبَتِ الأموالُ والمُمْتَلَكات، وهُتِكَتِ الأعراضُ وسُفِكَتِ الدِّماء، فيَعُمُّ الجهلُ والخوفُ ويَنْشَغِلُ النَّاسُ عن دينهم، ويَظْهَرُ أهلُ الرَّيبِ والشَّكِّ وأربابُ البَغْيِ والإفساد.

وكلَّما ابتَعد النَّاسُ عن زمنِ النُّبوَّة ظَهرتِ الفِتَنُ والمِحَن؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً**» (رواه أحمد).

والثَّباتُ في مُدْلَهِمَّاتِ الحوادثِ والأزمانِ عَزيزٌ، ولا تَظهرُ فتنةٌ إلَّا ويَسْقُطُ فيها رجالٌ؛ قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾، وقد أَمرَ النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بالتَّعوُّذِ من الفِتنِ قبلَ ظهورِها وعند نزولِها؛ فقال: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» (رواه مسلم).

ومِنْ دوائِها: عدمُ الخوضِ فيها وتَرْكُ الأمرِ لأهلِه من الوُلَاة والعلماء؛ لِعَرْضِهَا على الكِتاب والسُّنَّة؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ

أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾.

والفِتْنَةُ إذا أَقْبلَتْ عرَفَها العلماءُ، فإذا أَدْبَرَتْ عَرَفَها العَامَّةُ ولكن بعد الفوات، والعلماءُ ورثةُ الأنبياء، ولا غِنَى للحَاكِم والمَحْكُوم عنهم في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والشِّدَّة والرَّخاء، فاللَّهُ أمَر بسؤالهم في جميع الأحوال؛ قال سبحانه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وهُمْ بأمرِ اللَّه أمانٌ للمجتمع من الفَوْضَى والتَّطاوُلِ على الحَاكِم، وهم النَّاصِحونَ لوليِّ الأمر المُذكِّرون له بما يُرضِي اللَّه؛ قال سهلُ بن عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالعُلَمَاءَ، فَإِنْ عَظَّمُوا هَذَيْنِ أَصْلَحَ اللَّهُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ».

ومِنْ أُسُسِ هذا الدِّين: النَّصيحةُ لكلِّ فردٍ فيه وإن علا؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم).

وقد سَلك السَّلفُ السَّبيلَ الأَقْوَمَ في النُّصح للحاكم على ما جاء به الكِتابُ والسُّنَّة من غير تشهيرٍ ولا تنقُّصٍ؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُخَاطَبَةُ الرُّؤَسَاءِ بِالقَوْلِ اللَّيِّنِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ شَرْعاً وَعَقْلاً وَعُرْفاً، وَلِذَلِكَ تَجِدُ النَّاسَ كَالمَفْطُورِينَ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخَاطِبُ رُؤَسَاءَ العَشَائِرِ وَالقَبَائِلِ».

وإذا اجتَمعتِ القلوبُ على الحقِّ والنُّصح؛ قوِيَتْ في العبادة، وحسُنَتْ بينهمُ المُعامَلَة، وحَفِظَ اللَّه المُجتمعَ من الشُّرور، وكانتْ يدُ اللَّه معهم؛ قال ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ**» (رواه الترمذي).

ومن أوائلِ أعمالِ النَّبيِّ ﷺ حين قدِمَ المدينة: مُؤَاخَاتُه بين المهاجرين والأنصار، وتوحيدُ صَفِّهم؛ لِتَقْوَى شوكةُ المُسلِمين ويَعيشَ الجميعُ في أمنٍ واستقرارٍ.

ومن تعظيمِ الإسلامِ للجماعة: أنَّه أَمَرَ بقَتْلِ مَنْ أراد تَفْرِيقَها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ** - أَيْ: فِتَنٌ ومِحَنٌ -، **فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ؛ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِناً مَنْ كَانَ**» (رواه مسلم).

ولا دينَ إلَّا بجماعةٍ، ولا جماعةَ إلَّا بإمامةٍ، ولا إمامةَ إلَّا بسمعٍ وطاعةٍ؛ قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا لَمْ يَكُنْ إِمَامٌ يَقُومُ بِأَمْرِ النَّاسِ فَهِيَ الفِتْنَةُ».

وقد أَدرك الصَّحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ذلك؛ فلَمَّا تُوفِّي النَّبيُّ ﷺ سَجَّاه الصَّحابة - أي: غَطَّوه -، ثمَّ ذَهبوا إلى سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدة؛ لاختيار خليفةٍ له، ولَمَّا بايَعُوا أبا بكرٍ عادُوا إلى تَجهيزِ النَّبيِّ ﷺ - مِنْ غَسْلِه وتَكفينِه ودَفْنِه -، فقدَّموا اختيارَ الخليفةِ على دفنه ﷺ؛ لِعِلمِهم أنَّ المجتمعَ لا يَصلُحُ ولو ساعةً بلا والٍ، قال عَلِيُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَارَةٍ، بَرَّةً كَانَتْ أَوْ فَاجِرَةً، قِيلَ لَهُ: هَذِهِ البَرَّةُ قَدْ

عَرَفْنَاهَا، فَمَا بَالُ الفَاجِرَةِ؟ قَالَ: يُؤَمَّنُ بِهَا السَّبِيلُ، وَيُقَامُ بِهَا الحُدُودُ، وَيُجَاهَدُ بِهَا العَدُوُّ، وَيُقْسَمُ بِهَا الفَيْءُ».

ومن مُعتقَد أهلِ السُّنَّة والجماعة: طاعةُ وليِّ الأمر بالمعروف وإنْ كان ظالماً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ؛ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**» (رواه مسلم)، قال الإمام الطَّحاويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاةِ».

ومَنْ رأى مِنْ وَالِيهِ تَقْصِيراً أو ظُلْماً فهو مأمورٌ بالصَّبر على بَغْيِهِ، مَنْهِيٌّ عن معصيتِهِ والخروجِ عليه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً؛ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً فَمَاتَ عَلَيْهِ؛ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** - أَيْ: كَأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الإِسْلَامَ -» (متفق عليه).

وعلى هذا النَّهجِ العظيمِ سار سلفُ هذه الأُمَّة؛ فكان الصَّحابةُ وكِبارُ التَّابعين - كابنِ عمرَ، وابنِ سيرينَ، وابنِ المُسيَّبِ - يُصلُّون خلفَ الحَجَّاجِ مع عظيمِ ظلْمِه، وكثرةِ قتْلِه وبطْشِه، ويدعون له، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الحَجَّاجَ عَذَابُ اللَّهِ، فَلَا تَدْفَعُوا عَذَابَ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّضَرُّعِ».

والإسلامُ جاء بدرءِ كلِّ مفسدةٍ عن الأفرادِ والشُّعوبِ؛ لِيَبْقَى الجميعُ يداً واحدةً مُتلاحِمةً مُطمئنةً، نابذين كلَّ فُرقةٍ واختلافٍ، قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَا تَكْرَهُونَ فِي الجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الفُرْقَةِ».

وأَخَذَ بهذه القاعدةِ علماءُ السُّنَّةِ والجماعة؛ فاجتنَبوا الشُّذُوذَ والخلافَ والفُرقة، ونهوا عن كلِّ وسيلةٍ تدعو إلى مُنابَذَةِ السُّلطانِ أو الخروج عليه.

والصَّحابةُ رضي الله عنهم أَجمعوا على تحريم هذا، وذلك حين حُدوثِ أوَّلِ خروجٍ على الإمام في الإسلام؛ لمَّا قدِمَ نفرٌ مِن أهلِ مصرَ والبصرةِ والكوفةِ ونَزلوا على مشارِفِ المدينةِ لحِصارِ عُثْمانَ بنِ عَفَّان رضي الله عنه في داره، طالبين عزلَ نفْسِه من الخلافةِ أو قتْلِه، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «فَكُلُّ النَّاسِ أَبَى دُخُولَهُمْ - أَيْ: إِلَى المَدِينَةِ - وَنَهَى عَنْهُ».

فكلُّ تظاهُرٍ سواءٌ كان بسلاحٍ أو خلا من سلاحٍ فهو محرمٌ في ديننا؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أَهْلُ العِلْمِ وَالدِّينِ وَالفَضْلِ لَا يُرَخِّصُونَ لِأَحَدٍ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ مَعْصِيَةِ وُلَاةِ الأُمُورِ وَغَشِّهِمْ وَالخُرُوجِ عَلَيْهِمْ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ -، كَمَا قَدْ عُرِفَ مِنْ عَادَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالدِّينِ قَدِيماً وَحَدِيثاً».

وأَجْمَعَ العلماءُ على تحريمِ الخروجِ عليهم وإِنْ بدَرَ منهم ظلمٌ أو قُصورٌ، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «الخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَقِتَالُهُمْ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ».

ولم يَخرُجْ أحدٌ على إمامِه إلَّا نَدِمَ، وكانت مفسدةُ خروجِه أعظمَ من الصَّبر عليه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أَهْلُ السُّنَّةِ يَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الأَئِمَّةِ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ ...؛ لِأَنَّ الفَسَادَ النَّاشِئَ مِنَ القِتَالِ فِي

الفِتْنَةِ أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ ظُلْمِ وُلَاةِ الأَمْرِ ...، وَقَلَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ ذِي سُلْطَانٍ إِلَّا كَانَ مَا تَوَلَّدَ عَلَى فِعْلِهِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمَ مِمَّا تَوَلَّدَ مِنَ الخَيْرِ».

وحَدَثَ من الخليفة المأمون أمورٌ في الدِّين جِسامٌ - كنَفْيِ صفات اللَّه، والقولِ بخلْقِ القرآن -، وعذَّب مَنْ أنكرَ ما دعا إليه؛ فسجَنَ وجلَدَ إمامَ أهلِ السُّنَّةِ أحمدَ بنَ حنبلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، ولَمْ يَأْمُرْ أحمدُ بنُ حنبلٍ ولا كِبارُ أهلِ العِلمِ في عصرِه - كإسحاقَ بنِ راهويه، ومحمدِ بنِ نوحٍ، ولا غيرُهم - بالخروجِ عليه.

وفي حَشْدِ النَّاسِ والتَّنادي بِجمعِهم والتَّكالُب ضدَّ إمامِهم: شتاتٌ لشَمْلِ الأُمَّة، وتفريقٌ لكلمتها، وإثارةٌ للفِتَنِ والفساد، ويُوقِعُها في خُنوعٍ وكروبٍ، وجوعٍ وحروبٍ، ونهبٍ وسفك دماءٍ، وتحقيقٍ لمآربِ الأعداء، ومَنْ يَتحمَّلُ إِثْمَ سَفْكِ الدِّماء، وقَتْلِ الذَّراري، وتَرمُّلِ النِّساء، وهتكِ الأعراض، وسَلْبِ الأموال، ونَهْبِ الخيرات؟! قال الشَّيخ مُحمَّدُ بنُ إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالاِجْتِمَاعُ الَّذِي فِيهِ نَقْصٌ كَبِيرٌ، خَيْرٌ مِنَ الاِفْتِرَاقِ الَّذِي يُظَنُّ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ».

والقتالُ وسفكُ الدِّماءِ بين الأُمَّة هو ما خشِيَه النَّبيُّ ﷺ عليها، فقال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (متفق عليه)، فكلُّ تظاهرٍ على الحاكم فهو مُحرَّمٌ وإنْ أَذِنَتْ به أَنْظِمةٌ وضعيةٌ؛ لمُخالفتِها لدينِنا، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ قِتَالِهِمْ وَالخُرُوجِ عَلَيْهِمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ».

ولَمَّا كانتْ هذه البلادُ - بِحمدِ اللَّه - مُحكِّمةً لشرعِ اللَّه، مُستنيرةً بآراءِ العلماء؛ عمَّ في أرجائِها - بِفضلِ اللَّه - الأمنُ والرَّخاء، وخابَت فيها ظنونُ الأعداء، وتلاحَمَت فيها يدُ المحكومِ مع الحاكم.

أيُّها المسلمون:

دينُ الإسلام دينُ اعتدالٍ وأمانٍ، مُوافقٌ للفِطَر والعقول؛ قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

ولا يَنفعُ للشُّعوبِ سوى الإسلام؛ فَبِهِ الأمانُ والسَّكينة، وهو وِقايةٌ من الفُرْقَة والاختلاف، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وإذا سلَكَتِ الشُّعوبُ منهجَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في مُعتقداتِها معَ خالقِها، ومعاملاتِها مع الخلْق؛ اطمأنَّ الرَّاعي والرَّعيَّة - فلا خروجَ، ولا فَوْضَى، ولا اضطراب -، وإذا ابتعدَ النَّاسُ عن الدِّين دَخلتِ الأهواءُ في النُّفوس، واختلفَتِ الآراء؛ فتفرَّقتِ الكلمةُ وعمَّ البلاء.

وفي زمنِ الفتنِ يتأكَّدُ العِلمُ الشَّرعيُّ وغرْسُ العقيدةِ الصَّحيحةِ في نفوسِ النَّاشئةِ والشَّبابِ والكهول؛ لِتكونَ دِرعاً حَصيناً في وجْهِ شُبَهِ أهلِ الباطلِ وشهواتِ الأعداء.

وممَّا يُديمُ نِعمةَ الأمنِ والرَّخاء: الإكثارُ من أنواع الطَّاعات، وأحبُّ عبادةٍ إلى اللَّه: إفرادُه بالعبادة، ونبذُ الإشراك به - من الاستغاثةِ بالأمواتِ ودعائِهم، والطَّوافِ على الأضرحة والقبور -، ومُجانبةُ أنواع

المعاصي؛ قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾.

والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ مِنْ أُسسِ إصلاحِ المجتمع، وترسيخِ هَيْبَةِ السُّلطانِ في رعيَّته.

وممَّا يُنزِلُ السَّكينةَ على الشُّعوبِ، ويَجعلُها تَنبذُ الفوضى والاضطراب: إكثارُ الجميع من تلاوةِ كتابِ اللَّه العظيم، ونشرُ ذلك في المساجدِ ودُورِ العِلمِ في المُدنِ والقرى للصِّغار والكِبار؛ فهو كتابٌ مُبارَكٌ يَنشرُ الخيرَ ويَمنعُ الشَّرّ، ويُطَمْئِنُ النُّفوس؛ قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

وسعادةُ الجميعِ في التَّمسُّكِ بالدِّين وتحكيمِ الشَّرع.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الكلمةُ أمانةٌ يُسألُ عنها العبدُ يومَ القيامة، وأكثرُ ما يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهم حصائدُ أَلْسِنَتِهِم، والصِّدقُ في الحديثِ ونقْلِه من سِيمَا العُقَلَاء، والإسلامُ أَمَرَ أن لا يَتحدَّثَ المرءُ إلَّا بما فيه نفعٌ أو يَصمُتَ؛ فقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**» (متفق عليه).

ومن صفاتِ مرضى القلوب: الإرجافُ والكذبُ في نقْلِ الأحداثِ، أو تحريفُها أو المبالغةُ فيها بغياً وإفساداً؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾، وقد أمر اللَّهُ بالتثبُّتِ في أخبارِ الفُسَّاقِ والمجاهيل؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾، والمرءُ منهيٌّ أن يتحدَّثَ بكلِّ ما سَمِع؛ قال ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» (رواه مسلم).

وعلى المسْلِم أن لا يكونَ أُذُناً لغيره؛ بل يكونَ حَصِيفاً لا يُخدَعُ بأقوالِ الماكرين ودعوةِ المُفسدين، وأنْ يَحفظَ دينَه ومُعتقَدَه من سموم الكائدين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الأَقَـارِبُ

بِرُّ الوَالِدَيْنِ (١)

الحمدُ للَّه الواحدِ المَنَّان، صاحبِ الفضلِ والإحسان، أَحْمَدُه تعالى حَمْداً يَفوقُ العَدَّ والحُسْبَان.

وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ بفَسِيحِ الجِنَان، وتَوَعَّدَ مَنْ عَصَاه بحَمِيمٍ آنٍ.

وأشهد أنَّ نَبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه صفوةُ بني الإنسان، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ العلمِ والإيمان.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى جِماعُ الخيرات، وبها تَحصلُ البركات.

أيُّها المسلمون:

جُبِلَتِ النُّفوسُ على حُبِّ مَنْ أحسنَ إليها، وتعلَّقَتِ القلوبُ بِمَنْ تَفضَّلَ عليها، وليس في النَّاس أعظمُ إحساناً ولا أكثرُ فضلاً من الوَالِدَيْن؛ من أجْلِ هذا قرَنَ اللَّهُ حقَّهُما بحقِّه، فله سبحانه العبادةُ والإخلاص، ولهما حسنُ الرِّعايةِ والإحسان؛ قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر جمادى الآخرة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

إنَّ إحسانَ الوَالِدَيْنِ عظيمٌ وفضلَهما سابقٌ، تأمَّلْ حالَ الصِّغرِ وتَذَكَّرْ ضَعفَ الطفولة: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

حَملتْكَ أمُّك في أحشائِها وهْناً على وهْنٍ، حَملَتْك كُرْهاً ووَضعتْكَ كُرْهاً، ولا يَزيدُها نُموُّك إلَّا ثِقَلاً وضَعْفاً، وعند الوضعِ رأتِ الموتَ بعينيها، ولكن لمَّا بَصُرتْ بِك إلى جانبِها سُرْعانَ ما نسيَتْ كلَّ آلامِها، وعلَّقتْ فيك جميعَ آمالِها، رأتْ فيك بَهجةَ الحياةِ وزينَتها، ثم شَغَلَتْ بخدمتِك ليلَها ونهارَها، تُغَذِّيك بصحَّتِها، طعامُك دَرُّها، وبيتُك حِجْرُها، ومَرْكبُكَ يداها، تُحيطُكَ وتَرْعَاك، تَجوعُ لِتَشْبعَ أنت، وتَسْهَرُ لِتَنَامَ أنت، تُقَدِّمُ سَعَادَتَها لِسَعَادَتِك، وفَرَحَها لفرحِك، فهي بك رحيمةٌ، وعليك شفيقةٌ.

إنَّك في طفولتك مُتعلِّقٌ بها، تراها كلَّ شيء؛ إذا غابتْ عنك دَعوْتَها، وإذا أَعْرَضَتْ عنك ناديْتَها، وإذا أصابك مكروهٌ استعَنْتَ بها، تَحْسَب كلَّ الخيرِ عندها، وتَظنُّ أنَّ الشَّرَّ لا يَصِلُ إليك إذا ضَمَّتْكَ إلى صدرِها أو لحَظتْك بعينيها، شَغَلَتْ بك قلبَها، وجَعلَت عليك ربَّها حافظاً ووكيلاً، شعورُها أنك قَبَسٌ من روحِها وفِلْذَةٌ من جسدها، فأنت لذلك غايةُ أَمَلِهَا وجوهرُ حياتِها.

أمَّا أبوك فأنت له مَجْبَنةٌ مَبْخَلةٌ، يَكْدَحُ ويسعى مِن أجْلِك، يَدْفعُ عنك صُنوفَ الأذى، يُكَرِّرُ الأسفار، يَجُوبُ الفَيَافِيَ والقِفَار؛ لِيُنفقَ عليك ويُصلحَك.

والِدَاك نالا بسببك التَّعبَ والمَشقَّة، غُرِسَت محبتُك في قلوبِهما، لا يتركان شيئاً في وُسْعِهما إلَّا بذلاه لإسعادك، أنت قرةُ عينيهما، وزينةُ دنياهما، وأنت أُنْسُ حياتِهما، وأملُ مستقبلِهما، يُرْخِصانِ المالَ إذا مَرِضْتَ، ويُجْزِلان العطاءَ إذا طَلَبْتَ، من رَحِيقِهما شربتَ، وفي حُجُورِهما وأحضانِهما نَشأْتَ.

هذان هما الأبوان اللَّذان جاءتِ الوصيَّة بِهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾، يقول الحسنُ البَصريُّ رحمه الله: «حَقُّ الوَالِدِ أَعْظَمُ، وَبِرُّ الوَالِدَةِ أَلْزَمُ».

أيُّها المسلمون:

إنَّ النَّفْسَ الكريمةَ الأبِيَّة تَعتزُّ بِمَنْبَتِها وأَرُومَتِها، والوالدان جَعلهما اللَّه مَوئِلَ السَّعادة، وروضةَ العطفِ والحَنان، فحقُّهما عظيمٌ، ومعروفُهما لا يُجازى، وجميلُهما يربو على كلِّ جميلٍ من الخلْق.

إنَّ البرَّ بالوَالِدَيْنِ وفاءٌ وقربةٌ؛ «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: **أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**» (متفق عليه)، برُّ الوَالِدَيْن من شِيَمِ الكرام، ودليلُ الفضلِ والكَمال، وهو سَعةٌ في الرِّزْق، وطولٌ في العمر، وطريقٌ إلى الجنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؛ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَاب، أَوِ احْفَظْهُ**» (رواه الترمذي).

في بقائهما سعادتُك، وفي برِّهما تَتنزَّلُ البركاتُ عليك وعلى عقِبك، هما جَنَّتك ونارُك؛ جاء رجُلٌ إلى عبدِ اللَّه بنِ عمرَ رضي الله عنهما يسألُه عن ذُنوبٍ اقترفَها، فقال: «تَفرُّ مِنَ النَّارِ وتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ؟ قَالَ:

إِي وَاللَّهِ! فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: عِنْدِي أُمِّي، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الكَلَامَ وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ؛ لَتَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الكَبَائِرَ» (رواه البخاريُّ في الأَدَب المُفْرَد).

صحبةُ الوَالِدَيْنِ خيرُ صحبةٍ يُنجي اللَّهُ بها من المَخاوفِ والمَهالِك، وهي سببٌ لسعادةِ الإنسانِ في الحال والمآل، إنَّها فريضةٌ في دين اللَّه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، هو خُلُقُ الأنبياءِ، ودأبُ الصَّالحين، وسببُ تفريجِ الكُرُبات، وإجابةِ الدَّعوات، به يَنشرحُ الصَّدرُ، وتَطِيبُ الحياة، قال تعالى في وصْف نَبيِّه يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، ويقولُ عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

تأمَّلْ في برِّ الوالدِ والإحسان إليه، كيف كان سبباً في عطْفِ موسى وإحسانِه؟ قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، والمتأمِّلُ في صَنيعِهما يَعْجبُ من بِرِّهما لأبيهما، وإحسانِهما إليه وخِدْمتِهما له مع أنَّهما امرأتان، ومع هذا قامتا بما يقومُ به الرِّجالُ غالباً، مع الحياءِ والعِفَّةِ والبُعدِ عن الرِّجال.

ما أعظَمَ فقهَ السَّلف! وما أعظَمَ برَّهم لوالديهم، وشدَّةَ حذرِهم من العقوق! هذا ابنُ عونٍ المُزَنِي لَمَّا نادتْه أمُّه فأجابَها وعلا صوتُه صوتَها أَعتق رقبتين.

أيُّها المسلمون:

إنَّ حقَّ الوَالِدَيْن يَتمثَّلُ في محبتِّهما، وطاعتِهما، والتَّأدُّبِ أمامَهما، وصدقِ الحديث معهما، وتحقيقِ رغبتِهما في المعروف، والإنفاقِ عليهما ما استطعت؛ «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» (رواه ابن ماجه)، ادفعْ عنهما صُنوفَ الأذى، فقد كانا يَدفعانِ عنك الأذى، جنِّبْهما كلَّ ما يورثُ الضَّجَرَ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، تخيَّرِ الكلماتِ اللَّطيفة، والعباراتِ الجميلة، والقولَ الكريم، والرِّعايةَ المخلِصة، أَطِبِ الكلامَ، وأَلِنِ الجانب، تواضَعْ لهما واخفضْ لهما جناحَ الذُّلِّ رحمةً وعطفاً.

لقد أقبلا على الشُّيخوخةِ والكِبَر، وتَقدَّما نحو العجزِ والهَرَم، فكنْ بهما رؤوفاً رحيماً، وعليهما عطوفاً حليماً، قال رجُلٌ لعمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه: «إِنَّ لِي أُمّاً بَلَغَ مِنْهَا الكِبَرُ أَنَّهَا لَا تَقْضِي حَوَائِجَهَا إِلَّا وَظَهْرِي لَهَا مَطِيَّةٌ؛ فَهَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا؟ قَالَ: لَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ بِكَ ذَلِكَ وَهِيَ تَتَمَنَّى بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَصْنَعُهُ وَأَنْتَ تَتَمَنَّى فِرَاقَهَا، وَلَكِنَّكَ مُحْسِنٌ وَاللَّهُ يُثِيبُ الكَثِيرَ عَلَى القَلِيلِ».

إنَّ حقَّهما عظيمٌ، ومهما فَعَلْتَ في برِّ الوَالِدَيْن والإحسان إليهما؛ فلَنْ تقومَ بواجبهما أو توفِّيَ حقوقَهما، ولكن الْجَأْ إلى اللَّه بالدُّعاء لهما في حال الحياة وبعد الممات؛ اعترافاً بالتَّقصير، وأَملاً فيما عند اللَّه من واسع الرَّحمة، وجزيل الرِّضوان.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه الملكِ الحقِّ المُبِين، أَحْمَدُه سبحانه وأَشْكُرُه، تفرَّد بالرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة على خلقه أَجْمَعِين.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، إِلَهُ الأَوَّلِين والآخِرِين.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، بُعِثَ بالحَنِيفِيَّة ملَّةِ إبراهيم، صلى اللَّه وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتَّابعين، ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فبرُّ الوَالِدَيْنِ إذا كان عنواناً للوفاء، ودليلاً على العقلِ والمروءة، وطريقاً للسَّعادة؛ فإنَّ العقوقَ عُنوانُ الشَّقاءِ والخُسران، إنَّه نكرانٌ للجميل، ودليلٌ على ضَعةِ النَّفسِ ورقَّةِ الدِّين، هو ضعْفٌ وانتكاسٌ للفطرةِ السَّويَّة، وطريقٌ إلى الحَسْرة والنَّدامة، وإنَّ مقابلةَ إحسانِ الوالد بالإساءة: خروجٌ عمَّا شَرعه اللَّه من المكافأة على المعروف.

إنَّ عقوقَ الوَالِدَيْنِ من كبائر الذُّنوب؛ قال المصطفى ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟** قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**» (متفق عليه).

حَسْبُ العاقِّ نَكَداً وخُسراناً أن يَبُوءَ بِسَخَطِ اللَّهِ ويُحْرَمَ مِنْ رضاه؛ يقول ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ! ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ! ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ! قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ - أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا -، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ» (رواه مسلم).

إنَّ العقوبةَ تَحيْقُ بالعاقِّين في الدُّنيا، وإنَّ دعوةَ الوَالِدَيْن على الأولاد مسموعةٌ مستجابةٌ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» (رواه الترمذي).

وإنَّ من علامات السُّوء في الأُمَّة أن يكونَ مِن أفرادها من يَغْدُو مُتنكِّراً لجميل والديه، مُصَعِّراً لهما خدَّه، شامخاً عليهما بأنفه، مُعْتَزّاً بشبابه، متجاهِلاً ذلك الماضيَ الحافلَ بالمِنَن والأيادي السَّابغة، واللَّهُ تعالى يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

فقُومُوا - عبادَ اللَّه - بحُقوقِ والدِيكُم والإحسانِ إليهما، وأَطِيعُوهُمَا بالمعروف، وقدِّموا لهما غايةَ البِرِّ والرِّعاية، وامْتَثِلُوا أَمْرَ ربِّكم في قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ثُمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

صِلَةُ الأَرْحَامِ(١)

الحمد للَّه الَّذي خَلَقَ مِنَ الماء بشراً فَجَعَلَه نَسَباً وصِهْراً، وأَوْجَبَ صِلَة القُرْبَى وأَعْظَمَ في ذلك أجراً.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، فاطرُ السَّمواتِ العُلَى، ومنشِئُ الأَرَضِينَ والثَّرى، أَحْمَدُه ﷻ على ما أَوْلَى، وأَشْكُرُه تعالى على ما أَسْدى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه أعظمُ النَّاسِ قَدْراً وأرفعُهم ذِكراً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه أُولِي الفضلِ والنُّهى، وعلى التَّابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فإنَّ مَنِ اتَّقى ربَّه وَقَاه، ومَنْ توكَّل عليه كَفَاه.

أيُّها المسلمون:

يَهدفُ الإسلام إلى بناءِ مجتمعٍ إسلاميٍّ متراحم متعاطفٍ، تَسُودُه المحبةُ والإخاء، ويُهَيمِنُ عليه حبُّ الخيرِ والعطاء، والأسرةُ هي وِحدة المجتمع، وقاعدةُ الحياةِ البَشريَّة، تسعدُ بتقوى اللَّه ورعايةِ الرَّحِم.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن من شهر ربيع الآخر، سنة تسع عشرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والإسلامُ عُني بتوثيقِ عُرى الأسرة، وتثبيتِ بُنيانِها، والإحساسِ بحقِّها، وعدم هضمِها وظلمِها، والتَّحرُّجِ من خدشِها أو الإضرار بها، وأتى بالأُسُسِ الَّتي تَكفُلُ تَماسكَ الأُسَرِ واطمئنانِ الأفراد، وجَعل صلةَ الرَّحم من الأُسُس التي عليها البناء، وسعى إلى حمايتِها من المؤثراتِ التي تُوهنُ بناءَها، فدعا الإسلامُ إلى صِلَةِ الرَّحم، ومعاملةِ الأرحامِ معاملةً تتَّفقُ مع ما شرعَ اللَّهُ من أحكامٍ، وما وَضعَ من آدابٍ.

واهتمَّ المصطفى ﷺ بالأُسْرةِ من أوَّل دعوتِه المُشْرِقة؛ سأل هِرَقلُ - ملِكُ الرُّوم - أبا سُفيانَ عن رسول اللَّه ﷺ في مَطلَعِ رسالته: «مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: يَقُولُ: **اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ» (متفق عليه).

أيُّها المسلمون:

بصلةِ الرَّحِمِ أمرَ اللَّهُ مَنْ سَبَقَنا من الأُمَم، وهي من الميثاقِ الذي أُخِذَ على بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

إنَّ مِنْ أعظمِ ما امْتَنَّ اللَّهُ به على الزَّوْجَيْن - اللَّذَيْنِ هما أَصْلُ الأُسْرةِ ونَواتُها - أنْ جَعل المودَّةَ والرَّحمةَ بينهما: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

أُسْرَةُ الإنسانِ وقرابَتُه؛ هم عُدَّتُه وسَنَدُه، وهم أَصْلُه وقُوَّتُه؛ يقول عَلِيُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أُولئكَ هُمْ عَشِيرَتُكَ، بِهِمْ تَصُولُ وَتَطُولُ، هُمُ العُدَّةُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ»، لقد قَرَنَ اللَّهُ الأمرَ بتوحيدِه، والنَّهيَ عن الإشراك به، بالإحسانِ إلى الوَالِدَيْنِ والأقربين: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

صِلَةُ الأَرْحَامِ حقٌّ لكلِّ من يَمُتُّ إليك بِصِلَةٍ - نسبٍ أو قرابةٍ -، وكلَّما كان أقربَ كان حقُّه أَلْزَمَ وأوجب، فرَحِمُ الإنسانِ هم أولى النَّاسِ بالرِّعايةِ وأحقُّهم بالعِنَاية، وأجدرُهم بالإكرامِ والحماية، وأساسُ التَّواصُلِ، والرِّباطِ المُوْثَق هو التَّوادُّ والتَّرَاحُم، وإذا فُقد ذلك تقطَّعت الأوصال؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**» (متفق عليه).

صِلَةُ الرَّحِمِ: مَحبَّةٌ في الأهل، ومَثْراةٌ في المال، ومَنْسَأةٌ في الأثر، وبركةٌ في الرِّزق، وتوفيقٌ في الحياة، وعِمارةٌ للدِّيار، يَكتبُ اللَّهُ بها العِزَّة، وتَمتلئُ بها القلوبُ إجلالاً وهيبة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» (متفق عليه).

أفضلُ النَّفَقة: النَّفَقةُ على الأقارب؛ قال سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾، ولقد جعَل القرآنُ لِذِي

القُرْبَى حَقّاً في الأَعْنَاقِ، يُوفَّى بالإنْفَاقِ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فليس هو تفضُّلاً؛ إنَّما هو الحقُّ الذي فَرَضه اللَّه، و«**إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**» (رواه النسائي).

الصَّدقةُ عليهم ثوابُها مبرورٌ، وأجرُها مُضَاعفٌ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ حين سُئل عن إنفاقِ زينب على زوجها عبد اللَّه بن مَسْعُودٍ وأيتامٍ لها؛ قال: «**نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ القَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**» (متفق عليه).

قريبُك قطعةٌ منك، إنْ أحسنتَ إليه فإنَّما تُحْسِنُ إلى شَخصِك، وإنْ بَخِلْتَ عليه فإنَّما تَبخلُ عن نفْسِك، وإذا لم يَجدْ إنسانٌ ما يؤدِّي به حقَّ الأقربين؛ فَلْيَقلْ لهم قولاً ليِّناً؛ ففي القولِ الميسورِ عِوضٌ وأملٌ وتجمُّلٌ، بصلتِهم تَقْوَى المودَّة وتزيدُ المحبة، وتَتوثَّق عُرى القرابة، وتَزولُ العداوةُ والشحناء.

صِلَةُ الرَّحِمِ والإحسانُ إلى الأقربين ذاتُ مجالاتٍ واسعةٍ ودروبٍ شتَّى؛ فمِن بشاشةٍ عند اللِّقاء ولينٍ في المُعَامَلة، إلى طيبٍ في القول وطَلاقةٍ في الوجه؛ زياراتٌ وصلاتٌ، تَفَقُّدٌ واستفساراتٌ، مهاتفةٌ ومراسلةٌ، مشاركةٌ في الأفراح، ومُواساةٌ في الأتراح، وإحسانٌ إلى المحتاج، وبذلٌ للمعروف، والمعنى الجامعُ لذلك كلِّه: إيصالُ ما أمكنَ من الخير، ودفعُ ما أمكنَ من الشَّرِّ.

صِلَةُ الرَّحِم أَمارةٌ على كرَمِ النَّفْسِ وسَعةِ الأفق، وطيبِ المَنْبتِ، وحُسنِ الوفاء؛ ولهذا قيل: من لم يَصلُحْ لأهلِه لم يصلُحْ لك، ومن لم

يَذُبَّ عنهم لم يذبَّ عنك، يُقْدِمُ عليها أولو التَّذكرةِ وأصحابُ البصيرة: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، فيها التَّعارفُ والتَّواصلُ والشُّعورُ بالسَّعادة، فيها رِفعةُ الدَّرجَات، وهي سببٌ لدخولِ الجنَّات، والبُعدِ عن الدَّرَكَات؛ سأل رجُلٌ رسولَ اللَّه ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؛ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**» (متفق عليه).

فضائلُ عديدةٌ، وعوائدُ جمَّة، ومع كلِّ ذلك، ومع هذه الآيات والأحاديث؛ فإنَّ في النَّاس مَنْ تَموتُ عواطفه، ويَزيغُ عن الرُّشد فؤادُه، فلا يَلتفتُ إلى أهلٍ، ولا يَسألُ عن قريبٍ.

أيُّها المسلمون:

إنَّ أسرعَ الخيرِ ثواباً: البِرُّ وصِلَةُ الرَّحِم، وأسرعَ الشَّرِّ عقوبةً: البَغْيُ وقطيعةُ الرَّحِم، ومع هذا ترى مَن يُسارع إلى قطْع الرَّحِم لِنزاعٍ على شبرٍ من الأرض، أو لِكلمةٍ تَفوَّه بها قريبُه لو نطق بها عدوُّه لَمَا عاتبَه عليها.

إنَّ ذوي الرَّحِم ليسوا ملائكةً، ولا أنبياءَ معصومين؛ يتعرَّضون للزَّلل، ويَنطِقون بالخطأ، وتَصدُر منهم الهَفْوة، ويَقَعُون في الكبيرة؛ فإنْ بَدَر منهم شيءٌ من ذلك؛ فالزَمْ جانبَ العَفْوِ معهم، فإنَّ العَفْوَ مِنْ شِيَمِ المحسنين؛ «**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً**» (رواه مسلم)، وقابِلْ إساءتَهمْ بالإحسان، واقبلْ عُذرَهم إذا أخطؤوا.

لقد فعَل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا، وعند ما اعتذروا قَبِل عُذْرَهم، وصفحَ عنهم الصفحَ الجميل، ولم يوبِّخْهم؛ بل دعا لهم وسأل اللَّهَ المغفرةَ لهم: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

غضٌّ عن الهفوات، وعفوٌ عن الزلات، وإقالةٌ للعثرات، وُدٌّ وإخاء، لينٌ وصفاءٌ، شَهامةٌ ووفاءٌ، مداومةٌ على صلة الرَّحِم ولو قطعوا، ومبادرةٌ بالمغفرة وإنْ أخطؤوا، وإحسانٌ إليهم وإنْ أساؤوا.

إنَّ مقابلةَ الإحسانِ بالإحسان؛ مكافأةٌ ومجازاةٌ، ولكنَّ الواصلَ مَنْ يَتفضَّلُ على صاحبهِ ولو لم يَتفضلْ هو عليه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» (رواه البخاري)، وجاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (رواه مسلم).

إنَّ الصَّفحَ عنهم، ونسيانَ معايبِهم وإن لم يَعتذروا؛ من كرمِ النَّفْس، وعلوِّ الهِمَّة، ومِن أخلاقِ الأكابر، وأهلِ الفضل، ومن لم يعاشرِ النَّاسَ على لزومِ الإغْضاء عمَّا يأتون من المكروه، وتَرْكِ التَّوقُّعِ لِمَا يأتون من المحبوب؛ كان إلى تكديرِ عَيْشِه أقربَ منه إلى صفائه، وإلى أنْ يدفعَه الوقتُ إلى العداوةِ والبغضاءِ؛ أقربَ منه أن ينالَ منهم الوُدَّ وترْكَ الشَّحناء.

أيُّها المسلم:

تَجَنَّبِ الشِّدَّةَ في عِتاب الأرحام؛ فالكريم يُعطي النَّاسَ حقوقَهم، ويتغاضى عن حقِّه، تحمَّلْ عتابَ الأقارب، واحملْه على أحسنِ المحامل؛ فهذا أدَبُ الفضلاء، ودأبُ النُّبَلاء.

وإنَّ مَنْ تمَّتْ مروءاتُهم وكَمُلتْ أخلاقُهم مَنْ وَسِعُوا النَّاسَ بحِلمهم، دعِ الخصام وكثرةَ الملاحاة؛ فهي ممَّا يورثُ البغضاء، وإيَّاكَ والانتصارَ المذمومَ للنَّفْس.

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - وَصِلُوا أرحامَكم، وقدِّموا لهم الخيرَ ولو جَفَوْا، وصِلُوهُم وإنْ قَطعُوا؛ يُدِمِ اللَّهُ عليكم بركاتِهِ، ويَبسُطْ لكم في الأرزاق، ويُبارِكْ لكم في الأعمار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه حمداً كثيراً كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأُولَى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، بَعَثَهُ ربُّه بالرَّحْمَة والهُدى، صلَّى اللَّهُ وسلَّم وبَارَكَ عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه النُّجَباء، والتَّابعين ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الجزاء.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

رَحِمُك لا يَملُّك على القُرْب، ولا يَنْسَاك في البُعد، وإنْ دَنَوتَ منه داناك، وإنْ بعُدْتَ عنه راعاك، وإنِ استعنتَ به أعانك، وإنِ احتجْتَ إليه رَفَدَك، مودَّةُ فِعلِه أكثرُ من مودَّةِ قولِه، ولا فِكَاكَ لك عنه؛ فعزُّه عزٌّ لك، وذُلُّه ذُلٌّ لك.

معاداةُ الأقاربِ شَرٌّ وبلاء، الرَّابحُ فيها خاسرٌ، والمُنْتَصِرُ مهزومٌ، وذاتُ البَيْن إذا لم تُصْلَحْ ويُبادَرْ إلى إصلاحها؛ فشرُّها يَستطِير، وبنار بلائِها يَكتوي الجميع، يقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «احْفَظُوا أَنْسَابَكُمْ؛ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا بُعْدَ بِالرَّحِمِ إِذَا قَرُبَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً، وَلَا قُرْبَى بِهَا إِذَا بَعُدَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا تَشْهَدُ لَهُ بِصِلَةٍ إِنْ كَانَ وَصَلَهَا، وَعَلَيْهِ بِقَطِيعَةٍ إِنْ كَانَ قَطَعَهَا».

ومن الكبائر: أنْ يقطعَ المرءُ رَحِمَهُ ولا يَصِلَ قرابتَه، لقد قَرَن اللَّه ذلك بالإفساد في الأرض؛ فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾.

الصِّفاتُ المُسْتَهْجَنةُ تَتَوالَى على قاطعي الأرحام وهَاجِرِي الأقارب؛ فهم تارةً من الفاسقين وطوراً من الخاسرين، إذا كانوا كما وصَفهم اللَّه بقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

إنَّ الدَّافعَ للقطيعةِ الجهلُ بعواقبِها العاجلةِ والآجلةِ، والجهل بفضائلِ وصلها، وإن ذلك مِنْ ضَعْفِ اليقين، ورِقَّةِ الدِّين، ومِنَ الشُّحِّ والبُخْل، والاشتغالِ بالدُّنيا واللَّهثِ وراءَ حُطامِها، فلا يَجدُ هذا اللَّاهثُ وقتاً يَصِلُ به قرابتَه، ويَتودَّدُ إليهم، لا يَفرحُ بمقْدمٍ، ولا يَشكرُ على مجيءٍ.

قطيعةُ الرَّحِم ذنْبٌ عظيم تَفْصِمُ الرَّوابط وتَبْعثُ على التَّناحُر، وتَشيعُ البغضاءَ والشَّنَآن، مزيلةٌ للأُلفةِ والمَودَّة، مُؤْذِنةٌ بزوالِ النِّعمة وسوءِ العاقبةِ وتعجيلِ العقوبة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**» (متفق عليه)، عقوبتُها معجَّلةٌ في الدُّنيا قبل الآخرة؛ يقول ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِنَ البَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**» (رواه الترمذي).

القطيعةُ سببٌ للذِّلَّةِ والصَّغار والتَّفرُّد، مُجلِبةٌ للهمِّ والغَمِّ؛ قاطعُ

الرَّحِم يَشعرُ بقطيعةِ اللَّه له، ملاحَقٌ بنظراتِ الاحتقار مهما صادف من مظاهر التَّبجيل.

بالقطيعةِ تَتَفكَّكُ العُرى، وتَنحَلُّ الرَّوابط، يقول الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَظْهَرَ النَّاسُ العِلْمَ، وَضَيَّعُوا العَمَلَ، وَتَحَابُّوا بِالأَلْسُنِ، وَتَقَاطَعُوا بِالأَرْحَامِ؛ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ».

لقد كان الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْتَوْحِشُونَ من الجلوس مع قاطع الرَّحِم؛ يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُحَرِّجُ عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا»، وكان ابنُ مسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جالساً في حَلْقةٍ بعد الصُّبح، فقال: «أَنْشُدُ اللَّهَ قَاطِعَ رَحِمٍ لَمَا قَامَ عَنَّا؛ فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُوَ رَبَّنَا، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُرْتَجَةٌ - أَيْ: مُغْلَقَةٌ - دُونَ قَاطِعِ رَحِمٍ».

أيُّها المسلمون:

إنَّ لحُسْن الخلُق تأثيراً في الصِّلَة، وله أثرٌ عظيمٌ فيها، والحِلْمُ غطاءٌ ساتر، والعقلُ حُسامٌ قاطع، فاستر خُلُقَكَ بحِلْمِك، وقاتلْ هواكَ بعقلك، والزم جانبَ الأدبِ مع ذوي القربى؛ فإنَّ مَنْ حَفِظ لسانَه أراح نفْسَه، يقولُ الأحنفُ بن قيسٍ: «ثَلَاثُ خِصَالٍ تُجْتَلَبُ بِهِنَّ المَوَدَّةُ: الإِنْصَافُ فِي المُعَاشَرَةِ، وَالمُوَاسَاةُ فِي الشِّدَّةِ، وَالِانْطِوَاءُ عَلَى المَوَدَّةِ».

وللهديَّةِ أثرٌ في استجلاب المحبَّةِ وإثباتِ المودَّة، وإذهابِ الضَّغائن، وتأليفِ القلوب، نفحةُ اليد، وندى الجُود، وهديَّةُ الحامد؛ دليلٌ على صفاءِ القلب، وإشعارٌ بالإجلال والتَّبجيل.

تعاهدْ أقاربَك، أَكْرِمْ كريمَهم، وعُدْ سَقِيمَهم، ويَسِّرْ على مُعْسِرِهم، ولا يَكُنْ أَهلُك أَشْقَى الخَلْقِ بك.

والرَّأيُ الذي يَجمعُ القلوبَ على المَودَّة: خيرٌ مبذولٌ، وبِرٌّ جميلٌ، وإذا أحسنتَ القولَ فأَحْسِنِ الفعل؛ ليجتمعَ معك فصاحةُ اللِّسَان، وثمرةُ الإحسان.

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه -، وصِلُوا أرحامَكم وبُلُّوها ببلَالِها، فحقُّ القريب، رحمٌ موصولة، وحسناتٌ مبذولة، وهفواتٌ محمولة، وأعذارٌ مقبولة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه ابن ماجه).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

صِلْ رَحِمَكَ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبِتَقْوَى اللَّه تُسْتَجْلَبُ النِّعَم، وبالبُعد عنها تَحُلُّ النِّقم.

أيُّها المسلمون:

يَهْدِفُ الإسلامُ إلى بناءِ مجتمعٍ إسلاميٍّ متراحمٍ متعاطِف، تسودُه المَحبَّةُ والإخاء، ويُهيمِن عليـه حبُّ الخيرِ والعَطاء، والأسرةُ أساس المجتمع، وقاعدةُ الحياة البشريَّة بتقوى اللَّه ورعايةِ الرَّحِم.

اهتمَّ الإسلامُ بتوثيق عُراها، وتَثبيتِ بُنيانِها فجاء الأمرُ برعايةِ حقِّها بعدَ توحيد اللَّه وبرِّ الوالدين؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، وقُرِنَت مع إفراد اللَّه

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث من شهر ذي القَعدة، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بالعبادةِ والصَّلاة والزَّكاة؛ عن أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «جَاءَ رجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؛ فَقال النَّبيُّ ﷺ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**» (متفق عليه).

أُمِرَتِ الأُمَم قبلَنا بصِلَة أرحامِها؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، ودعا إلى صِلتها نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ في مَطلع نُبُوَّته؛ قال عمرو بن عبَسَة رضي الله عنه: «سَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: **أَنَا نَبِيٌّ**، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: **أَرْسَلَنِي اللَّهُ**، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: **أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**» (رواه مسلم)، وسأل هرقلُ أبا سفيان عن النَّبيِّ ﷺ: «مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: يَقُولُ: **اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ» (متفق عليه).

وأمر بها عليه الصلاة والسلام أوَّلَ مَقْدَمِه إلى المدينة؛ قال عبد اللَّه بن سَلام رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ - أَيْ: ذَهَبُوا إِلَيْهِ -، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه أحمد)،

وهي وصيَّةُ النَّبيِّ ﷺ؛ قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنْ أَدْبَرَتْ» (رواه الطبراني).

صِلةُ ذوي القربَى أمارةُ على الإيمان؛ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (رواه البخاري)، وقد ذمَّ اللَّهُ كفارَ قريشٍ على قطيعةِ رحِمِهم فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، القيامُ بها برٌّ بالوالدَين وإن كانوا أمواتاً؛ جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا» (رواه أبو داود).

خَلَق اللَّهُ الرَّحِم، وشقَّ لها اسماً من اسمِه، ووعَد ربُّنا جل وعلا بوصلِ مَنْ وصلها، ومَنْ وَصَله الرَّحيمُ وَصَلَه كلُّ خيرٍ، ولم يقطَعْه أحدٌ، ومَنْ بَتَره الجبَّار لم يُعْلِه بشرٌ، وعاشَ في كَمَد: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾، واللَّه يُبقي أثرَ واصلِ الرَّحِم طويلاً، فلا يَضْمَحِلُّ سريعاً كما يَضْمَحِلُّ أثر قاطع الرَّحِم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ لِلرَّحِمِ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ! قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ» (متفق عليه)، «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ» (رواه مسلم).

صلةُ الرَّحِم تَدفَعُ - بإذن اللَّه - نَوَائِبَ الدَّهر، وتَرْفَعُ بأمرِ اللَّه عن المرء البَلايا؛ لمَّا نَزل على النَّبيِّ ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ رَجع بها تَرجُف بوادِرُه حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال: «زَمِّلُونِي، فَأَخْبَرَهَا

الخَبَرُ، وقَالَ: **قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي،** فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ» (متفق عليه).

أمَرَ اللَّهُ بالرَّأفة بِهم كما نرأفُ بالمِسْكِين؛ قال ﷻ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؛ حقُّهم في البذلِ والعطاء مقدَّمٌ على اليتامَى والفقراء؛ قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، السَّخاءُ عليهم ثوابٌ مضاعفٌ؛ قال ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**» (رواه الترمذي)، وأوَّلُ مَنْ يُعطى الصَّدقةَ هم الأقربون مِن ذوي المَسْكَنَة؛ تَصدَّقَ أبو طلحةَ رضي الله عنه بِبُسْتَانِه، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ،** فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ» (متفق عليه)، يقول عَلِيُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لَأَنْ أَصِلَ أَخاً مِنْ إِخْوَانِي بِدِرْهَمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعِشْرِينَ دِرْهَماً»، الباذلُ لها سَخيُّ النَّفْس كريمُ الشِّيَم، يقول الشَّعْبِيُّ رحمه الله: «مَا مَاتَ ذُو قَرَابَةٍ لِي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ إِلَّا وَقَضَيْتُ عَنْهُ دَيْنَهُ».

الجارُ من ذوي الأرحام أخصُّ بالرِّعاية والعنايةِ مِن غيره، قال سبحانه: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾، دعوتُهم وتوجيهُهم وإرشادُهم ونُصحهم ألزمُ من غيرِهم؛ قال ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وإكرامُ ذوي القراباتِ مأمورٌ به على أن لا يكونَ في التَّقديم بخسٌ لأحدٍ أو هضمٌ لآخرين؛ قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾.

في صِلَةِ الرَّحِم ثمراتٌ هي أُسُسٌ في بِناء الحياة: محبَّةُ الأهل، بَسْطُ الرِّزق، بركةُ العُمر؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي أَهْلِهِ، مَثْرَاةٌ فِي مَالِهِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ**» (رواه أحمد)، وعند البخاري ومسلم: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»، قال ابن التِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صِلَةُ الرَّحِم تَكُونُ سَبَباً لِلتَّوْفِيقِ فِي الطَّاعَةِ، وَالصِّيَانَةِ عَنِ المَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ».

صِلتُها عبادةٌ جليلةٌ مِن أخصِّ العبادات؛ يقول عمرُو بنُ دينارٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا مِنْ خُطْوَةٍ بَعْدَ الفَرِيضَةِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ خُطْوَةٍ إِلَى ذِي رَحِمٍ»، ثوابُها مُعجَّلٌ في الدُّنيا، ونَعيمٌ مدَّخرٌ في الآخرة؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَاباً مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ**» (رواه البيهقي)، والقائمُ بحقوقِ ذوي القُربَى موعودٌ بالجَنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**» (رواه مسلم).

بصِلَتِهم تَقْوَى المَودَّة، وتزيدُ المَحبَّة، وتَتوثَّقُ عُرَى القَرابةِ، وتزولُ العداوةُ والشَّحناء، فيها التَّعارُفُ والتَّواصلُ والشُّعورُ بالسَّعادة.

صِلةُ الرَّحِم والإحسانُ بالآخرين طُرُقُها مُيَسَّرةٌ وأبوابُها متعدِّدةٌ؛ فمِنْ بشاشةٍ عند اللِّقاء، ولينٍ في المُعامَلَة، إلى طيبٍ في القول، وطلاقةٍ في الوجه، زياراتٌ وصِلاتٌ، مشاركةٌ في الأفراح ومواساةٌ في الأتراح، وإحسانٌ إلى المُحْتاج، وبذلٌ للمعروف، نصحُهم والنُّصح

لهم، مساندةُ مكروبِهم، وعيادةُ مريضِهم، والصفحُ عن عثراتِهم، وترك مضارَّتِهم، ولا يكنْ أهلُك أشقى الخلْقِ بك، والمعنى الجامِع لذلك كلِّه: إيصالُ ما أمكَن من الخير، ودفعُ ما أمكنَ من الشَّرِّ.

صِلَةُ الرَّحِم أمارةٌ على كَرَم النَّسل، وسَعَةِ الأفُق، وطيبِ المنبَتِ، وحُسنِ الوَفاء، ولهذا قيل: مَن لم يَصلحْ لأهلِه لم يَصلحْ لك، ومَن لم يذبَّ عنهم لم يذبَّ عنك، يُقْدِمُ عليها أولو التذكرة وأصحاب النُّهى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

أيُّها المسلمون:

إنَّ ذوي الأرحام غيرُ معصومين، يتعرَّضون للزَّلَل، وينطقون بالخطأ، وتَصدُر منهم الهَفوة، ويَقَعُون في الكبيرة، فإنْ بَدَر منهم شيءٌ من ذلك فالْزَم جانبَ العَفْوِ معهم، فإنَّ العفوَ من شِيَم المحسنين، «**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً**» (رواه مسلم)، وقابِلْ إساءَتهم بالإحسان، واقْبَلْ عُذرَهُم إذا أخطؤوا، لقد فَعل إخوةُ يوسفَ ما فَعلوا، وعند ما اعتَذروا قبِل عُذرهم وصفَحَ عنهم الصفحَ الجميل، ولم يوبِّخْهم؛ بل دعا لهم وسأل اللَّهَ المغفرةَ لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

غُضَّ عن الهفواتِ، واعفُ عن الزَّلَّات، وأقِلِ العثرات؛ تَجْنِ الودَّ والإخاء، واللّينَ والصَّفاء، وتتحقَّقْ فيهمُ الشَّهامةُ والوَفاء، داومْ على صِلَة الرَّحِم ولو قَطعوا، وبادِر بالمغفرة وإنْ أخطؤوا، وأَحسِن إليهم وإنْ أساؤوا، ودَعْ عنك محاسبةَ الأقربين، ولا تجعَلْ عِتابَك لهم

في قطْعِ رحمِك منهم، وكُن جوادَ النَّفس كريمَ العطاء، وجانبِ الشُّحَّ فإنَّه من أسباب القطيعة؛ قال ﷺ: «اتَّقُوا الشُّحَّ! فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» (رواه مسلم).

إنَّ مقابلةَ الإحسانِ بالإحسان مكافأةٌ ومجازاةٌ، ولكنَّ الواصلَ مَن يَتفضَّلُ على صاحبِه ولو لم يتفضَّلْ هو عليه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» (رواه البخاري)، قيل لعبدِ اللَّه بن مُحَيْرِيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا حَقُّ الرَّحِمِ؟ قَالَ: تُسْتَقْبَلُ إِذَا أَقْبَلَتْ، وَتُتْبَعُ إِذَا أَدْبَرَتْ»، وجاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (رواه مسلم).

وكلُّ رَحِمٍ آتيةٌ يومَ القيامةِ أمامَ صاحبِها تَشهَدُ له بصلةٍ إن كانَ وصَلَها، وعليه بقطيعةٍ إن كان قطعَها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الرَّوابطُ تزدادُ وُثوقاً بالرَّحِم، وقريبُك لا يَملُّك على القُرْب، ولا يَنْسَاكَ في البُعْد، عِزُّهُ عزُّك، وذُلُّه ذُلٌّ لك، ومعاداةُ الأقاربِ شرٌّ وبلاءٌ، الرابحُ فيها خاسِرٌ والمنتصِرُ مهزومٌ، وقطيعة الرَّحِم مِن كبائر الذُّنوب، متوعَّدٌ صاحبُها باللَّعنةِ والثُّبور؛ قال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾.

التَّدابرُ بين ذوِي القُربَى مؤذِنٌ بزوالِ النِّعمة، وسوء العاقبة، وتعجيلِ العقوبة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**» (متفق عليه)، قال ابن حجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَاطِعُ لِلرَّحِمِ مُنْقَطِعٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»، عقوبتُها مُعجَّلةٌ في الدُّنيا قبلَ الآخرة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِنَ البَغْيِ** - أَيِ: الظُّلْم - **وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**» (رواه الترمذي).

وهي سببٌ للذِّلَّة والصَّغَار والضَّعفِ والتَّفرُّد، جالبةٌ لِلْهَمِّ والغَمِّ، قاطعُ الرَّحِم لا يثبُت على مؤاخاةٍ، ولا يُرجَى منه وفاءٌ، ولا صدقٌ في الإخاء، يَشعرُ بقطيعةِ اللَّه له، مُلاحَقٌ بنظرات الاحتِقار، مهما تلقَّى من مظاهِر التَّبجيل، لقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يستوحِشون مِن الجلوس مع قاطِع الرَّحِم؛ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «أُحَرِّجُ عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا»، وكان ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه جَالساً في حَلْقةٍ بعدَ الصُّبح فقال: «أَنْشُدُ اللَّهَ قَاطِعَ رَحِمٍ لَمَا قَامَ عَنَّا؛ فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُوَ رَبَّنَا، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُرْتَجَةٌ - أَيْ: مُغْلَقَةٌ - دُونَ قَاطِعِ الرَّحِمِ»، ومَنْ كان بينه وبين رَحِم له عداوة فلْيُبَادِرْ بالصِّلَة ولْيعْفُ ولْيَصْفَح: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾.

وإنَّ لِحُسنِ الخُلُقِ تأثيراً بالصِّلَة، والْزَم جانبَ الأدَب مع ذوي القُربَى؛ فإنَّ مَنْ حفظ لسانَه أراحَ نفسَه، وللهديَّةِ أثرٌ في اجتلابِ المَحبَّة واجتلاب المَودَّة، وإذهاب الضَّغائن وتأليف القلوب، والرَّأيُ الذي يجمَع القلوبَ على المودّة؛ خيرٌ مبذولٌ، وبرٌّ جميلٌ، وإذا أحسنتَ القولَ فأحسِنِ الفعل؛ لِيجتمعَ معك فصاحةُ اللِّسان، وثَمرةُ الإحسان.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الزَّوَاجُ السَّعِيدُ (١)

الحمد للَّه الَّذي خَلَقَ مِنَ الماء بشراً، فَجعَلَه نَسَباً وصِهْراً، خَلَقَ آدمَ فَسَوَّاه ونَفخَ فيه من رُوحِه، وجَعل لَهُ سَمْعاً وبَصَراً، أَحْمَدُه سبحانه على نِعَمِهِ الَّتي تَتوالى بِرّاً وفَضْلاً.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صاحبُ الشَّفاعةِ الكبرى، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه قَادةِ الهُدى ونجومِ الاهتداء.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فإنَّ مَنِ اتَّقى ربَّه وَقاهُ، وقرَّبَهُ إليه، وأَحَلَّ عليه رضاه.

أيُّها المسلمون:

الأُسْرَةُ أَسَاسُ المجتمع، منها تتكوَّنُ الأُمَّة، وبصلاحِها تَصْلُحُ وتَنَالُ ما تؤمِّل من غاياتٍ كريمةٍ، والزَّوجان هما النَّوَاةُ الأُولى الَّتي يَنبثقُ منها المُجْتَمَع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع من شهر ربيع الأول، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والأُسْرَةُ هي المَأْوَى الَّذي هيَّأهُ اللَّهُ للبشرِ يَسْتَقِرُّونَ فيه ويَسْكُنُونَ إليه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

وقد رغَّبَ الإسلامُ في النِّكاح، وجَعلَه مِن سُننِ المُرْسَلِين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

في الزَّواجِ إعمارُ الكون، وإقامةُ الشَّرع، وسَكَنُ النَّفْس، ومتاعُ الحياة.

بقيامه تَنتظِمُ الحياة، ويَتَحقَّقُ العفافُ والإِحْصَان، مقاصدُه ساميةٌ وغاياتُه حميدةٌ، علاقةُ الزَّوجين فيه علاقةٌ رُوحِيَّةٌ كريمةٌ، حينما تَصِحُّ هذه العلاقة وتَصدُق هذه الصِّلَةُ، فإنَّها تَمتدُّ إلى الحياة الأخرى بعد المَمات: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ولأَهَمِّيَّة النِّكَاحِ في الإسلام وجَّهَ طالبَه إلى اختيارِ المرأةِ ذاتِ الدِّين الَّتي تُحَقِّقُ له مقاصدَ الزَّواجِ الشَّرعيَّة؛ فقال ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**» (متفق عليه).

الزَّوجةُ الصَّالحةُ خيرُ مَتاعٍ يُتطلَّعُ له ويُسْتَمْسَكُ به؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**» (رواه مسلم).

ذاتُ الدِّينِ مُطيعةٌ لربِّها ثمَّ لزوجِها، لا تَتَعَالَى عليه، ولا تَتمرَّدُ

على قِوامته، ولا تَسْعَى إلى منازعتِه، تراها ساعيةً في راحةِ زوجِها، قائمةً على خدمتِه، راغبةً في رضاه، حافظةً لنفْسها؛ كلُّ ذلك لِيقينِها بأنَّ فوزَها بالجَنَّة ونَجاتَها من النَّار مُعلَّقٌ بطاعةِ زوجها مع قيامها بما فَرَضَ اللَّه عليها؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا؛ دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ**» (رواه أحمد)، دينُها جَمَّلَها في ظاهرِها وباطنِها، يدُها في يدِ زوجها، لا تَنامُ إذا غَضِبَ عليها زَوجُها حتَّى يَرْضَى، أمَّا الجمالُ والنَّضارةُ فتُزيلُها الأيَّام، والمالُ غادٍ وعائدٌ، ولا يَبْقَى إلَّا الدِّينُ والخُلُقُ الكريم؛ «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**».

أيُّها المسلمون:

إنَّ مشكلةَ العُنُوسَةِ وعوائقَها في المجتمعات راجعةٌ إلى خللٍ في التَّصوُّر، وخللٍ في تطبيق الشَّريعة، يُقَوَّمُ الخاطبُ بالوظيفةِ والشَّهادةِ والمُرَتَّبِ والوَجَاهَة، ويُرْجَأُ إنكاحُ الفتاةِ بحجَّة الدراسة؛ فتمضي السَّنواتُ مُتَلَاحِقةً، وهي بين التَّسويفِ والتَّعليلِ والوَهمِ والخَيال، في كلِّ يومٍ تَذْبُلُ زَهْرَتُها؛ فتعيشُ مع الهُمُومِ والأَحْزَان، حَرَمَهَا وليُّها لَقَبَ الزَّوجةِ والأُمِّ والجَدَّة، حَرَمَهَا وَلَداً صالحاً يَدْعُو لها، يُحْيِي ذِكْرَهَا ويَعْمُرُ حَيَاتَهَا بعد مماتِها، تَرَى طفلَ غيرِها؛ فَيَذْرُفُ دمعُها من آثار ظُلْمِ وَلِيِّها.

أيُّها الأب:

إنَّ المالَ والجاهَ والمناصبَ أعراضٌ زائلةٌ ومظاهرُ خدَّاعةٌ، وأما الدِّينُ والخُلُقُ فَهُمَا جوهرانِ باقيانِ يَصْحَبَانِ المرءَ؛ فاقتصِرْ عليهما في

اختيارِ الزَّوْج، يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ؛ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» (رواه ابن ماجه).

إنَّ التَّأَخُّرَ عن سِنِّ الزَّواجِ انْحِرَافٌ عن المنهجِ السَّوِيِّ وثَلْمَةٌ في المجتمع، يَترتَّبُ عليه جملةٌ من المفاسدِ والانحرافاتِ في الأخلاقِ والسُّلوك، ومن الحُلُول: عَدَمُ ردِّ الخاطب إلَّا لخللٍ في دينِه أو خُلُقِه، ولا غَضَاضَةَ في عَرْض الرَّجُلِ ابنتَه أو أختَه على رجُلٍ صالحٍ؛ فهو من هدي الأنبياء والصَّالحين، فقد عَرَضَ شعيبٌ ابنتَه على موسى عليه السلام؛ فقال له: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾، وعَرَضَ عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه ابنتَه حفصةَ علَى عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ وعلَى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهم؛ بل إنَّ هذا الصَّنيعَ مِن وضْعِ الشَّيْءِ موضعَه، ومن أداء الأمانة إلى أهلها، ومِنْ كمالِ النُّصحِ للمرأة.

أيُّها المسلمون:

إنَّ يُسْرَ المَهْرِ من أسبابِ الوِفاق والمَحبَّةِ بين الزَّوجين، يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً: أَيْسَرُهُنَّ مَؤُونَةً» (رواه أحمد)، ولو كانتِ المُغَالاةُ في المُهُورِ مَكْرُمةً في الدُّنيا أو تقوًى في الآخرة؛ لكان أَوْلَانَا بها النَّبيَّ ﷺ، فلقد كان صَداقُه عليه الصلاة والسلام خمسَ مئةِ درهمٍ، وتزوَّجَ عبدُ الرَّحمَن بنُ عوف رضي الله عنه على وَزْنِ نَواةٍ من ذهبٍ، قال له المصطفى ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ» (متفق عليه)، وزوَّجَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً من الواهبةِ نفْسَها بما معه من القرآن (متفق عليه).

ولقد اشتطَّ بعضُ النَّاس في المُغَالَاة في المُهُور، وسَرَتْ بينهم في الحُطام المنافسات؛ فجَعلوا بناتِهم بضاعةً، وظَنُّوا أنَّها متاعٌ يَطْلُبُ مُبْتَاعاً، وما عَلِم هؤلاء أنَّ المغالاةَ في المَهر من قلَّةِ برَكة النِّكاح وعُسرِه، إنَّ المرأةَ للرَّجُلِ نَفْسٌ لِنَفْسٍ، ولَيْسَتْ بضاعةً لتاجرٍ، إنَّ ميزان الرِّجالِ لا يُوزَنُ بمالٍ ولكن يُوزَنُ بالمُعَامَلَةِ وحُسنِ الخُلُق ورعايةِ المسؤوليَّة، والاغتباطُ لا يكونُ إلَّا بالدِّينِ والخُلُقِ والاهتمام بِغَرْسِ المَودَّة، لا فيما تَعْجِزُ عنه أيدي الشَّباب، ولا ما لا تَبلُغُه طاقاتُهم.

وإنَّ مِن أَمارةِ الزَّواج الموفَّق: أن يكون بعيداً عن البَذْخ في وليمة النِّكاح، وخالياً من المنكرات - من الغِنَاءِ والاختلاطِ وغيرِهِمَا -، هَدْيُهُ ﷺ ما قاله لعبدِ الرَّحمَنِ بن عوفٍ رضي الله عنه: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» (متفق عليه)؛ فلا إسرافَ فيه، ولا عصيانَ ولا مَخِيلة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه الرَّحيمِ الرَّحْمَن، خَلَقَ الإنسانَ وعلَّمَهُ البَيَان.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، الكريمُ المنَّان.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ وَلَدِ عدنان، صلى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه والتَّابعين له بإحسانٍ.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

المعاشرةُ بالمعروفِ لا تَتَحَقَّقُ إلَّا بمعرفةِ ما لكلِّ واحدٍ من الزَّوجينِ وما عليه، ومن رَجَاحةِ العقلِ تَوْطِينُ النَّفس على قَبولِ النَّقص، والغَضِّ عن بعض المُنَغِّصات؛ فالمرأة ضعيفةٌ في خَلْقِها وخُلُقِها، وإذا غَفَلَ عن جوانبِ الخير فيها وحُوسِبَتْ على كلِّ شيءٍ؛ عَجَزَتْ عن كلِّ شيءٍ، والمبالغةُ في تقويمِها يقودُ إلى كَسْرِها، وكسْرُها طلاقُها.

والمرأةُ المُسْلِمةُ يجبُ أنْ تَعلمَ أنَّ السَّعادةَ والمَوَدَّةَ لا تَتِمُّ إلَّا حين تكونُ ذاتَ عِفَّةٍ ودينٍ، تُطيعُ زوجَها، وتَقْبَلُ قِوامته التي جَعلها اللَّهُ له، ولا تَتَنَكَّرُ لفضله وعِشْرتِه الحَسنة، ولا تُسِيءُ إليه إذا حَضر، ولا تخونه إذا غاب.

أَوْصَتْ حَكيمةٌ من العرب ابنتَها ليلةَ زفافِها فقالت لها: «كُوني لَهُ أَرْضاً ذَلِيلَةً؛ يَكُنْ لَكِ سَمَاءً ظَلِيلَةً، وَكُونِي لَهُ مِهاداً؛ يَكُنْ لَكِ عِماداً،

وَإِنْ كُنْتِ لَهُ أَمَةً؛ كَانَ لَكِ عَبْداً، وَلَا تُكْثِرِي مِنَ الإِلْحَاحِ فَيَقْلَاكِ، وَلَا تُفْشِي لَهُ سِرّاً، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْراً»، ومَنْ كان أَشدَّ احتراماً؛ فإنه لا يَلْقَى إلَّا محبَّةً وإكراماً، وطولُ المرافقةِ تكون بكثرةِ الموافقة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

زَوَاجٌ مُبَارَكٌ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّهِ طريقُ الهدى، ومخالفتُها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

الأسرةُ أساسُ المجتمع، منها تتفرَّقُ الأُمَم وتنتشرُ الشُّعوب، نواةُ بنائِها الزَّوْجان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾، والشَّريعةُ مَبْنَاها على الحِكَم ومَصَالحِ العِبَاد في المَعَاشِ والمَعَاد، دَعَتِ الشَّبابَ لإِعْفَافِ أنْفُسِهم بالزَّواج؛ قال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» (متفق عليه).

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرَّابع من شهر جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

حثَّ الدِّينُ على اختيارِ الزَّوجةِ الصَّالحة ذاتِ الخُلُق الرَّاقي والتَّعَامُلِ الهادي، لا تَرْفَعُ صوتاً ولا تُؤْذِي زوجاً، والسُّؤالُ عن حالِ الخاطبِ والمخطوبةِ أَمْرٌ مشروعٌ؛ لِبَيانِ ما قد يخفى في أحدِهِما من مَثَالبَ قادحةٍ، وعلى المسؤولِ الصِّدقُ في الجوابِ والبيانُ بكل وُضُوحٍ وأمانةٍ؛ بإبداءِ ما يؤثِّر في نجاح الزواج أو عدمه؛ من خوافِي المَحاسنِ والمَسَاويء، وكتمانُ مَعَايِبِ أحدِهِما عند السُّؤالِ ضَرْبٌ من الغِشِّ للمسلِمين.

وإذا عَزَم الخاطبُ على الخِطْبة أُبيحَ له النَّظرُ إلى مخطوبته بحضورِ مَحْرَمِها دون خَلْوَةٍ بها، من غيرِ تَدْليسٍ عليه في زينةٍ أو تَجَمُّلٍ؛ يقول ﷺ: «**إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ المَرْأَةَ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا؛ فَلْيَفْعَلْ**» (رواه أبو داود).

ولْيَحْذَرِ الخاطبُ قبل العَقْدِ الخلوةَ بمخطوبته، أو إلباس المخطوبَة خاتماً، أو مسَّ جسدها، أو الخروجَ بها من دارها، فإنَّ ذلك من المعاصي ورَكْضَةٌ من الشَّيطان يُغْوِي بها الخاطبين، وكثيراً ما تَتَبَدَّد أحلامُهما بتلك السَّيِّئات.

والإسلامُ دينُ عدلٍ وعطفٍ؛ أمرَ الشَّبابَ بالزَّواج، وحثَّ على تيسيرِ مَهرِه، وإذا قلَّ المَهرُ عَلَتِ المرأة، وشَرُفَتْ عند الزَّوج مكانتُها، وزادتْ بركتُها؛ يقول ﷺ: «**أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً: أَيْسَرُهُنَّ مَؤُونَةً**» (رواه أحمد)، وأثرياءُ الصَّحابةِ لم يُغالُوا في مُهُورِهم؛ يقول عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه: «تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ»،

ولمَّا عَلِمَ النَّبيُّ ﷺ عن صَدَاقِه؛ قال له: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ» (متفق عليه)، والمَهْرُ حقٌّ للمرأة، لا يجوزُ للآباء أو الأولياء التَّصرُّفُ فيه بغير رضاها؛ قال سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾.

وجمالُ المرأة في سِتْرها، وبَهَاؤُها في حيائها، ورَوْنَقُها في عفافها، والإسلامُ جاء آمراً بِسِترِ المرأة؛ وبعضُ النِّساءِ يَقَعْنَ في المُحرَّمات في مواطنِ الفَرَح؛ فتُجَوِّزُ لنفْسها ما ضاق من المَلْبَس، وأُخْرى تَلبسُ ما رقَّ منه ممَّا لا يَستُرُ جَسدها، ومنهنَّ مَنْ تُبْدِي شيئاً مِنْ ساقِها وفخِذِها، ومنهنَّ مَنْ لا تَسْتُرُ أعْلَى جَسَدِها، يُزَيِّنُ لهنَّ الشَّيطانُ سوءَ عَمَلِهنَّ، والمرأةُ لا يَحلُّ لها أن تُبْدِيَ للمرأة إلَّا ما أُبِيحَ كشْفُه أمامَ محارِمِها من الرِّجال ممَّا جرت العادة بكشفه في دارها - من الرَّأس، والعنق، وأطراف اليدين، وأطراف القدمين -، ولا تُبْدِي المرأةُ عند النِّساءِ أكثر من ذلك.

ومِنَ النِّساءِ مَنْ تَكشفُ عورتَها لامرأةٍ أخرى لإزالة خوافي شعر جسدها؛ وهذا منكرٌ غليظٌ، وخديعةٌ للزَّوج، وضياعٌ لحفظِ حقِّه في غيبتِه، فيه اطِّلاعٌ على العَوْرَات، وعليها وَعيدٌ من ربِّ العالمين؛ يقول ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ» (رواه ابن ماجه).

والدِّينُ وسَطٌ في الإنفاقِ بين الإسرافِ والتَّقتير؛ يُعلِنُ النِّكاحَ ولا يقعُ في المحذور، ومِنَ النِّساءِ مَنْ تَتَبَاهَى في زينةِ المَلْبَس والتَّبرُّجِ والتَّجمُّل، تُبدِّدُ الأموال وتَهْدُر الأوقات بِشُهْرَةٍ زائفةٍ أو رياءٍ مَمْقُوتٍ،

واحذري - أيَّتُها المرأةُ - من الخُيَلاءِ في المَلْبَس؛ فقد قال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ - يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ -؛ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» (متفق عليه).

والمرأةُ المسْلِمةُ مُتميِّزةٌ بزينتها وملبَسِها وشَعرِها، بعيدةٌ عن تَشَبُّهِها بالرِّجالِ أو غير المُسلِمين، وتَشَبُّهُها بغير جنْسِها يُعَرِّضُهَا للوعيد، وقد لَعَنَ رسولُ اللَّه ﷺ المُتشبِّهات من النِّساءِ بالرِّجال، ولكلِّ جِنْسٍ - من الرِّجالِ والنِّساءِ - خصائصُه وأحوالُه وملْبسُه وزينتُه، المرأةُ تَفْخَرُ بأنوثتِها، والرَّجلُ يَعْتزُّ برجولتِه، وفي التَّقليدِ ضَعْفٌ في النَّفْس، وعدمُ رضا بالخصائص، ونقصٌ في إدراك حِكمة الخالق.

وحواجبُ العَيْنَيْنِ زينةٌ من ربِّ العالمين، وبعضُ النِّساءِ تَعْمَدُ إلى إزالة بَهاءِ وجهِها وجمالِ عينيها بنَتْفِ حواجِبِهَا، وقد لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَزالَتْ شَعرَ حاجِبِها؛ يقول ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ» (متفق عليه).

وبعضُ النَّاسِ لِضَعْفٍ في النَّفْسِ مُولَعٌ بالتَّقليد؛ يُضَاهِي غيرَه حتَّى في أفراحِه، والرَّجُلُ مُحرَّمٌ عليه رُؤْيَةُ المرأةِ الأجنبيَّةِ في النِّكاحِ وغيرِه، ودخولُ الزَّوجِ ليلةَ الزَّفافِ على النِّساءِ الأجانبِ، وجُلُوسُه على عُلوٍّ مع زوجتِه - وهو يَتَطَلَّعُ إلى نِساءِ المُسْلِمين بكاملِ زِينَتِهِنَّ - مُنكَرٌ رَذِيلٌ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!» (متفق عليه).

وجلوسُ الزَّوجِ مع زوجتِه أمامَ النِّساءِ تَقْليدٌ مَقِيتٌ؛ دافعُه الهوى، وظاهرُه الخُيَلاء، وثمرتُه الشقاء، فما حالُ الزَّوجين أمامَ النِّساء وهُنَّ يَنْظُرْنَ إليهما، والنَّاظرُ للزَّوجينِ ما بيْن شَامِتٍ في الخِلْقَةِ وما بين حَاسدٍ على النِّعْمَة، تقولُ فاطمةُ رضي الله عنها: «خَيْرٌ لِلْمَرْأَةِ أَنْ لَا تَرَى الرِّجَالَ وَأَنْ لَا يَرَاهَا الرِّجَالُ»، وإرخاءُ ذيلٍ طويلٍ يُحْمَلُ خلْفَ الزوجة ليلةَ زَفَافِها تَشَبُّهٌ بغير المسلِمين؛ حرامٌ عليها فعْلُه.

والمَعَازفُ والغناءُ لا تُدْنِي من الرَّبِّ، ومِنْ أسبابِ قسوة القلب، حِجابٌ كثيفٌ عن الرَّحْمَن، وما يَفعلُه بعض النَّاسِ من المَعَازفِ ليلةَ النِّكاحِ جُحُودٌ لنعمةِ اللَّه وعِصْيانٌ له، ومِنَ السَّرَفِ: اسْتِئْجَارُ عَازفةٍ للغناءِ لعصيانِ ربِّ العالمين في دُجَى السَّحَر - زَمَنِ نزولِ العظيم جلَّ جلالُه إلى السَّماء الدُّنيا - والعُبَّادُ في محاريبهم.

والمسلِمُ حرامٌ عليه حضورُ مناسبةٍ فيها منكَرٌ، قال الأوزاعي: «لَا تَدْخُلْ وَلِيمَةً فِيهَا طَبْلٌ وَمَعَازِفُ»، وفي أحكام الإسلام غُنْيةٌ عن الحرام، ودينُنا أباح ضَرْبَ الدُّفِّ للنِّساء خاصّةً، بكلامٍ لا محذور فيه.

والتَّصويرُ من كبائر الذُّنوب موجِبٌ لِلَّعْنةِ والغضب؛ فالنَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام «لَعَنَ المُصَوِّرَ» (رواه البخاري)، والمُصوِّرُ أشدُّ الخلْقِ عذاباً؛ قال عليه الصلاة والسلام: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ: المُصَوِّرُونَ» (متفق عليه)، وتصويرُ النِّساءِ يَجْنِي مفاسدَ وخيمةً، وقد تَسْرِي صورُ النِّساء إلى غيرِ المَحارم من الرِّجال؛ فتَنْهَارُ بذلك بُيُوتٌ، والأبُ اللَّبِيبُ مَنْ يَمْنَعُ زوجتَه وبناتِه من وُرُودِ أَمَاكنِ التَّصوير.

والعدلُ في المَأْكَلِ والمَشْرَبِ وعدمُ البَذَخِ فيه؛ دأبُ الفضلاء وسُنَّةُ خيرِ البشر؛ تَصِفُ صفيَّةُ بنتُ شَيْبَةَ رضي الله عنها وَلِيمَتَه بقولِها: «أَوْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ بِمُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ» (رواه البخاري)، ومِن مُجانَبةِ الصَّوابِ: أن تكونَ مُبَذِّراً في الزَّواجِ، شَحِيحاً في البذلِ في أَوْجُهِ الخيرات، وتَكْرَارُ ولائمِ مناسباتِ النِّكاحِ في ظاهرها أفراحٌ، وفي حقيقتها على الزَّوج أَتْرَاحٌ؛ للخِطبة وليمةٌ، وفي يوم إلباس المخطوبة خاتماً من قِبَلِ خاطبِها مَأْدُبةٌ - ووضعه في يدها مُحرَّمٌ -، ولليلةِ عقْدِ النِّكاح دعوةٌ، وفي ليلةِ الزِّفافِ مآكلُ ومشاربُ متنوعةٌ، كلُّ ذلك إرهاقٌ لِمُؤْنة الزَّوج. هل مَنْ يسعى لِبناءِ بيتِ زوجيَّةٍ محاطٍ بالسِّتر والعفاف تُسْتَنزفُ أموالُه؟! أم تُخفَّفُ عنه الأعباءُ لإضافة لَبِنةٍ صالحةٍ في المجتمع؟

إنَّ الاكتفاءَ بوليمةٍ واحدةٍ ليلةَ الزَّفاف؛ أَحبُّ للزَّوجينِ وأَسْلَمُ وأكْملُ وأوفَق، واللَّهُ عز وجل جعلَ اللَّيلَ لباساً والنَّومَ سُباتاً، والنَّبيُّ ﷺ «كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا» (متفق عليه)، ولحظاتُ الفرحِ يُظهَرُ التَّعبيرُ عنها من غيرِ سَهَرٍ فاحشٍ، وإعلانُ النِّكاحِ لا حاجةَ إلى امتداده إلى السَّحَر، وساعاتٌ في أَوَّل اللَّيل غُنْيَةٌ عن جميعه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فمَنْ أَسَّسَ بنيانَه على التَّقوى أَزْهَى وأَرْبَى، ومَنْ أَحاطَه بالمُحرَّمات أَذِنَ بحلولِ الشَّقاء، والزَّوجانِ يَكْتَوِيَانِ بِلَظَى العصيانِ ليلةَ زفافِهما، يقولُ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه الله: «إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَرَى ذَلِكَ

فِي خُلُقِ امْرَأَتِي وَدَابَّتِي»، والمرأةُ الحاذقةُ لا تُزَلْزِلُ بيتَها بمعصيةِ اللَّهِ أوَّلَ ليلتِها؛ فالذُّنوبُ تُعَسِّرُ الأمورَ، وتُوحِشُ القلبَ بينَ الزَّوجين، وكلَّما كان الزَّواجُ أقربَ إلى الصَّواب؛ كان أَحْرَى بالتَّوفيق، وجملةُ المخالفاتِ في النِّكاحِ داعيها عُقْدَةُ الشُّعورِ بالعجز والنَّقص، وبعضُ النَّاسِ قد لا يُدرِكُ حقيقةَ النِّكاح؛ فيَظُنُّ أنَّ مِنْ مُستلزماته البَذَخَ والتَّفنُّنَ في المآكل، والتَّباهي في الملابس، وليس الأمرُ كذلك! بل النِّكاحُ عَقْدٌ مُوَثَّقٌ غَلِيظٌ بين زوجين، لا يُشابُ بخطيئةٍ، ولا يُعَرَّض للانهيار بمعصيةٍ.

وعلى الآباء أن لا يُرْخُوا العَنَان للنِّسَاءِ بارتكابِ المعاصي بما يزيدُ النِّكاحَ عقباتٍ، والمرأةُ مستضعفةٌ إن لم تُؤْخَذْ بيدِ وليِّها جَنَحَتْ مع نفْسِها بِهَوَاهَا، وعلى النِّساء الإِذْعَانُ لأوامرِ اللَّهِ وعدمُ الوقوعِ في المُحرَّمات، وعلى المرأةِ أن تَشْتَغلَ بمعالي الأمورِ، بإصلاحِ قلبِها في طاعة ربِّها، فمَوْطِنُهَا أُمٌّ وراعِيةُ أُسْرةٍ ومُوَجِّهةٌ؛ ينبغي أن تُعْلِيَ مِنْ فِكْرِهَا، وتَرْقَى باهتماماتها، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الإسلامُ هو مَنْبَعُ الحضارةِ والسُّؤدد، التَّمسُّكُ به يُثْمِرُ الرُّقِيَّ والتَّقدُّم، يَبْنِي الأُمَم ويُنَشِّئُ الأجيالَ بأمثل السُّبل، يَسَّرَ مسالكَ النِّكاح ودروبَ المَودَّة بزواجٍ سعيدٍ يُبهِجُ الزَّوجين وأهلَهُما، ويَسُرُّ المجتمع.

يَخْتَارُ الزَّوجُ امرأةً ذات دينٍ، وخُلُقٍ راقٍ، وأدبٍ رفيعٍ، وإذا تَقَدَّمَ خاطبٌ كُفْءٌ مُتَّسِمٌ بالدِّينِ والخُلُقِ لم يُردّ، وبعدَ استشارةٍ لذوي النُّهَى واستخارةٍ وعزمٍ على الاختيار يرى الخاطبُ مخطوبتَه بحضورِ مَحْرَمِها، ومع انشراحِ صدرٍ وتَوَكُّلٍ يُعقَدُ النِّكاح، وفي ليلةِ الزَّفاف فَرَحٌ معتَدِلٌ - لا مُبَاهَاة فيه ولا مُفَاخَرَة -، يُعْلَنُ فيه النِّكاح ويُدْعَى إليه، ويُصْنَعُ طعامٌ بِقَدْرِهم - لا إسراف فيه ولا تبذير -، وتُزَفُّ المرأةُ إلى زوجِها.

والمرأةُ الواعيةُ ذاتُ العقلِ الرَّاجحِ والرُّوحِ السَّامية تَسْعَى إلى مَنْعِ المُحرَّم في زواجِها؛ لعِلْمِهَا أنَّ المعصيةَ لها أَثَرٌ على حياتها مع زوجها.

والإسلامُ يسَّر النِّكاحَ، وسهَّل أبوابَه على الشَّباب؛ فنَبيُّ اللَّهِ ﷺ تزوَّج صفيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ رضي الله عنها وهو في سَفَرٍ، يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: «حَتَّى إِذَا

كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوساً» (متفق عليه).

ومِنْ قبائحِ الصَّنائع: تَأْخِيرُ الأبِ تَزْوِيجَ ابنتِه مع تَقَدُّمِ الكُفْءِ لها، أو حَجْرِهَا على ابن عمِّها.

واعلم - أيُّها الأب - أنَّ ابنتَك مُسْتَضْعَفَةٌ في دارِك، منَعَهَا حياؤُها من إِبْدَاءِ مَكْنُونِ نفْسِها، تُصْبح أسيفةً، وتُمسي حزينةً، تتألم من دخول بوابة العنوسة، والمرأة زهرةٌ، لها زمنٌ قصيرٌ، ثم تَذْبُل، ومن الهَدْي القويم تزويجُها في سنٍّ مُبَكِّر، ولا غضاضة في عرْض الرَّجل ابنته أو أخته على الرَّجل الصَّالح، وهذا من تمام الرِّعاية والقيام بالولاية، وقد عَرَضَ عمرُ الفاروقُ رضي الله عنه ابنتَه حفصةَ رضي الله عنها على عُثْمَانَ رضي الله عنه فردَّها وما غضب، فعرضها على أبي بكرٍ رضي الله عنه فردَّها وما أَيِسَ، فعَرضها على النَّبيِّ ﷺ فتزوَّجها (رواه البخاري).

ومنْعُ الآباءِ الخاطبَ ذا الدِّينِ والخُلُق؛ مخالفٌ لأمر الشَّريعة؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا جَاءَكُم مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ؛ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ**» (رواه الترمذي).

فالرَّشَدُ في اتِّباع الهُدى، واللَّبِيبُ مَنْ رجا السَّعادةَ من أبواب الطَّاعة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

أَسْرَارُ زَوْجِيَّةٌ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه علا، ومَنْ أَعرضَ عنه غَوَى.

أيُّها المسلمون:

الأسرةُ أساسُ المُجْتَمع، منها تَفترقُ الأُمَمُ وتَنْتَشِرُ الشُّعوب، نواةُ بنائها الزَّوْجان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، والأسرةُ هي المأوى الذي هيَّأه اللَّه للبشرِ يَستَقِرُّون فيه، ويَسكنون إليه، في الزَّواج إعمارُ الكونِ، وسكنُ النَّفس، ومتاعُ الحياة، بقيامه تنتظمُ الحياة، ويَتحققُ العفافُ والإحصان، يَجمعُ اللَّهُ بالنِّكاح الأرحامَ المتباعدة والأنسابَ المُتفرِّقة، وَعد اللَّهُ فيه بالغِنَى،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر جمادى الأولى، سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والسَّعة في الرِّزق، ولا خُلْف لوعد اللَّه: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وفي اختيار لَبنةِ النِّكاح تتَّسعُ الآفاق؛ فيَقْرُبُ البعيد، ويُبَرُّ القريب، وهموم الزَّوجين عديدةٌ ومتشعِّبةٌ، ولكن حُسنُ العِشْرَة وطيبُ المَودَّةِ يُبدِّدُها: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وفي الأسرة عتابٌ ومودَّةٌ، سخطٌ ورضاً، والرَّجُل يَرفعُه الأدبُ، ويُزكِّيه العقل، يَضَعُ من المودَّة أعلاها، ومن المحبَّة أسماها، يَعفُو عن الخطأ، ويَتجاوزُ عن الزَّلل، والمرأةُ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ أعوجٍ، وبمُدَارَاتِهَا والصَّبرِ على ما يَكرهُه منها تَسْتَقِيمُ الأمور؛ يقول ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً» (متفق عليه)، ومَنْ كَرُم أصلُه لَانَ قلبُه، وزوجتُك هي حاملةُ أولادِك، وراعيةُ أموالِك، وحافظةُ أسرارِك، اخْفِضِ الجناحَ معها، وأظهرِ البشاشةَ لها؛ فالابتسامةُ تُحْيِي النُّفوسَ، وتَمْحُو ضَغَائنَ الصُّدور.

والثَّناءُ على الزَّوجات في المَلْبَسِ والمأكلِ والزِّينة؛ جاذبٌ لأفئدتهنَّ، وقد أباح الإسلامُ الكذب مع الزَّوجة؛ لزيادةِ المَودَّةِ لها، والهَديَّةُ بين الزَّوجينِ مفتاحٌ للقلوب، تُنْبِئُ عن مَحبَّةٍ وسرورٍ، والتَّبسُّطُ معها، ونبْذُ الغموض والكبرياء من سِيمَا الحياة السَّعيدة، يقولُ

عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِي أَهْلِهِ كَالصَّبِيِّ - أَيْ: فِي الأُنْسِ وَالسُّهُولَةِ -، فَإِنْ كَانَ فِي القَوْمِ كَانَ رَجُلاً».

وكُنْ زوجاً مُسْتَقِيماً في حياتك؛ تَكُنْ هي - بإذن اللّه - أَقْوَمَ، ولا تَمُدَّنَّ عينيكَ إلى ما لا يحلُّ لك، فالمعصيةُ شُؤْمٌ في بيتِ الزَّوجيَّة، وإطلاقُ الزَّوجِ بصرَه في الحرام يُقَبِّح جمالَ الزَّوجةِ عند زوجها، ويُنْقِصُ قدْرَ زوجِها عندها؛ فتتباعدُ القلوب، وتَنقُصُ المَحبَّة، وتَضْمَحلُّ المَودَّة، ويَبْدَأُ الشِّقاق، ولا أَسْلمَ من الخَلاصِ منها.

وكُنْ لزوجتِك كما تُحِبُّ أن تكونَ هي لك في كلِّ ميادين الحياة، فإنَّها تحبُّ منك كما تحبُّ منها، يقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي».

واستَمعْ إلى نَقْدِ زوجتِك بِصَدْرٍ رَحْبٍ وبشاشةِ خُلُقٍ؛ فقد كان نساءُ النَّبيِّ ﷺ يُرَاجِعْنَهُ في الرَّأيِ فلا يَغْضَبُ منهنَّ، ومِن علوِّ النَّفْسِ أن لا يأخذَ الزَّوجُ من مالِ زوجته شيئاً إلَّا برضاها؛ فمالُهَا مِلْكٌ لها، وأَحْسِنْ إليها بالنَّفقة بالمعروف، ولا تَبْخَلْ عليها.

وتَذكَّرْ أنَّ زوجتَك تَوَدُّ الحديثَ معك في جميعِ شؤونِها؛ فأَرْعِ لها سمعَك؛ فهذا من كمال الأدب، ولا تَعُدْ إلى دارِكَ كَالِحَ الوجهِ عَابِسَ المُحيَّا؛ فأولادُك بحاجةٍ إلى عطْفِكَ وقُربك وحديثِك، وأَلِنْ لهم جانبَك، وانْشُرْ بين أيديهم أُبوَّتك، ودَعْهُم يَفْرَحُون بتوجيهِك وحُسنِ إنصاتِك؛ فقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا رأى ابنتَهُ فاطمةَ قال لها: «مَرْحَباً بِابْنَتِي! ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ: عَنْ شِمَالِهِ -» (متفق عليه).

الحُنُوُّ على أهل البيت شموخٌ في الرُّجولة؛ يقولُ البراءُ ﵁: «دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ - ابْنَتُهُ - مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَرَأَيْتُ أَبَاهَا فَقَبَّلَ خَدَّهَا - وَكَانَتْ صَغِيرَةً آنَذَاكَ -، وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟» (رواه البخاري).

والقيامُ بأعباءِ المَنْزِلِ من شِيَمِ الأوفياء؛ سُئِلَت عائشةُ ﵂: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَشَراً مِنَ البَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ» (رواه أحمد).

والكَرَمُ في النَّفقةِ على أهلِ بيتِك أفضلُ البذْل، ولا يَطْغَى بَقَاؤُك عند أصحابك على حقوقِ أولادك؛ فأهلُك أحقُّ بك، ولا تُذكِّرْ زوجتَك بعيوبٍ بدَرَتْ منها، ولا تَلْمزْهَا بتلك الزَّلَّات والمَعَايِب، وَأَخْفِ مشاكل الزَّوجين عن الأبناء؛ ففي إظهارِها تأثيرٌ على التَّربية واحترامِ الوالدين.

والغضبُ أساسُ الشَّحْناء، وما بيْنَك وبيْن زوجتِك أَسْمَى أن تُدنِّسَه لحظةُ غضبٍ عارمةٍ، وآثِرِ السُّكوتَ على سخْطِ المقال، والعَفْوُ عن الزَّلَّاتِ أقربُ إلى العقلِ والتَّقوى، يقولُ عمرُ بنُ الخطَّابِ ﵁: «النِّسَاءُ عَوْرَةٌ؛ فَاسْتُرُوهُنَّ بِالبُيُوتِ، وَدَاوُوا ضَعْفَهُنَّ بِالسُّكُوتِ».

إنَّ حقَّ الزَّوجةِ على الزَّوج عظيمٌ، أُسِرَت بالعقود، وأُوثِقَت بالعهود، الزَّوجاتُ يُكْرِمُهنَّ الكريم، ويُعْلِي شأْنهنَّ العظيم؛ تقول عائشة ﵂: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَ خَدِيجَةَ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ

يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ» (رواه البخاري).

والزَّوجةُ الحاذقةُ تَجعلُ قلبَها لزوجها سَكَناً، وتَجعلُ في نفْسها له طُمأنينةً، وفي حديثها معه ابتهاجاً وزينةً، تَصْحَبُه بالقناعة، وطيبِ المعاشرة بحسنِ السَّمع والطَّاعة في غير معصيةٍ، تَعترفُ بجميل الزَّوج وفضْله، وتقومُ بحقوقه، تؤمنُ بعلوِّ منزلتِه وعظيم مكانته؛ يقول ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِرُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ؛ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» (رواه أحمد)، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ عَلَى المَرْأَةِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْجَبُ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ».

المرأةُ الصَّالحةُ إنْ رَأَتْ زوجَها جَنَحَ؛ ذكَّرَتْه باللَّه، وإنْ رَأَتْهُ يَكْدَح للفانية؛ ذكَّرَتْه بالآخرة الباقية، تُعينُه على نوائب الدَّهر، لا تُفْشِي له سرّاً، ولا تَعْصِي له أمراً في غير معصية اللَّه، تعينُ زوجَها على برِّ والديه؛ فمِنْ تحتِ يديهما نشأ، وعلى أنظارِهما ترعرع، تَطلبُ رضا ربِّها برضا زوجها، لا تَتَبَّعُ هفواتِه، ولا تُظْهِرُ زَلَّاتِه، حافظةً له في الغيب والشَّهادة، إنْ حَضر أكرمَتْهُ، وإنْ غاب صانَتْهُ، لا تُشْطِطُ على زوجها في النَّفقة، همُّها طاعةُ ربِّها برضا زوجِها، وتنشئةُ أولادِها على الصلاحِ والاستقامة، لا تَرفعُ عليه صوتاً، ولا تُخالفُ له رأْياً، بَشَّرَ النَّبيُّ ﷺ خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببيتٍ في الجنَّة من قَصَبِ اللُّؤْلُؤِ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ؛ قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْفَعْ صَوْتَهَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ، وَلَمْ تُتْعِبْهُ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ، فَلَمْ تَصْخَبْ

عَلَيْهِ يَوْماً وَلَا آذَتْهُ أَبَداً»، وقد أَوْصَتْ حَكِيمةٌ من العرب ابنتَها عند زواجِها بقولها: «يَا بُنَيَّةُ! إِنَّكِ لَنْ تَصِلِي إِلَى مَا تُحِبِّينَ مِنْهُ حَتَّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكِ، وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكِ فِيمَا أَحْبَبْتِ وَكَرِهْتِ».

والعِفَّةُ مِحْوَرُ الحياةِ الكريمة، وزينةُ الزَّوجةِ قَرارُها في دارها؛ تقول فاطمةُ ﵂: «خَيْرٌ لِلْمَرْأَةِ أَنْ لَا تَرَى الرِّجَالَ وَأَنْ لَا يَرَاهَا الرِّجَالُ».

ذاتُ الدِّينِ مطيعةٌ لربِّها ثم لزوجها، لا تتعالى عليه، ولا تَتَمَرَّدُ على قِوامته، ولا تسعى إلى منازعته؛ تراها ساعيةً في راحة زوجها، قائمةً على خِدمته، راغبةً في رضاه، حافظةً لنفْسها، يَدُها في يد زوجها، لا تنامُ إذا غَضب عليها زوجُها حتى يرضى؛ كلُّ ذلك لِيقينِها بأنَّ فوزَها بالجَنَّة معلَّقٌ بطاعة زوجِها، مع قيامِها بما فرض اللَّه عليها.

أيُّها المسلمون:

النِّعمةُ لا تُشْكَرُ بالخطيئة، وليلةُ زَفافِ الزَّوجة إلى زوجِها مِنْ آلَاءِ اللَّه العظيمة، والابتهاجُ بها لا يكونُ بِنَزْعِ الحياءِ فيها، فَيَحْرُمُ على النِّساءِ المَلْبَسُ المُتعرِّي ليلةَ النِّكاح - ولو بين النِّساء؛ لِمَا فيه من الفِتْنَةِ ومجانبةِ السِّتر والعِفَّة -.

والمرأةُ مُسْتضعَفةٌ؛ إن لم تُؤْخذْ بيد وليِّها جَنحَت مع نفْسها بهواها، والغناء والمعازف في ليالي الأفراح وغيرها محرَّمةٌ، وضَرْبُ الدُّفِّ عند النِّكاحِ مباحٌ في الإسلام للنِّساء، وفيه غُنْيَةٌ عن الحَرَام من المَعَازِفِ والغِنَاء، والتَّصويرُ من كبائرِ الذُّنوب؛ متوعَّدٌ صاحبه باللَّعْنة

وَوُلُوج النَّار، يقول ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ» (رواه مسلم)، وقد تَسْرِي صُوَرُ النِّساءِ إلى غيرِ المَحَارِمِ من الرِّجال؛ فَتَنْهار بذلك بيوت، وقد أفتى أهلُ العِلم بحرمةِ إجابةِ دعوةٍ فيها مُنْكَرٌ لا قُدْرةَ على تغييره.

وإنَّ التَّبذيرَ والمَخِيلَةَ في الاحتفالات أَثَرَةٌ على الزَّوج ورَكْضَةٌ من الشَّيطان، ولو جُمع ما بُذِخَ من المال للزوج لبناء مسكنٍ له أو قضاء دَيْنه لكان خيراً.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

وفي النِّساء فِئةٌ أَخْرَسَ الحياءُ لسانَها عن الشَّكوى، صرخاتُها مكتومةٌ في أعماقِ جُرُوحِ قلبِها، تَعِيشُ صِرَاعاً نَفْسيّاً في مُجْتَمَعِهَا، تَبِيتُ مع القَلَقِ والحُزْن، يُؤَرِّقُها الهَمُّ والفِكْر، أيَّامُها غاليةٌ، وشهورُها أغلى، كلُّ يومٍ تَغْرُبُ فيه الشَّمسُ تَتَبَدَّدُ أحلامُها بحياةٍ سعيدةٍ، وتتألَّمُ خوفاً من دخول بوابة العُنوسة، لم تَنْعَمْ بالأمومة والزَّوجيَّة، بَدَّدت حياتها بشروطٍ وهميَّةٍ في اختيار زوجها، وأخرى آثَرَتِ التَّعليمَ على بناءِ الأسرة؛ فَفُجِئَتْ بإعراض الأزواجِ عنها؛ لِتَقَدُّمِ سِنِّها، وما قيمةُ الشَّهادةِ مع الحِرْمَانِ من الزَّوج والأبناء؟!

وفي الآباء مَنْ ظَلَمَ ابنَتَه وأذاقَها أَلَماً وحسرةً بتأخير زواجها؛ جَشَعاً في وظيفتِها ومالِها، ومنهم مَنْ ظَلَمَهَا بتزويجِها ابن عمِّها قَسْراً؛ جَرْياً وراءَ التَّقاليدِ والأعرافِ المخالِفة للشَّرع.

والزَّواجُ المُبكِّرُ إغلاقٌ لتلك البوابة الحَزِينَة، وقد تزوَّج النَّبيُّ ﷺ عائشةَ رضي الله عنها وهي تَلعبُ في أُرْجُوحةٍ لها وهي بنتُ تسعِ سنين، وصِغَرُ

سنِّها لم يَحْجُزْها عن الزَّواج بأعظم الرِّجال، وتَحَمُّل مَهامِّ بيتِ النُّبوَّة وواجباتِه وحقوقه؛ بل كانت تلك الصَّغيرة هي أحبُّ نسائِه إليه ﷺ، فَلْنَتَّخِذْ مِنْ شريعتِنا واقعاً لنا؛ لِيَسْعدَ الفِتيانُ والفتياتُ بزواجهم في سنٍّ مبكِّرةٍ، ونُيَسِّرُ أموره؛ لِيَنْهضَ المجتمعُ ويَسْلَمَ من الانحراف، ومع بُزُوغِ الفِتَنِ وتَجَدُّدِها يكونُ الأمرُ أَلْزَمَ والحُكْمُ آكدَ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

تَرْبِيَةُ الأَبْنَاءِ(١)

الحمد للَّه الذي يُبْدِئُ ويُعِيد، أَجْزَلَ علينا النِّعَمَ وهو الوَلِيُّ الحَمِيد، لا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَّ ولا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَى، سبحانه هو الفَعَّالُ لِمَا يُرِيد.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الحَمْدُ في الآخرة والأُولَى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّفِيُّ المصطفى والخليلُ المُجْتَبى، صلَّى اللَّه وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أُولي الفضلِ والنُّهى، والتَّابعين ومَنْ تَبِعَهُم وسار على نهجهم واهتدى.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه -؛ فإنَّ أَوْثَقَ العُرَى تَقْوَى اللَّه، وهي وَصيَّةُ اللَّهِ للأوَّلين والآخرين، وطريقُ النَّجاةِ يومَ الدِّين.

أيُّها المسلمون:

إنَّ دينَ الإسلامِ يَبْنِي مُجْتَمَعاً قويّاً، سليماً من الانحرافاتِ في العقيدة ومن الآفاتِ في العبادة، يَهدِفُ إلى رضوانِ اللَّه وتحقيقِ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

العُبوديَّة له، وفي هذا المجتمع تُشكِّلُ الأسرةُ المَنبَعَ الأوَّلَ والمنبتَ الرَّويّ، وفي ظِلِّها تلتقي النُّفوسُ على المَودَّةِ والرَّحْمَة، والتَّعاطفِ والمَحبَّة، ومن سِماتها تأخذُ النَّاشئةُ طابَعَها وسلوكَها.

وإنَّ أبناءَ الأسرة هم رُوحُها المُتَوَثِّب، ودمُها المتدَفِّق، وهم في المجتمع قلبُه النَّابض وعَزْمُه القويّ، على أكتافهم تقعُ المَسؤُوليَّة، وبسواعدهم يقومُ الدِّين، وبعزائمهم يَنتشرُ الإسلام، منهجٌ قويمٌ وصراطٌ مستقيمٌ، وتشريعٌ كاملٌ للإنسان - صغيرِه وكبيرِه، ذَكَرِه وأُنثاه -، يَحفظ حقوقَه، ويرعى شؤونه مِن مَبدئِه إلى منتهاه، ويُحقِّقُ له السَّعادة، ويُبْعِدُ عنه أنواعَ الشَّقاء؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

أيُّها المسلمون:

الأبناءُ ثِمارُ القلوب وعِمَادُ الخُطُوبِ - بإذن اللَّه -، يُنشِئُونَ في الأُسْرَةِ جوّاً من المَرَحِ والحُبُور، ويُوثِّقُونَ المَودَّةَ والرَّحمةَ بين الزَّوْجَيْن، يُقدِّمون لوالديهم بِرّاً وإحساناً، ويُخْلِفُون مَجْداً وذِكْراً، إنَّهم فَرْحَةٌ وبَهْجَة، الحديثُ عنهم في القرآنِ يَفيضُ بالمَودَّةِ والرِّقَّةِ والسَّعادةِ وقُرَّةِ العَيْن، لقد أَقْسَمَ اللَّهُ بالأُبوَّةِ والأولاد جميعاً: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، هم قُرَّة عيونِ الآباءِ والأمَّهات: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، إنَّهم في القرآن بُشْرَى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾، ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، وهم هبةٌ من اللَّه ونِعمةٌ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

وإنَّ هذه البُشْرَى والنِّعمةَ علينا أن نُقَدِّر قدرَها بشُكرِ واهبِها ومُنْعِمِها، وبالاجتهادِ في صلاحِها وإصلاحها، الذُّرِّيَّة في بُكُورِ حياتهم ديوانٌ مفتوحٌ، وسِجِلٌّ أبيض؛ يَتَلَقَّى ما يَرِدُ عليه من حوادثَ وأحداثٍ، وانطباعاتٍ وخَلَجَاتٍ تَرْتَسِمُ في الذَّاكرة، وتَسْتَقِرُّ في المُخيَّلَة، أرضٌ تَسْتَنْبِتُ أيَّ غراسٍ من صحيحِ العقائدِ وفاسِدِها، ومكارمِ الأخلاق ومساوئها، ومحاسنِ الصِّفاتِ وسَيِّئِها.

همُ الوسيلةُ النَّاقلةُ لتراثِ الأُمَّة، ومَعقِدُ الآمالِ ومَنَاطُ الرَّجاء، فما أشدَّ حاجةَ الأُمَّةِ إلى ناشئةٍ صالحةٍ، وأبناء ذوي عقيدةٍ صافيةٍ وخُلُقٍ قويمٍ؛ يَتمتَّعون بوعيٍ ناضجٍ، وفهمٍ ثاقبٍ، ونظرٍ بعيدٍ، وَوَازِعٍ من الدِّين سديدٍ.

لقد شرع اللَّهُ في الإسلام ما يَكفلُ حقوقَ الأولادِ كاملةً منذُ تكوينِهم وتَخلُّقِهم في بطونِ أمَّهاتِهم، ورعى هذه النَّبتَةَ وحرَّمَ إسقاطَها وإجهاضَها، وجَعل على مَنْ تعدَّى في ذلك عقوبةً وجزاءً، ألزم الإنفاقَ على الحاملِ والمرضعِ والإحسانَ إليهما.

لهم الحقُّ في الاسمِ الحَسن، يُسَرُّون به حين يُدعون بيْن أقرانهم، وللاسم أثرٌ على المسمَّى، واسمُه مرتبطٌ به وبأبنائِه وأحفادِه مِن بَعده، هو للمولودِ زينةٌ ووعاءٌ وشعارٌ يُدعى به في الآخرة والأُولى، وتُذبحُ للمولودِ عقيقةٌ، إتِّباعاً لِسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، وإنَّ مقصودَ الحضانة حُسنُ الرعاية، ودقَّةُ العناية، وصدقُ الاهتمامِ بشؤون الولدِ المحضون: ﴿هَل

أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾، بل لقد نَهى عن قتلِ الوليدِ مِن ذَرَارِي العدوِّ في الغزو.

ولن يَسعدَ الأبناءُ إلَّا في ظلِّ الإسلام وأحكامِه؛ فقد أَعْطى النَّشْءَ حقوقَه باعتبارِه بدايةَ الرُّجولة وأساسَها الذي إذا صَلَح صَلَحتْ، وإذا فَسدَ فسدتْ، وإذا قَوِيَ استقامتْ، وإذا ضَعُفَ انحرفتْ، وخصَّ من أولئك اليَتَامَى الذين حُرِمُوا رعايةَ الآباءِ واهتمامَهم بتربيتِهم، فقد حَفظ حقوقَهم ونَهَى أشدَّ النَّهيِ عن أكلِ أموالِهم بغير حقٍّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

أيُّها المسلمون:

زينةُ الحياةِ الدُّنيا الأبناءُ الصَّالحون، النَّاشِئُون في طاعةِ ربِّهم، الذين لا تكاد تُعرفُ لهم نزوةٌ، ولا تُعْهد منهم هفوةٌ، والذين يَستبقون في ميادينِ الصَّالحات، ويُسارِعُون في الخيرات، هؤلاء هم الذين يَتطلَّعُ إليهم كلُّ أبٍ صالحٍ، يَرْغَبُ أن تقرَّ عينُه بصلاحِ ذريتِه؛ لذا على الآباء أنْ يَهتمُّوا بتربيةِ الأَبناء، وإلباسِهم لباسَ الإيمانِ، وتَحصينِهم بدروعِ التَّقوى.

إنَّ العنايةَ بالنشْءِ مسلكُ الأخيار، وطريقُ الأبرار، ولا تَفْسُدُ الأُمَّةُ ولا تَهْلِكُ إلَّا حين تفسُد أجيالُها، ولا يَنالُ الأعداءُ منها إلَّا إذا نالوا من شبابِها وصغارِها.

إنَّ صلاحَ الذُّرِّيَّةِ محلُّ اهتمامِ الأنبياءِ والمرسلين قبْل وجودِهم

وبعد مجيئهم؛ فمِن دعاءِ زكريَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، وخليلُ الرَّحمنِ عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

والصَّالحُ مِنْ عبادِ اللَّه يَبْتَهِلُ إلى اللَّه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾، من الأبناء يَنْشَأُ العلماءُ العاملون، والدُّعاةُ المُصلِحون، والعبَّادُ القانتون، والزُّهَّادُ الورِعُون، وأصحابُ المَهارَاتِ والقدراتِ المبدعون.

إذا صَلَح الأبناءُ قَرَّت بهم عُيونُ آبائِهم وأُمَّهاتِهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، وجمعَ اللَّهُ الوالدَ وما ولد في دارِ كرامته: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

لقد أَسْدَى النَّبيُّ ﷺ توجيهاً رَشِيداً إلى كلِّ ناشئٍ مسلِمٍ في شخصِ ابنِ عمِّه عبدِ اللَّه بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما حين قال له: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» (رواه الترمذي).

العقيدةُ ورسوخُ الإيمانِ وصدقُ التَّعلُّقِ باللَّه والاعتمادِ عليه أوَّلُ لَبنَةٍ في بناء الأبناء؛ حِفْظُ اللَّه بحفظِ حقوقِه وحدودِه، والتَّوجُّهِ إليه في الدُّعاء وحْده، والتَّوكُّلِ عليه، وإنَّ الذُّرِّيَّةَ بحاجةٍ إلى التَّربيةِ على المعرفةِ بالعزائمِ من الأمور، والعالي من الهمم: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

على الآباء أن يُعلِّموا أبناءَهم من العِلمِ ما يقودُهم إلى حُسنِ العمل، وَلْيَحذروا الوقوفَ عند حدودِ الأماني، والاقتصارَ على المقترحات المجرَّدة؛ فذلك مميتٌ للجهدِ والوقت، والمعنى الجامعُ لذلكَ كلِّه: أنْ يَسْعَى الوالدُ في جَلْبِ ما يَنْفَعُهم، ودفْعِ ما يَضرُّهم عاجلاً وآجلاً، وخيرُ الآباءِ للأبناء مَن لم يقعْ منه تقصيرٌ في حقوقٍ يَبعثُ على العقوق.

ومَنْ أدَّبَ ولدَه على الاستقامةِ صغيراً سَرَّه كبيراً؛ فأَطْوَعُ الطِّينِ ما كان رَطْباً، وأَلْيَنُ العُودِ ما كان غضّاً؛ حُسْنُ مَنْشَئِهم مُرْتَبِطٌ باستمساكِ والدَيْهم بدينِهم؛ فكلَّما استقامَ الوالدان؛ كان الأبناءُ بمنجاةٍ من عوامل الضَّياعِ وأسبابِ الضَّلال.

وللأمِّ الصَّالحةِ النَّقيَّةِ صُوَرٌ مُثْلَى مع التَّربية، لقد كان للإمامِ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ أُمٌّ تُوقظُه في الثُّلُثِ الأخيرِ من اللَّيل، وتُدْفِئُ له الماءَ، ثمَّ يصلِّي، فإذا أُذِّن الفجر؛ أَخذَتْ بيدِه وسَارَتْ معه حتى تُدْخِلَه المسجد، ثمَّ تَجْثُو عند عَتَبَةِ المسجد تَنْتَظِرُ صغيرَها حتَّى يَنْتَهِيَ من الصَّلاة، فإذا انتهى من الصَّلاةِ أَخذَتْهُ بيدِه، وأَرْجَعَتْهُ إلى بيتِها.

فعودةٌ بالتَّربيةِ إلى منبعِها الأصيل، ومصدرِها الوثيق الَّذي نَزل به الوحيُ من ربِّ الأرضِ والسَّماء، والمُقتبَسِ من وحيِ المصطفى ﷺ، والَّذي أضاء الكونَ بآفاقِه وأعماقِه؛ فبذا تصحُّ الدِّيانة، وتنصَعُ العقول، وتستنيرُ البصائر، وتكتملُ المروءة.

أيُّها المسلمون:

وإذا لم يَحصلْ بين الزَّوجين وِفاقٌ وقُدِّر بينهما فراقٌ؛ فعليهما بتقوى اللَّهِ وإعانةِ الأبناءِ على الخير، وَلْيُوصِ كلُّ واحدٍ منهما الأولادَ ببِرِّ الآخر، ولزومِ الصَّلاحِ والتَّقوى، وربْطِهم بسيرةِ السَّلف الصَّالحِ في الاقتداء والاهتداء؛ فالوالدانِ في عبادةٍ للَّه ﷻ حين يُربِّيان أولادَهما على الصَّلاحِ، وهما مأجوران على كلِّ ما يبذلانِه من الإنفاق والسَّهَر، والمتابعةِ والتَّعليم، وإدخالِ السُّرور عليهم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجراً: الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**» (رواه مسلم).

أيُّها الابن:

أمَلُ والدَيْك: أنْ تكونَ ممَّن سِيَرُهُم فاضلةٌ، وأخلاقُهم ساميةٌ، مع صحَّةِ الاستقامةِ، والبعدِ عن مُحقَّراتِ الأعمال، ورذائلِ المهالِك، وأن لا تَقَعَ فريسةً للانحراف، أو أَسِيراً للمَلَذَّات والشَّهَوات، أو مطيةً للجهل والهوى، فلا تُضَيِّعْ أملَكَ وأَمَلَهُم فيكَ أمامَ لحظةٍ من شهوةٍ، أو ساعةٍ من غفلةٍ.

وعليك بانتقاءِ الأصحاب في المخالطةِ والمُؤَانَسَة؛ فالنَّفسُ إن تُرِكَتْ وهواها؛ ضَلَّتْ وأضلَّت، وإن هُذِّبَتْ؛ اكْتَسَبَتْ حُسْنَ الاستقامةِ، ولُطْفَ الشَّمائلِ، وجميلَ الأخلاق.

ومَنْ لم يَضبطْ نفْسَه عن الإهمالِ في المَلاذِّ والرُّكونِ إلى المشتهيات؛ فقد دخل في الغفلةِ، وأضاعَ نفسَه، وقَتَل أملَ غيرِه.

أيُّها المسلمون:

إذا تدرَّعَتِ النَّفْسُ بالصَّبر فإنَّها لا تَطِيرُ هَلَعاً عند القوارع، ولا تَذْهَبُ حسرةً عند الفواجع، ولا تنهارُ جزعاً أمام النَّوازل، ولا تقعُ فريسةً للشَّدائد، صبرٌ وتحمُّلٌ على ما يَبدرُ من الأولاد؛ فالشَّدائد والهموم مُقَدَّران بأوقاتهما، الصَّبر لا يُطيلُها، والجزع لا يُقَصِّرُها.

وزينةُ الذُّرِّيَّة لا يَكتمِلُ بَهاؤُها وجمالُها إلَّا بالدِّين، والأصلُ في ذلك إقامةُ العُبوديَّةِ للَّه ﷻ في قلوبهم، وغَرْسُهَا في نُفُوسِهِم، ومِنْ آلاءِ اللَّهِ أنَّ المَوْلُودَ يُولَدُ على دِينِ الفِطْرة، ورعايتُهم تَتَطَلَّبُ مُجاهَدَةَ النَّفْسِ بين النَّوازعِ والدَّوافع، واقتحامَ العَقَبَاتِ، ومُقَاوَمةَ العوائق.

ومتى رأى الوالدُ من أولادِه إعراضاً أو نُفُوراً أو تَمَادِياً فلا يَيْأَسْ من صلاحِهم واستقامتِهم؛ فاليَأْسُ مِن رَوْحِ اللَّه ليس من صفات المؤمنين، فلعلَّ نفحةً من نفحاتِ الرَّحِيم الكريم تُعِيدُ الولدَ إلى رُشده، وتُقْصِرُهُ عن غيِّه، فسَفِينَةُ النَّجاةِ فيما يَعِنُّ من البلاء في الأبناء والبنات يكون بالإيمانِ باللَّه واللُّجوءِ إليه وحده.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على ما أَوْلَى، والشُّكرُ له على ما أَسْدَى، حَمْداً كثيراً طيِّباً مُبَارَكاً كما يُحبُّ ربُّنا ويَرْضَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومَنْ سار على نهجهم واهتدى.

أمَّا بعدُ:

فلقد تضافرت النُّصوصُ الشَّرْعيَّةُ - من الكِتابِ والسُّنَّةِ - آمرةً بالإحسان إلى الأولاد، وأداءِ الأمانة إليهم، ومُحذِّرةً من إهمالِهم والتَّقصيرِ في حقوقهم، فكم مِنْ أَبٍ أَشْقَى ولده بإهمالِه وتَرْكِ تأديبه، وإعانتِه على شَهَوَاتِه؟! وإنْ زَعَم أنَّه يكرمُه أو يَرحمُه؛ بل إنَّه بذلك قد ظَلَم نفْسَه وظَلَمَه، ففاتَه انتفاعُه بولده وفوَّت عليه حظَّه في الدُّنيا والآخرة.

أيُّها الأب:

لا تُفْسِدِ الفِطرةَ وتَقْتُلِ الاستقامةَ وتقضِ على المروءة، اغْرِسِ الإيمانَ والعقيدةَ الصَّحيحةَ، والقِيَمَ الحميدةَ، والأخلاقَ الكريمةَ في نفوسِ أبنائِك، واحذَرِ المبالغةَ في إحسانِ الظَّنِّ بهم، أو التَّفريقِ بينهم في العطايا والهِبَات، أو في الملاطفةِ والممازحة؛ فإنَّ ذلك ممَّا يوغِرُ

صدورَ بعضِهم على بعضٍ، ويُسَبِّبُ في شيوعِ البغضاءِ، ويَبعثُ على نفورِهم وتنافرِهم؛ فالحياةُ الاجتماعيَّةُ السَّوِيَّة لا تقومُ إلَّا إذا أُشيعَ العدلُ في أهلِها، وحياةُ الأُسَرِ تَنْهضُ على هذا الأساسِ المتين، فتَأَسَّ بالنَّماذجِ العَطِرةِ والصُّورِ المُشْرقةِ من سيرةِ السَّلفِ في التَّربيةِ التي تأخذُ بالألباب.

ومَنْ أَهْمَل تعليمَ أولادِه ما يَنفعُهم وتركَهم سُدًى فَقَدْ جانبَ الصوابَ معهم، ومَن أضاعهم صغاراً لم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوه كباراً؛ عاتب بعضُ الآباء ولدَه على العقوق، فقال الابن: «إِنَّكَ عَقَقْتَنِي صَغِيراً فَعَقَقْتُكَ كَبِيراً، وَأَضَعْتَنِي وَلِيداً فَأَضَعْتُكَ شَيْخاً».

إنَّ الرُّجوعَ إلى دينِ اللَّه وأحكامِه هو العلاج لكلِّ ما يُصيبُ النَّاشئةَ من انحرافٍ وهبوطٍ، وما يَعرضُ لهم في أخلاقهم مِن عِللٍ.

فاقبلْ - أيُّها الأبُ - هِبةَ اللَّه قَبولاً حسناً؛ فلقد متَّعَ اللَّه عينَك، وأبهجَ قلبَك، وأَسعدَ ناظرَك برؤية هذه الذُّرِّيَّة التي ما خلقتَها، وما شققتَ سمْعَها ولا بصَرَها، ولا أوجدتَها، فحافظْ عليها واعتنِ بها، وَقِها عواملَ الضَّلال؛ فإنها وُلِدت على الفطرة، فعليك أن تُنْشِئها على الدِّين.

إنَّ هذه النِّعمةَ التي مَنحَك اللَّهُ إيَّاها وحَرَمها غيرَك تُحمِّلُك مسؤوليّةً كبرى، وأعباء عظمى، الولدُ الصَّالحُ هو خيرُ ما تُخلِّفُه بعْدك؛ فهو امتدادٌ لك بعد موتِك ومُبْقٍ لذكرِك؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ**

الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (رواه مسلم).

إنَّ همومَ الواجبِ، ومرارةَ الكِفاح، واستدامةَ السَّعيِ، والجِدَّ في العمل، والجهودَ المضنيةَ من الآباءِ لإصلاحِ أبنائِهم لن تَذهب - بإذنِ اللَّه - هدراً.

وتَقرَّبْ إلى اللَّه تعالى بإحسان تربيةِ أبنائِك، والإخلاصِ فيها، وأبشرْ وأَمِّلْ، واغتنمْ ما مَنحك اللَّه إيَّاه مِن دعوةٍ مستجابةٍ منك لأبنائك؛ فالدُّعاء دأبُ الأنبياءِ معَ أبنائهم؛ يقول الخليلُ عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ**» (رواه ابن ماجه).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

أَسْبَابُ انْحِرَافِ الأَبْنَاءِ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهده اللَّه فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّه نِعْمَ العمل، والإعراضُ عنها بئسَ الأمل.

أيُّها المسلمون:

لقد خَلَق اللَّه عباده على الفطرة السَّوِيَّة السَّليمة، وبَعَثَ الرُّسلَ؛ لتقريرِها، والنَّاشئةُ في بُكور حياتها ديوانٌ مفتوحٌ، وسِجِلٌّ ناصعٌ؛ تَتَلَقَّى ما يَرِدُ عليها من حقٍّ أو باطلٍ، أرضٌ تُنبِتُ أيَّ غراسٍ من صحيح العقائد وفاسدها، ومن مكارم الأخلاق ومساوئها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» (متفق عليه).

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وعُقولُ الشَّبابِ هدفٌ لأعداء المُسْلِمين الذين تَنوَّعت وسائلُهم؛ لِيُوقِعُوا الشَّبابَ في شِرَاكِهِم، وليزجُّوا بهم في وَحَل الفتنِ تارةً، ويُلقوا عليهم الشُّبهاتِ تارةً أخرى؛ لِيُرْدُوهُم ويُورِدوهم مستنقعَ الهوى والشَّهوات، ويُغرِقوهم في المُلْهِيَات والمُحرَّمات.

ولا أَنْفَع - بإذن اللَّه - للشَّبابِّ من التَّحصُّن بعِلم الشَّريعة؛ علمٌ يَزِيدُ الإيمان، ويُنِيرُ البَصِيرَة، ويُهذِّبُ النَّفْس، ويَرْفَعُ عن دَنِيءِ الأفعال، طالبُه منظومٌ في سِلْكِ العُظَمَاء: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾، سُلوكه توفيقٌ للخلود في الجِنان، والخَلْقُ عنه راضون، ولصنيعه مُسْتَغفِرون، والملائكة لمجالسة أهله راغبون.

ومِنْ تعظيمِ الشَّريعةِ والدِّين: تعظيم العلماء؛ فهم خَلَف أنبياء اللَّه في دعوتهم؛ قال ﷺ: «**إِنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**» (رواه أحمد)، حقٌّ علينا تَبْجِيلُهُم وتَوْقِيرُهُم، وعلى هذا سار أَسْلَافُ هذا الدِّين؛ يقول الرَّبِيعُ بنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ»، سؤالُهم عِلمٌ، ومجالسَتُهم سعادةٌ، ومُخالَطَتُهُم تقويمٌ للسُّلوك، ومُلَازَمَتُهُم حفظٌ للشَّباب - بإذن اللَّه - من الزَّلل؛ يقول ميمونُ بنُ مهران رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجَدْتُ صَلَاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ».

ثمرةُ مجالسةِ العلماءِ ليست في التَّزوُّدِ من العلوم والمعارف فحسب؛ بل الاقتداء بهم في الهُدَى والسَّمْت وعلوِّ الهمَّة ونفْع الآخرين، وبُعْد ناشئة المسلمين عنهم يُؤدِّي إلى تَخَبُّطٍ في طلب العِلم، وإعجابٍ بالرَّأي، وقلَّةٍ في التعبُّد.

وواجبٌ على الشَّباب البُعد عن مواطن الفِتَن والشُّبُهات والشَّهَوات، ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ تَعوَّذ من الفِتَن، وأمَر أصحابَه بالتَّعوُّذِ منها، ومَن مَدَّ عينيه إلى الفِتَن أو أرخى سمْعه لها أخذتْه؛ يقول عليه الصلاة والسلام عن الفِتَن: «**وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا** - أَيْ: تَطَلَّعَ إِلَيْهَا -؛ **تَسْتَشْرِفْهُ** - أَيْ: تَأْخُذْهُ -» (متفق عليه)، والإسلامُ الحنيفُ جاء بلُزُومِ النُّورَيْن - الكِتاب والسُّنَّة -، ونهى عن ضدِّهِمَا، ممَّا يُورِثُ القلبَ الفساد.

والشُّبهةُ إذا وَردتْ على القلب ثَقُل استئصالُها، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وَإِذَا تَعَرَّضَ العَبْدُ بِنَفْسِهِ إِلَى البَلَاءِ؛ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ»، والتَّقصيرُ في أداء الواجبات، والوقوعُ بالمُحرَّمات، وتَشَبُّثُ النَّاشئِ بالفضائيَّات، ولَهَثُهُ وراء المنكرات؛ بوابةُ فسادٍ للأخلاق، ودَنَسٌ للسُّلوك، ومَرْتَعٌ للأفكارِ المُنْحَرِفة.

والقلبُ إذا أظلمَ بكثرة المعاصي؛ ثَقُل عليه أداءُ المعروف، وسَهُل عليه قبولُ المنكَر.

وتشكيكُ النَّاشئةِ في المناهجِ الدراسيَّة يُضْعِفُ هِمَّتَهم في التَّحصيل وأخْذ المعارف منها، ومتغيِّراتُ الزَّمانِ، وتوالي الحوادثِ، وتعاقبُ الأحداثِ، وحلولُ الفِتَنِ، يُحتِّمُ تكثيفَ المناهجِ الدِّينيَّةِ والتَّوسُّعَ فيها، والبسْطَ في شرْحها، وتَسهيلَ فهومِها للنَّاشئة، مع عدمِ إثقالِ كاهلِ الطُّلاب بكثرة المواد غير الدِّينيَّة التي يُغْنِي بعضُها عن بعضٍ؛ فالحاجة ملحَّةٌ إلى أمور الشَّريعة.

وبهذه المناهج المرتكِزة على الدِّين والعمل بالعِلم أَصبحت هذه

البلاد - بحمد اللَّه - تَزْخَرُ بالعلماء الذين يَفهمون أحكام الشَّريعة، ويُرجعُ إليهم في الفتوى والمسألة، واكتَسبوا الثِّقةَ والتَّبجيلَ في التَّوجيهِ والإرشادِ والدَّعوة، وبفضلٍ من اللَّه استَوْزَر ممَّن دَرس هذه المناهج الوُزراء النَّاصحون، وبَرع المستشارون المؤتمَنون، وتأدَّبَ الأدباء المثقَّفون، وبَرَزَ الصّحفيُّون الإعلاميُّون، ونَبَغ الأطبَّاء الحاذقون، وتَأَلَّق الاقتصاديُّون العارفون، وتخرَّجَ فيها مَنْ أَسْهَم في بناءِ وتنميةِ الحضارةِ ومقوماتِ الحياةِ في المجتمعات، ومِنَ الوفاءِ الثَّناء على المناهجِ التي كان المرءُ ثمرةَ علومِها.

أيُّها المسلِمون:

الإعلامُ نافذةٌ واسعةٌ على المجتمع، والشَّبابُ بحاجةٍ إلى نصيبٍ وافرٍ منه في التوجيه والإرشاد، وفي النُّصح والفتوى، والتَّعرُّض للدِّين المتين باللَّمزِ، أو لأهله بالسُّخريةِ والغَمزِ يُوْغِرُ الصدورَ، ويُؤَجِّجُ المَكامِن، والثَّناءُ على النَّاشئةِ واحتواؤُهم وتوجيهُهُم طريقٌ قويمٌ يُسْلَكُ حمايةً للشَّباب؛ لِئَلَّا يَتلقَّفَهم الأعداءُ بحلاوة اللِّسان وحُسن البيان.

والقرآنُ العظيمُ كلامُ ربِّ العالمين؛ بتلاوتِه تَتنزَّلُ السَّكينة، وبِتدبُّرِه يزيدُ الايمان، نورُه يُبَدِّد الظُّلمات؛ قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، وانتشارُ حَلقاتِ القرآنِ الكريمِ في بيوتِ اللَّهِ في هذه البلاد، ورعايةُ ولاةِ الأمورِ لها؛ أمرٌ يدعو إلى الفَخْرِ والاعتزازِ ويَتطلَّبُ الشُّكرَ والثَّناء، لقد صانَ اللَّهُ بها كثيراً من النَّاشئة عن الانحراف، وحَفِظَ اللَّهُ بها الدِّين، كمِ انتفعَ بها من يتيمٍ؟! وكمْ

أسدَتْ للناشئة من معروفٍ؟! وكمْ أَوْصَدتْ من أبوابٍ للشُّرور؟! وكم وسَّعتْ مِنْ مداركَ؟! وكمْ فَتحتْ من آفاقٍ؟!

والقرآنُ الكريمُ أصلُ العلوم وأساسُها، ومنه تُؤْخَذُ الأخلاقُ والآداب، وتوجيهُ الآباءِ أبناءهم لحفظ كتاب اللَّه؛ حِفظٌ لهم من الشُّرور والفِتَن، وحِصنٌ من تَوَغُّلِ الأفكار المنحرِفة إلى عقولهم.

والفراغُ عاملٌ من عواملِ الانحرافِ الفكريِّ والسُّلوكيِّ والأخلاقيِّ، كما أنَّ المُلهِيَاتِ الحضاريَّةَ المحظورة، والمَحطَّاتِ الفضائيَّةَ لها قِسطٌ مُظلِمٌ في انحرافِ الأفكار، وتلويثِ المعتقَدات، وتَسميمِ العقول من المتربِّصين بالشَّباب، والأبُ الحاذق مَنْ يَمنعُ دخولَ تلك المحطَّاتِ والملهِياتِ إلى دارِه قبلَ أنْ تَذرِفَ منه دمعةُ الحُزنِ والأسى، وقبل أنْ يُفاجأَ بخبرٍ فاجع.

أيُّها المسلِمون:

الفجوةُ بين الوالدِ والولدِ عاملٌ من عوامل حَجْبِ الابنِ عن إظهارِ مَكْنُونِ صدْرِه لوالده؛ فيبوحُ بما في سريرتِه إلى غير والدِه ممَّن قد لا يُحسنُ التَّربيةَ والتَّوجيه، ولا يَحْملُ له المَودَّةَ والشَّفقة، وقُرْبُ الأبِ من أبنائه والتَّبسُّطُ معهم في الحديث، ومبادلةُ الرَّأي من غير إخلال باحترام الوالدين؛ سلامةٌ للأبناء، وطُمأنينةٌ للآباء، وقاعدةٌ في تأسيس برِّ الوالدين.

والجليسُ سببٌ في الإصلاح أو الإفساد، ورُسُلُ اللَّهِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ عظَّموا شأنه؛ فنبيُّ اللَّه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ

إِلَى ٱللَّهِ﴾، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ اتَّخذ له صاحباً مُعِيناً له على طريق الدَّعوة؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**» (متفق عليه)، وعائشة رضي الله عنها تقول: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ؛ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً» (رواه البخاري).

الجليسُ الصَّالحُ يَهْدِيكَ للخير؛ يُذَكِّرُك إذا نسيتَ، ويَحُضُّك إذا غَفَلْت، يُظْهِرُ وُدَّك إذا حضرْتَ، ويَحْفُظُك إذا غِبْتَ، ورفيقُ السُّوءِ يَجْرِي خلْفَ مَلَذَّاتِهِ وأَهْوَائِه، وإذا انقضتْ حاجتُه منك نبذَك، من كلِّ شرٍّ يُدْنِيك، وعن كلِّ خيرٍ ينأى بك، على أمور الدُّنيا لا يُؤمَن، وفي الآخرة على مصاحبته تَندم؛ قال جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾؛ فجَالِسِ الصَّالحين وتشرَّفْ بصحبتهم، وابتعدْ عن مصاحبة مَنْ يسوؤُك في دينك ودنياك.

وللمرأة دورٌ مَكِينٌ في الرِّعاية والتَّوجيه، وإذا تخلَّتِ المرأةُ في دارها عن مسؤوليَّتها، وأخلَتْ مَسكنَها مِن نفْسها بكثرة خروجِها من منزلها؛ لم يَجدِ الأبناءُ حَنَانَ الأُمومةِ وعطْفَ الحانية، ولا يجدونَ في المَسْكَنِ معهم سوى مَنْ هو مِنْ غير جنْسهم - من الخدم -؛ فيَفْقِدون عَطْفَ الوالدةِ ورأْفةَ المُشفِقة؛ فلا يَمنعُهم ذلك من التَّوجُّه إلى مَن يَتلقَّفُهم بمخدوعِ الحديثِ وأماني المستقبل، والإسلامُ ألقى على الأمِّ

مسؤوليّةً كبيرةً؛ يقول ﷺ : «**المَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**» (متفق عليه).

مِن أحضانِ المرأةِ تَخرَّجَ العلماءُ وبَرَز النُّبلاء، ولا أعظمَ تكريماً للمرأةِ ولا أنبلَ تبجيلاً لمكانتها من إسداء مسؤوليّةِ العقولِ إليها في دارها، فواجبٌ عليها القيامُ بأعباءِ تكاليفها؛ لِئَلَّا تَذرِفَ الدَّمعَ على أولادها، وعليها عدمُ الإصغاء إلى أَبْوَاقٍ تدعوها إلى الخروج من مملكتها وإهمال أولادها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الأُسرةُ مُرْتَكَزٌ قويمٌ في الإسلام، في ظلِّها تَلْتَقِي النُّفوسُ على المودَّة والرَّحمة والعَطف والمحبَّة، وقد أَقْسَمَ اللَّه في كتابه بالأولاد والآباء فقال ﷻ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، والعنايةُ بصلاحِهم مَسْلَكُ الأخيار، وباستقامتهم بَهجةُ الآباءِ والأمهات: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

وأوَّل لَبِنَةٍ في بناء الأبناء: غرْسُ مراقبةِ اللَّه في نفوسِهم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما - وهو غلامٌ صغيرٌ -: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**» (رواه الترمذي)، وهم بحاجةٍ إلى التَّربيةِ على المعرفةِ بالعلومِ واغتنامِ الأوقات؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» (رواه مسلم).

وعلى الوالد أنْ يَسعى لِجلْبِ ما يَنفعُ أبناءه وإبعادِ ما يَضُرُّهم، واختيارِ الرُّفقةِ الصَّالحة لهم، وإنَّ حُسنَ تنشئتِهم مرتبطٌ باستمساك

والدَيْهم بدينهم، وكلَّما استقام الوالدان اقتدى بهم الأبناء، وكانوا بِمَنْجاةٍ من عوامل الضَّياع وأسباب الضَّلال.

واعلم - أيُّها الابن -: أَنَّ أملَ وَالِدَيْكَ أنْ تكونَ سِيرَتُك فاضلةً، وأخلاقُك ساميةً، مع الاستقامةِ والبُعْدِ عن الرَّذائل والمهالك، وأن لا تقعَ فريسةً للانحراف، أو أسيراً للمَلَذَّات والشَّهوات، فلا تُضيِّعْ أَمَلَك وأَمَلَهم أمام لَحْظَةٍ من شهوةٍ أو ساعةٍ من غفلةٍ، وعليك بانتقاء الأصحاب في المخالطة والمُؤَانسة، والزمْ صحبةَ العلماء، وجالسِ الصَّالحين؛ تَحُزْ سعادةَ الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الآبَاءُ والأَبْنَاءُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتَقْوى اللَّه نورٌ في القلب، وبُشرى في المنقلَب.

أيُّها المسلمون:

الأعمارُ تطوى والأيامُ تفنى، والعبدُ يُعاقبُ على تفريطه في زمانه، ويُثابُ على اغتنامه الأيام، وعمارةُ الأوقات بالطاعة ممَّا يَغْبِنُ به العبادُ بعضُهم بعضاً؛ قال ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا - أَيْ: لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُمَا - كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ» (رواه البخاري)، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنِ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ المَغْبُوطُ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ المَغْبُونُ».

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثاني من شهر جمادى الآخرة، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وفي شباب اليوم مَنْ يضيِّعُ الأوقاتَ في الإجازة، ويُفرِّطُ في الطَّاعات، وعلى الآباء عِبْءٌ ثقيلٌ في إصلاحِ أبنائهم وإرشادهم إلى ما يُشغِلون به فراغَهم؛ فبأيديهم القِوامةُ والرِّعاية، وعقوقُ الأبناء آباءهم وضَعْفُ تمسُّكِهم بدينهم، وانحرافُ سلوكِهم وأخلاقِهم؛ من قُصُور القيام بواجبِ الولاية عليهم، وغَفلة الأولياء عنهم والتَّقصير في السُّؤال عن أحوالهم خللٌ في التَّربية؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذَا اعْتَبَرْتَ - أَيْ: تَأَمَّلْتَ - الفَسَادَ فِي الأَوْلَادِ؛ رَأَيْتَ عَامَّتَهُ مِنْ قِبَلِ الآبَاءِ».

والانغماسُ في لَهْوِ الحياة وزُخْرُفِهَا والإعراضُ عن الأسرة إضاعةٌ للأبناء، وميزانُ الشَّرعِ في ذلك قول المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقّاً، وَلِأَهْلِكَ حَقّاً» (رواه البخاري)، وإهمالُ مراقبتِهم وعدمُ تفَقُّدِ صُحْبَتِهم مِن نقْص النُّصح لهم.

والمالُ في أيدي الشَّبابِ مع قُصورِ حُسْنِ التَّصرُّفِ فيه مفسدةٌ لهم، وإنَّما يُنفَقُ عليهم بقدْرِ حاجتِهم من غير تبذيرٍ ولا تقتيرٍ، ووضْع المُلهيات في البيوت - من القنوات ونحوها - لها تأثيرٌ على المعتقَد الصَّحيح، وفيها دُربةٌ على الجريمة، وتشَرُّبُ فَضَلاتِ الانحراف، وضرره بادٍ على الأسرة؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، وهي من أسباب حَيْرةِ عقولِ الشَّبابِ، واضطرابِ أفكارِهم؛ لِمَا فيها من تناقضٍ وتضارُبٍ في الأقوال، وطرْحِها لمُسلَّماتٍ من أحكام الشَّريعة وجعْلِها أداةً للجَدلِ والآراء البشريَّة ممَّا لا يَتَّفِقُ مع ما يجبُ على كلِّ مسلِمٍ من التَّسليم والقَبول لنصوص الوحي وأحكام الشَّريعة.

والفِتَنُ في البيوت داءٌ؛ مَنِ اسْتَشْرَف إليها أَخَذَتْه، ودواءُ الفِتَنِ نَبْذُهَا، والإعراضُ عنها، والحَذَرُ من مَغَبَّتها.

وقُرْبُ الوالدين من أبنائهم مِلءٌ لفراغ قلوبهم، ومَنْعٌ لهم من قرناء السُّوء، وفي الأولياء مَن هو مُعْرِضٌ عن أبنائه، بمنأى عنهم بروحه وجسده، متوانٍ عن أسباب هدايتهم، وواجبٌ على الأب أنْ يكونَ قدوةً صالحةً لأبنائه بالتَّمسُّك بالدِّين، والبُعد عن الخطايا والسَّيِّئات.

والتَّوجيهُ السَّوِيُّ المصحوب بالرِّفق خيرُ معينٍ على استقامتهم، مع الصَّبر والرِّفق واللِّين معهم، وإذا لم يَتَّسِعْ الصدرُ عليهم تَلَقَّفَهُم أهلُ الانحرافِ والشُّرور.

والزَّواجُ المُبَكِّرُ من أعظم أسباب صلاح الأبناء والفتيات؛ عملاً بوصيَّة النَّبيِّ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ**» (متفق عليه)، وتأخيرُ الزَّواجِ يوقعُ الشَّبابَ والفتياتِ في أمورٍ تَسُوء العاقبة فيها.

والإخلاصُ في تربية الأولاد وتوجيهُهم عبادةٌ عظيمةٌ يؤجرُ عليها الوالدان، وهي من أعمال أهل الجنَّة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا** - أَيْ: قَامَ عَلَيهِمَا بِالمَؤُونَةِ والتَّرْبِيَةِ - **جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ**؛ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ» (رواه مسلم)، وللتِّرمذيِّ: «**دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ**؛ وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ».

ودعاءٌ مستجابٌ ممنوحٌ من الكريم سبحانه للوالد في دعائه

لأبنائه؛ قال ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ» (رواه ابن ماجه).

وتُسَرُّ الأفئدةُ بحسن العاقبة في جَنْيِ ثمارِ صلاحِهم؛ قال سبحانه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

أيُّها الشَّاب:

سِنُّ الشَّبابِ من النِّعمِ التي لا تَدُوم؛ قال ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (رواه النسائي)، والشَّابُّ يُحاسَبُ على إهمال فُتُوَّتِه وتقصيره فيها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ؛ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟» (رواه الترمذي)، ومَنْ حَفِظَ شبابَه بالطَّاعة أظلَّه اللَّه تحت ظلِّ عرشه؛ قال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - وَذَكَرَ مِنْهُمْ -: شَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ» (متفق عليه)، ومن مَلَكَ هواه في حال شَبِيبَتِه أعزَّه اللَّه في كهولته.

وفي سَلِف الأمة من اغتَنم شبابَه؛ فنشأ على الطَّاعة والعبادة والعِلم؛ فابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما يَتهَجَّدُ اللَّيلَ - وهو ابنُ عشرِ سنواتٍ -، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي

عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ» (رواه أحمد)، وصَنَّفَ الإمامُ البخاريُّ كتابَ التَّاريخِ الكبيرِ وعمره ثمانيةَ عشرَ عاماً، قال: «صَنَّفْتُهُ إِذْ ذَاكَ فِي اللَّيَالِي الْمُقْمِرَةِ»، والذَّهبيُّ قرأ القرآنَ على مسعودٍ الصَّالحيِّ أربعين ختمةً، وعبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ تُوفِّي وهو في التَّاسِعَةَ عشرةَ من عمره؛ وكان في شبابه مجتهداً في العبادة، ومع قدرته في الدُّنيا وتمكُّنه منها كان راغباً عنها مُقْبلاً على اللَّه، قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَفِي ذِكْرِ مِثْلِ أَخْبَارِ هَذَا السَّيِّدِ الجَلِيلِ مَعَ سِنِّهِ؛ تَوْبِيخٌ لِمَنْ جَاوَزَ سِنَّهُ وَهُوَ بَطَّالٌ، وَلِمَنْ كَانَ بَعِيداً عَنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا وَهُوَ إِلَيْهَا مَيَّالٌ».

فاغتنمْ زَهرةَ العُمر، وجانبْ قُرَناءَ السُّوء؛ ففي صحْبتهم ندامةٌ؛ يقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾.

والمرأةُ الأجنبيَّةُ فتنةٌ، فاجتنبْ فتْنتَها، وكُنْ بِمَعزلٍ عنها، وإيَّاك والحديثَ مع من لا تَحِلُّ لك؛ فالحرام متعته زائلةٌ ثم تَعْقُبه حسرةٌ.

ومَنِ اتَّبَعَ هواه كانت نِهَايَتُه الذُّلَّ والصَّغارَ والبلاء، وللطَّاعةِ لَذَّةٌ وسُرورٌ، وبرُّ الوالدين من أسباب السَّعادة، والصَّلاةُ معَ جماعة المسلمين عِصمةٌ من الشُّرور.

أيَّتُها الأمُّ:

الأمُّ يَترَعْرَعُ في أحضانها العُظماء، والنُّبلاءُ في الأُمَّة ثمرةُ حُسنِ الرِّعاية والتَّوجيه من أمَّهاتهم؛ يقول الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَشَأْتُ يَتِيماً وَأَنَا

بِالشَّامِ، فَجَهَّزَتْنِي أُمِّي لِلسَّفَرِ إِلَى مَكَّةَ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا مَا تُعْطِينِي مَا أَشْتَرِي بِهِ القَرَاطِيسَ، فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى العَظْمِ فَآخُذُهُ فَأَكْتُبُ فِيهِ»، ويقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَلْبَسَتْنِي أُمِّي وَأَنَا صَبِيٌّ لِبَاسَ العِلْمِ، ثُمَّ قَالَتِ: اذْهَبْ إِلَى الإِمَامِ رَبِيعَةَ؛ فَتَعَلَّمْ مِنْ أَدَبِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ»، فالأمُّ تُشَاطِرُ زوجَها أمانةَ إِصْلَاحِ أبنائهم وإبعادَ الشُّرور وأسبابَ الفِتَنِ من دُورِهم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**الْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**» (متفق عليه).

فعليها أن لا تُهمِلَ أمانتَها بتغليبِ جانب راحةِ أبنائها ورحمتِهم على توجيههم وأمرهم بأوامر الشَّريعة.

أيَّتُها الفتاة:

الحياءُ نَعْتُ جمالٍ في المرأة، والأُمَم تُمدحُ باتِّصافِ نسائِها بالحياء؛ قال سبحانه في قصَّة موسى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾، والمرأةُ ذاتُ الحياءِ المانعِ حياؤها مِنْ ترْكِ القبيح موعودةٌ بالجَنَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ**» (رواه أحمد)، قال أهل العِلم: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَحِ مِنَ اللَّهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؛ لَمْ يَسْتَحِ اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ».

والحياء يُصانُ بالقَرار في البيوت، وبملازمة الحجاب والسِّترِ والاحتراز من الحديث مع الرِّجال الأجانب، والحذرِ من سموم الفضائيَّات، فالمعاصي تُذهِبُ السَّعادة، يقول عمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النِّسَاءُ عَوْرَةٌ؛ فَاسْتُرُوهَا بِالبُيُوتِ».

وفي المجتمعِ نساءٌ صالحاتٌ حافظاتٌ للغيب، ملازماتٌ لكِتاب اللَّه العظيم، مستمسِكاتٌ بالحجاب والحياء، ملازماتٌ للدِّين؛ بمثلهنَّ يَفْخَر المجتمع.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن الكريم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلى اللَّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أيُّها المسلمون:

الأسرةُ تَسعدُ بطاعةِ اللَّه ورسولِه، وصلاحُ أفرادِها صلاحٌ للمجتمع، وفي البُعدِ عن الفِتَنِ سلامةُ الدِّين، والتَّفَقُّهُ وسؤالُ أهل العِلم وبذْلُ الأسباب بالحكمة؛ مِنْ أهمِّ أسبابِ صلاحِ المجتمعِ وسعادةِ أفرادِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

بَيْتٌ مِثَالِيٌّ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونستعينُه ونَستغفرُه ونَستهدِيه، ونَعوذُ بهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى ذِكْرٌ جميلٌ في الأُولَى، وذُخْرٌ يَبْقَى في العُقْبى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ دينَ الإسلام يَبني مجتمعاً قويّاً سليماً من الانحرافات في العقيدة، ومن الآفات في العبادة، يَهدِفُ إلى رضوانِ اللَّهِ وعِمارةِ الآخرة، والأسرةُ المنبَعُ الأوَّلُ في المجتمع؛ ففي ظِلِّها تلتقي النُّفوسُ على المَودَّةِ والرَّحمةِ والتَّعاطفِ والمَحبَّة، ومِنْ سِمَاتها تأخذُ النَّاشئةُ طابَعَها وسلوكَها، بِسَواعدِها يقومُ بأمرِ اللَّهِ الدِّينُ، وبعزائمِها يُنْشَرُ الإسلام.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر رجب، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

إنَّ الأبناءَ ثمارُ القلوب، يُقدِّمون لوالدَيْهم برّاً وإحساناً، ويَرِثُون مجداً وذِكْراً، الحديثُ عنهم في القرآن يَفيضُ بالهبات والبشائر، أَقسم اللَّه بهم وبآبائهم: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، وهم قُرَّةُ عيونِ الآباءِ والأمهات: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، وهم بَهجةٌ وبُشرى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾، وهبةٌ مِنَ اللَّهِ ومِنَّة: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

إنَّ هذه البشرى علينا أن نَقْدُرَ قَدْرَها بِشُكر واهبِها ومُنْعِمِها، والاجتهادِ في صلاحِها وإصلاحِها، والذُّرِّيَّةُ في بُكُور حياتِها ديوانٌ مفتوحٌ، وسِجِلٌّ ناصع؛ يَتلقَّى ما يَرِد عليه من حوادث وانطباعاتٍ، أرضٌ تَستنبتُ أيَّ غراسٍ من صحيحِ العقائدِ وفاسدِها، ومكارمِ الأخلاقِ ومساوئِها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» (متفق عليه)، هم الوسيلة النَّاقلة لعلمِ الأُمَّةِ ومَعْقِدُ الأعمال، فما أشدَّ حاجةَ الأُمَّةِ إلى ناشئةٍ صالحةٍ، وذريَّةٍ ذوي عقيدةٍ صافيةٍ وخُلقٍ كريم، تتمتع بوعيٍ ناضجٍ، وفهمٍ ثاقبٍ، ونظرٍ بعيدٍ، ووازعٍ من الدِّين سديدٍ.

إنَّ رعايةَ الإسلام للأبناء لَمْ يَبْدأ بالبِشَارة بحياته؛ بل إنَّ رعايتَه لهم يبدأ قبْل تكوينِهم وتَخَلُّقِهم، باختيار امرأةٍ صالحةٍ تُعْنَى بصلاحهم وإصلاحهم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**» (متفق عليه).

ورعى الإسلامُ هذه النَّبتةَ بعد تَخلُّقِها، وحرَّم إسقاطَها وإجهاضَها، وجَعل على مَن تعدَّى في ذلك عقوبةً وجزاءً، وألزمَ الإنفاقَ على الحامل والمرضِع، وأمرَ بالإحسانِ إليهما إجلالاً لشأنه: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ﴾.

وحَثَّ على اختيارِ اسمٍ حَسنٍ له، وأَبْدَلَ ما فيه غمزٌ أو لمزٌ أو شؤمٌ؛ تفاؤلاً بالمولود، وتُذبحُ للمولود عقيقةٌ؛ اتِّباعاً لسنَّة النبي ﷺ.

ومقصودُ الحَضانة: حسنُ الرِّعاية، ودِقَّةُ العناية، وصِدْقُ الاهتمامِ بشؤونِ المحضون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.

وأُمِرَ بالصَّلاة لسبعٍ، وضرْبِه عليها لعشرٍ.

وَوِلادتُهم على الفطرة مِن رأفةِ اللَّهِ بالآباء؛ تسهيلاً لتربيتهم، فلم يُكلَّفوا بنزعهم من ملَّة غير الإسلام إلى الإسلام؛ قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾.

ومع هذه العناية الدَّقيقة من الإسلام للنَّاشئة في مراحلها المختلفة ترى تفريطاً من بعض الآباء؛ بِلَيِّ أعناق أبنائهم عن الاستقامة، وتلويثِ فِطَرِهم، وتيسيرِ سبلِ الانحراف لهم، والتَّقصيرِ في إصلاحهم، والاستسلامِ لِمُلْهِيَات العصر بدعوى العجزِ عن هدايتهم، والتَّواكُلِ في إصلاحهم بين الآباء والأمَّهات.

إنَّ العنايةَ بالنَّشءِ مسلَكُ الأخيارِ وطريقُ الأبرار، وصلاحُ الذُّرِّية محلُّ اهتمام الأنبياء والمرسلين قبل وجودهم وبعد مجيئهم؛ فمِنْ دعاء زكريَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وقال خليل الرَّحمن: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، والعبدُ الصالحُ يدعو ربَّه: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

مِن الأبناءِ يَنْشأ العلماءُ والدعاة والعبَّادُ والصَّالحون، وبصلاحهم بهجةُ الآباءِ والأمَّهات: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، ويمتدُّ لقاءُ الوالدِ وما ولَدَ في دار الكرامة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾، وباختلافِ المِلَّة بينهما تدومُ الفُرْقَة - وذلك الفراق الذي لا لقاء بعده -، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

أوَّلُ لَبنَةٍ في بناء الأبناء: العقيدة، ورسوخ الإيمان، وصِدقُ التَّعلُّق باللَّه والاعتمادُ عليه، قال عليه الصلاة والسلام لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما - وهو غلامٌ صغيرٌ -: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

والذُّريَّة بحاجةٍ إلى التَّربيةِ على المعرفة بالعزائم من الأُمُور، والعالي من الهمم، لا الانغماسِ في المُلْهِيات والمُحرَّمات: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» (رواه مسلم).

وعلى الوالدِ أنْ يسعى في جلْبِ ما ينفعُهم ودفْعِ ما يضرُّهم، وينتقيَ الصَّالحين لصحبتهم، وخيرُ الآباء للأبناء: مَنْ لم يقعْ منه تقصيرٌ في الحقوق يبعثُ على العقوق، ومن أدَّب ولدَه على الاستقامة صغيراً سرَّه كبيراً، وأسعده وهو أسيرٌ بين القبور؛ قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» (رواه مسلم)، وحُسْنُ منشئِهم مرتبطٌ باستمساكِ والدَيْهم بدينهم.

وكلَّما استقامَ الوالدان كان الأبناء بِمَنْجاةٍ من عوامل الضَّياعِ وأسبابِ الضَّلال، وللأُمِّ الصَّالحةِ صورٌ مُثْلَى مع التَّربية، وَلْيَحْرِصِ الوالدان على لزوم الصَّلاحِ والتَّقوى، وربطِهم بسير السَّلفِ الصَّالح في الاقتداء والاهتداء.

أيُّها الابن:

أملُ والدَيْك: أنْ تكونَ ممَّن سِيَرُهُم فاضلةٌ، وأخلاقُهم ساميةٌ، مع صحَّةِ الاستقامةِ والبُعدِ عن محقَّراتِ الأعمال ورذائلِ المهالك، وأن لا تقعَ فريسةً للانحراف، أو أسيراً للمَلَذَّات والشَّهوات، أو مطيَّةً للجهل والهوى، فلا تُضيِّعْ أملَك وأَملَهم أمامَ لحظةٍ من شهوةٍ أو ساعةٍ من غفلةٍ، وعليك بانتقاءِ الأصحاب في المخالطة والمؤانسة؛ فالنَّفْسُ إنْ تُرِكَتْ وهواها ضَلَّت وأَضلَّت، وإنْ هُذِّبَتْ اكتسبت حُسنَ الاستقامةِ، وَلُطْفَ الشَّمائل، وجميلَ الأخلاق، ومن لم يَمنعْ نفسَه عن الإهمال في المَلاذِّ والرُّكونِ إلى المُشْتَهيَات؛ فقد دَخل في الغفلة، وأضاع نفْسه، وقتَلَ أملَ غيرِه.

أيُّها المسلمون:

لا تَكتمِلُ زينةُ الأولادِ إلَّا بالدِّين، ومِن آلاءِ اللَّه أنَّ المولودَ يُولَدُ على الفطرة، ورعايتُهم تَتطلَّبُ مجاهدةَ النَّفسِ بين النَّوازع والدَّوافع، واقتحامِ العقبات ومقاومةِ العوائق، وإنْ رأى الوالدُ من أولاده إعراضاً أو نفوراً أو تمادياً فلا يَيْأَسْ من صلاحِهم؛ فاليأسُ من روح اللَّه ليس من صفات المؤمنين، ولعلَّ نفحةً من نفحات الرَّحيم تعيدُ الولدَ إلى رُشده وتُقْصِرُهُ عن غَيِّه؛ فسفينةُ النَّجاةِ فيما عمَّ من البلاء بالإيمانِ باللَّه واللُّجوءِ إليه.

وللبنتِ نصيبٌ أَوفى من التَّربية، وعلى الأُمِّ كِفْلٌ عريضٌ منها؛ وذلك بمجالستِها، وحُسنِ توجيهِها، وأَمْرِهَا بالصَّلاة، واختيارِ صُحْبَتِها، والسُّؤالِ عن رُفْقَتِهَا، وتفقُّدِ مَلْبَسِهَا، وقوامةُ الأبِ فوقَ ذلك كلِّه، وواجبُه ليس مقتصراً على تغذيتِهنَّ؛ فربُّك الرَّزَّاق، ومهمَّتُه في تربية أبنائه ساميةٌ على ذلك؛ فلا تُعِرْ عقلَ غيرِك لتربيتهم، ولا تُسْنِدْ لغير الصَّالحين رعايتَهم؛ فهدايتُهم لك سَنَاء، وفي انحرافِهم عليك عَناء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على ما أَوْلَى، والشُّكرُ له على ما أَسْدَى، حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأُولَى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، الصَّفيُّ المصطفى والخليلُ المجتبى، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ سار على نهجهم واهتدى.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لقد تظافرتِ النُّصوصُ الشَّرعيَّةُ - من الكِتاب والسُّنَّة - الآمرةُ بالإحسانِ إلى الأولاد وأداءِ الأمانة إليهم، والمُحذِّرةُ من إهمالِهم والتَّقصيرِ في حقوقِهم، فكمْ مِنْ أبٍ أشقى ولدَه بإهمالِه، وترْكِ تأديبِه وإعانتِه على شهواته - وهو يزعُمُ أنه يُكرمُه أو يَرحمه -؟! وهو بذلك قد ظَلَم نفْسه وظَلَمه؛ ففاته انتفاعُه بولده، وفوَّت عليه حظَّه في الدُّنيا والآخرة.

أيُّها الأب:

لا تُفْسِدِ الفطرةَ، وتَقتلِ الاستقامةَ، وتقضِ على المُرُوءَة، إغرسِ الإيمانَ والعقيدةَ الصَّحيحةَ، والقِيَمَ الحميدةَ، والأخلاقَ الكريمةَ في نفوس أبنائِك، واحذرِ المبالغة في إحسان الظَّنِّ بهم، أو التَّفريقَ بينهم

في العطايا والهِبَات، والمُلَاطَفةِ والمُمَازَحة؛ فإنَّ ذلك ممَّا يُوغِرُ صدورَ بعضِهم على بعض، ويُسَبِّبُ شيوعَ البَغضَاء، ويَبْعَثُ على نفورِهم وتَنَافُرِهم، فالحياةُ الاجتماعيَّةُ السَّويَّةُ لا تقومُ إلَّا إذا أُقيم العدلُ في أهلها، وحياةُ الأُسَرِ تَنهضُ على هذا الأساس المتين.

وتَأسَّ بالنَّماذج العطرة، والصُّوَرِ المُشْرِقَة مِن سِيَر السَّلف في التَّربية، ومَنْ أهملَ تعليمَ أولادِه ما ينفعُهُم وتركَهم سُدى؛ فقد جانبَ الصَّواب معهم، ومَنْ أضاعهم صغاراً؛ لم يَنتفعوا بأنفسهم، ولم يَنفعوه كباراً.

فاقْبَل - أيُّها الأب - هِبَةَ اللَّه قَبولاً حسناً، فلقد متَّعَ اللَّهُ عينَك وأبهجَ قلبَك برؤيةِ هذه الذُّرِّيَّة التي ما خَلقْتَها، وما شَقَقْتَ سمْعَها ولا بصرَها، ولا أوجدْتَها؛ فحافظْ عليها، واعتنِ بها، وقِهَا عواملَ الضَّلال؛ فإنَّها وُلِدتْ على الفطرة، ونَشِّئْها على الدِّين.

وتَقرَّبْ إلى اللَّه تعالى بإحسان تربيةِ أبنائك والإخلاص فيها، واغتَنِمْ ما منحَك اللَّهُ إياه مِن دعوةٍ مستجابةٍ منك لأبنائِك؛ فالدُّعاءُ دأبُ الأنبياء مع أبنائهم؛ قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الوَالِدِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ**» (رواه أبو داود).

وأَبْشِرْ وأَمِّلْ؛ فما توكَّل عبدٌ على اللَّه ولَجَأَ إليه وعَمِل الأسبابَ المأمورَ بها إلَّا أُعطيَ وأَفلح.

ثُمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

الفصل الثَّالث

حُقُوقُ المُسْلِمِينَ

الإِحْسَانُ لِلْيَتِيمِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقِبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

المجتمعُ المسلمُ متآلفٌ متناصرٌ؛ «**إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»، يَرحمُ قويُّه ضعيفَه، ويَجْبُر مُوسِرُه كَسيرَه.

وفي المسلِمين فِئةٌ فَقَدَتْ أباً تأوي إليه؛ يَمْسَحُ دمْعَها ويواسي حُزنَها؛ فتولَّى اللَّه شأنَها وعظَّم أمرَها، وأَمَرَ الأممَ في سالفِ القُرون بالإحسان إليها؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، وأمر بِلينِ الكلامِ معهم، فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، وجَعلَ البذْلَ لهم من خصال البرِّ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي عشَر من شهر شعبان، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والتَّقوى؛ فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، وجعل لهم نصيباً من خُمُسِ المَغْنم وهم لم يقاتلوا؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ومَنَحهم قَسْماً من خُمُس الفَيْء وهم لم يَغْزُوا؛ قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وإذا حَضروا قَسْمَ تَرِكَةٍ نَدب إعطاءهم منها؛ فقال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

وأمَر سبحانه أن يكونَ التَّعاملُ معهم بالعدل: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾، ونزَل القرآنُ في شأنِ المرأةِ الصَّغيرةِ منهم تعظيماً لهم؛ فأمر مَنْ خشي أن لا يَعدلَ في صداقِها أن يعدِلَ عنها إلى غيرها؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾، ولـمَّا سأل الصَّحابةُ رسولَ اللَّه ﷺ عن معاملتهم؛ أنزل اللَّه قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾، واستَفْتَوُا النَّبيَّ ﷺ عن صغار النِّساء من اليتامى؛ فأفتاهم اللَّه بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، حقُّهم أتى بعد حقِّ القريب في آيات عديدة، واللَّهُ يُذكِّر بشأنهم مع حال الأولاد الضُّعفاء؛ فقال: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾.

ووبَّخ سبحانه مَنْ لَمْ يُكْرِمْ يتيماً: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾، وقَرَن دعَّهُ - وهو قهرُه وظلمُه - بالتَّكذيب بيوم الدِّين: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾، ونهى اللَّهُ صفوةَ خلْقِه أن يقْهر أحداً منهم: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ «أَيْ: لَا تُذِلَّهُ وَتَنْهَرْهُ وَتُهِنْهُ، وَلَكِنْ أَحْسِنْ إِلَيْهِ وَتَلَطَّفْ بِهِ».

حَفِظَ اللَّهُ أموالَهم ونَهى عن قُربها إلَّا بالحسنى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ولا يتولَّى أموالَهم إلَّا القويُّ الأمين، ونهى النَّبيُّ ﷺ الضَّعيفَ أن يتولَّى شيئاً من أموالهم؛ فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**» (رواه مسلم).

وأَكْلُ مالِه من السَّبْع المُهْلِكَات؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ** - وَذَكَرَ مِنْهُنَّ -: **وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ**» (متفق عليه)، ومَن أكلَ مالَه بغير حقٍّ؛ أكَلَ في بطنه ناراً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، وإذا رَشَدَ أُعطي مالُه وافياً من غير بخسٍ أو إخفاء لشيء منه: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾.

أيُّها المسلمون:

اليَتيمُ يأتي إلى الدَّار بالخيرات، وبه يَلينُ القلبُ من القسوة؛ سأل رجُلٌ الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَيْفَ يَرِقُّ قَلْبِي؟ قَالَ: ادْخُلِ المَقْبَرَةَ، وَامْسَحْ

رَأْسَ اليَتِيمِ»، وأطيبُ المالِ ما أُعطي منه اليتيم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ المِسْكِينَ وَاليَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ**» (متفق عليه)، والإحسانُ إليه يُفرِّجُ كروبَ الآخرة؛ قال سبحانه: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وإطعامُهم سببٌ لدخول الجنَّة: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

والنَّبيُّ ﷺ أسوةٌ في كفالة الأيتام؛ فقد وَلِيَ عليه الصلاة والسلام في داره أكثر من عشرةِ أيتامٍ يَحوطُهم برعايته وعنايته، وكان لهم أباً رحيماً، مشفقاً مُحِبّاً، ومن كَفل يتيماً كان معه في الجَنَّة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا؛** وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى» (رواه البخاري)، قال ابن بطَّالٍ رحمه الله: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الحَدِيثَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ».

واقتفى الصَّحابةُ أثرَ النَّبيِّ ﷺ؛ فكان الخلفاء الرَّاشدون يرعون أيتاماً في بيوتهم، وكَفل نساءٌ كأمِّ المؤمنين - عائشةَ، وميمونةَ -، وزوجةِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهم أيتاماً من البناتِ في بيوتهنَّ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى يتيماً مَسَحَ رأسَه وأعطاه شيئاً، وقال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «ارْحَمِ اليَتِيمَ، وَادْنِهِ مِنْكَ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ».

واليتيمُ محفوظٌ بحفظِ اللَّهِ وكَلاءته: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، واللَّهُ جل جلاله لا يُغْلِق عن عبدٍ باباً إلَّا ويفتحُ له برحمته وفضله أبواباً غيره.

واليُتْمُ قد يكونُ طريقاً للعُلوِّ والشُّموخ؛ فقد كان في الأُمَّة عظماءُ ممَّن فَقُدوا آباءهم:

نشأ أبو هريرة ﵁ يتيماً، وكان يرعى لقومه الغنمَ، ثمَّ لازمَ النَّبيَّ ﷺ؛ فكان رَاوِيةَ الإسلام.

والإمام البُخاريُّ - صاحبُ الصَّحيح - يتيمٌ، وقرأ على ألْف شيخٍ وصنَّف صحيحه؛ فكان هذا اليتيمُ نعمةً على هذه الأمَّة.

والإمام الشَّافعيُّ فَقَدَ أباه وهو دون العامين، فنشأ في حِجْر أُمِّه في قِلَّةٍ من العيش وضيقٍ من الحال، فحفِظ القرآن وجالسَ في صباه العلماء؛ فَسَادَ أهلَ زمانِه.

والإمام ابن الجوزيِّ نشأ يتيماً، وَشَبَّ على العفاف والصَّلاح في حِضْنِ عمَّته، فحَملَتْه إلى العلماء؛ فصنَّف ووَعظ، قال: «أَسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ»، قال شيخ الإسلام: «وَلَا أَعْلَمُ أَحداً صَنَّفَ فِي الإِسْلَامِ أَكْثَرَ مِنْ تَصَانِيفِهِ».

وفي الأُمَّة أعلامٌ حُفَّاظٌ كانوا أيتاماً؛ كالسُّيوطيِّ، وابن حجَرٍ، والأوزاعيِّ، والثَّوريِّ.

وسيِّد الأيتامِ نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ تُوُفِّيَ والده وأُمُّه حَمْلٌ به، ثمَّ تقلَّب في أحضانٍ متواليةٍ من أُمِّه إلى جدِّه إلى عمِّه؛ قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾.

إنَّ وراءَ هؤلاء الأيتام مُخْلِصُون من الأُمَّهات وذي القربى والنَّاصحين؛ ممَّن تَحمَّلوا أَمانةَ حفظِ اليتيم، فتوكَّلوا على اللَّه وأحسَنُوا

الولاية وقاموا بالرِّعاية خيرَ قيامٍ، وعلى اليتيم أن يتَّخِذَ هؤلاء قدوةً له في حياته، فيسارعَ إلى مجالسة الصالحين وطلبِ العِلم.

وإذا فَقَدَ اليتيمُ أباه؛ تَضاعَفَ واجبُ الأُمِّ نحوَ أبنائِها؛ أُمُّ موسى رعَتْ ابنَها موسى عليه السلام واصطفاه اللَّه نبيّاً: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۞ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾، ومريمُ أَحسنت تربيتَها لابنها عيسى عليه السلام، واختاره اللَّه رسولاً، والإمام أحمد بنُ حنبل: مات والده وهو حَمْلٌ في بطن أُمِّه، وعاش حياةَ فقرٍ وفاقة، فحضنته أمُّه وأدَّبته وأَحسنتْ تربيتَه، قال: «كَانَتْ أُمِّي تُوقِظُنِي قَبْلَ الفَجْرِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ - وَعُمُرِي عَشْرُ سَنَوَاتٍ - وَتُدْفِئُ لِي المَاءَ فِي الشِّتَاءِ، ثُمَّ نُصَلِّي أَنَا وَإِيَّاهَا مَا شِئْنَا مِنْ صَلَاةِ التَّهَجُّدِ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ بِي إِلَى المَسْجِدِ فِي طَرِيقٍ بَعِيدٍ مُظْلِمٍ مُوحِشٍ؛ لِتُصَلِّيَ مَعِي صَلَاةَ الفَجْرِ فِي المَسْجِدِ، وَتَبْقَى مَعِي حَتَّى مُنْتَصَفِ النَّهَارِ تَنْتَظِرُ فَرَاغِي مِنْ طَلَبِ العِلْمِ وَحِفْظِ القُرْآنِ»، بصبر هذه الأمِّ على اليتيم؛ أَخرجَتْ عالماً من علماء المسلمين وأئمَّتِهم.

ويَجبُ على الأمِّ والأوصياءِ والأولياءِ: الإحسانُ إلى اليتيم في التِّربية والرَّحمة، وأن لا يُقتَصرَ على الشَّفقة والعطف والإنفاق فَحَسْب؛ بل يكونُ بالتَّوجيه الحَسن والتَّعليم النَّافع؛ قال سبحانه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾.

وأوَّل ما يوجَّه إليه اليتيم: حفْظُ كتاب اللَّه العظيم؛ فهو العاصمُ والحافظ والمخرِج من الفتن، ثمَّ طلبُ العِلم الشَّرعيِّ - مِنْ حفظِ متون

العقيدة والحديث والفقه وغيرِها -، ومجالسةُ العلماء، ولزومُ الصُّحبة الصَّالحة، مع صرْفِهِ عن الفتن وأسبابها.

وعلى مَن يرعى يتيماً أن يراقبَ ربَّه في ذلك الضَّعيف، وأن يُخلِص في عمله معه للَّه - فالإخلاصُ ييسِّرُ العملَ ويكسوه حلاوة -، وعليه أن لا يَبخلَ بابتسامةٍ، وأنْ يبذلَ له ويرحمَه، ويُقِيلَ عثرتَه، ويُحسِنَ ولايَته، قال قتادة: «كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ».

واليتيمُ طفلُ اليوم، وهو رجُلُ المستقبل، يَصلُحُ - بإذن اللَّهِ - بِصلاحِك، ويُحْسِنُ بإحسانك، واللَّهُ يكافِئُك على كلِّ ما عملتَه من تربيةٍ وإحسانٍ، ويَجزِيك على ذلك الجزاء الأوفى.

أعوذ باللَّه من الشطان الرجيم

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ سبحانه جابرٌ كسْرَ اليتيم، ورَافعٌ قدْرَه، ومن كُتِب عليه اليُتْمُ وهو ضعيف؛ فالجَنَّة مأوى المستضعفين من المؤمنين؛ قال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**» (متفق عليه).

وإعالةُ اليتيمِ وكفالتُه سعادةٌ ونعمة؛ فافرحْ بإحسانك إلى اليتامى والحُنوِّ عليهم وقضاءِ حاجاتِهم، واحذرِ احتقارَهم، فـ«**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**» (رواه مسلم)، ومَنْ فَقَدَ رعايةَ والدِه بغير يُتْمٍ؛ وجب على المجتمع الإحسانُ إليه وإحاطُته بالرِّعاية والتَّربية، و«**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**» (رواه أبو داود).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

قَضاءُ حَاجَةِ المُسْلِمِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في مخالفة الهَوى، والشَّقاءُ في مجانبة الهدى.

أيُّها المسلمون:

فاضَلَ اللَّهُ بيْن عباده في الشَّرفِ والجاهِ والعِلم والعبادة، وسخَّر بعضَهم لبعضٍ؛ لِيتحقَّقَ الاستخلافُ، وتُعمَرَ الأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، وفي شكوى الفقير ابتلاءٌ للغني، وفي انكسارِ الضَّعيفِ امتحانٌ للقويِّ، وفي توجُّعِ المريضِ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع من شهر ذي القَعدة، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

فتنةٌ للصَّحيح، ومِن أجْلِ هذه السُّنَّة الكونيَّةِ جاءتِ السُّنَّةُ الشرعيَّةُ بالحثِّ على التَّعاونِ بينَ النَّاس، وقضاءِ حوائجِهم، والسَّعيِ في تفريجِ كروبِهم، وبذْلِ الشَّفاعةِ الحَسنةِ لهم؛ تحقيقاً لدوام المودَّة، وبقاءِ الأُلفة، وإظهاراً للأخوَّة.

والدِّينُ إنَّما هو ذُلُّ العبادةِ وحُسنُ المعاملة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ دَلَّ العَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالفِطْرَةُ وَتَجَارُبُ الأُمَمِ - عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنِحَلِهَا - عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، وَالبِرَّ وَالإِحْسَانَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْدَادَهَا مِنْ أَكْبَرِ الأَسْبَابِ الجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ».

ونَفْعُ النَّاسِ والسَّعيُ في كَشْفِ كروبِهم من صفات الأنبياءِ والرُّسل؛ فالكريمُ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما فعَله إخوتُه به؛ جهَّزهم بِجَهازهم، ولم يَبخسْهم شيئاً منه، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا وَرَدَ ماء مدين وَجد عليه أُمَّةً من النَّاس يَسْقُونَ، ووَجد مِنْ دُونِهِمُ امرأتين مُستضعفتَيْنِ؛ رفَع الحَجَر عن البِئْر، وسَقَى لهما حتى رَوِيَتْ أغنامُهما، وخديجةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول في وصْف نبيِّنا مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه)، وأشرفُ الخلقِ مُحمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سُئِلَ حاجةً لم يردّ السَّائلَ عن حاجته؛ يقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ: لَا» (متفق عليه).

والدُّنيا أقلُّ مِن أنْ يُردَّ طالبُها، وعلى هذا النَّهجِ القويم سار الصَّحابةُ والصَّالحون؛ فقد كان عمرُ بنُ الخطابِ ﵁ يَتعاهدُ الأراملَ؛ يَسقي لهنَّ الماءَ ليلاً، وكان أبو وائلٍ يطوفُ على نساءِ الحيِّ وعجائزِهنَّ كلَّ يومٍ؛ فيشتري لهنَّ حوائجَهُنَّ وما يُصْلِحُهُنَّ.

إنَّ خدمةَ النَّاسِ ومُسايرةَ المستضعفين دليلٌ على طِيبِ المَنْبتِ، ونقاءِ الأصلِ، وصفاءِ القلبِ، وحُسنِ السَّريرة، وربُّنا يَرْحَمُ من عباده الرُّحماء، ولِلَّه أقوامٌ يختصُّهم بالنِّعمِ؛ لمنافع العباد، وجزاءُ التَّفريجِ؛ تفريجُ كرباتٍ، وكشفُ غموم في الآخرة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ» (رواه مسلم)، وفي لفظٍ له: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ؛ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»، السَّاعي لقضاء الحوائج موعودٌ بالإعانة مؤيَّدٌ بالتَّوفيق؛ «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

في خدمةِ الناسِ بركةٌ في الوقتِ والعمل، وتيسيرُ ما تعسَّرَ من الأمور؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» (رواه مسلم).

نبلاءُ الإسلامِ وأعلامُ الأمَّةِ شأنُهم قضاءُ الحوائج؛ يقول الذهبي عن شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «كَانَتِ العُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ وَالجُنْدُ وَالأُمَرَاءُ وَالتُّجَّارُ وَسَائِرُ العَامَّةِ تُحِبُّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ مُنْتَصِبٌ لِنَفْعِهِمْ - لَيْلاً وَنَهَاراً - بِلِسَانِهِ وَعِلْمِهِ».

وبهذا جاء الدِّينُ؛ عِلمٌ وعملٌ، عبادةٌ ومعاملةٌ، ببذلِ المعروفِ والإحسانِ تَحْسُنُ الخاتِمَةُ، وتُصرَفُ مِيتَةُ السُّوء؛ يقول ﷺ: «المَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ وَالآفَاتِ وَالهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ» (رواه الحاكم).

في بذْلِ الجاهِ للضُّعَفَاء ومساندةِ ذوي العاهةِ والمَسْكَنَةِ نفعٌ من العاجلِ والآجل؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» (رواه مسلم)، ومَنْ للضُّعفاءِ والأراملِ واليتامى بعد المولى؟ بدعوةٍ صالحةٍ منهم مستجابةٍ تَسعدُ أحوالُك.

والدُّنيا مِحَنٌ، والحياةُ ابتلاءٌ؛ فالقويُّ فيها قد يَضعُف، والغنيُّ ربَّما يُفلِسُ، والحيُّ فيها يموتُ، والسَّعيدُ من اغتَنمَ جاهَه في نفْع المسلمين؛ يقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مَنْ مَشَى بِحَقِّ أَخٍ لَهُ لِيَقْضِيَهُ؛ فَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ صَدَقَةٌ».

والمعروف ذَخيرةُ الأبد، والسَّعي في شؤون النَّاس زكاةُ أهلِ المروءات، ومن المصائبِ عندَ ذوي الهمم عدمُ قصْدِ النَّاسِ لهم في قضاء حوائجِهم، يقولُ حكيمُ بنُ حزامٍ رضي الله عنه: «مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ عَلَى بَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ المَصَائِبِ»، وأعظمُ من ذلك أنَّهم يرون أنَّ صاحبَ الحاجة مُنْعِمٌ ومُتفضِّلٌ على صاحبِ الجاهِ حينما أَنزلَ حاجتَه به، يقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما «ثَلَاثَةٌ لَا أُكَافِئُهُمْ: رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ لِي فِي المَجْلِسِ، وَرَجُلٌ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي المَشْيِ

إِلَيَّ؛ إِرَادَةَ التَّسْلِيمِ عَلَيَّ، فَأَمَّا الرَّابِعُ فَلَا يُكَافِئُهُ عَنِّي إِلَّا اللَّهُ، قِيلَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: رَجُلٌ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يُفَكِّرُ بِمَنْ يُنْزِلُهُ، ثُمَّ رَآنِي أَهْلاً لِحَاجَتِهِ؛ فَأَنْزَلَهَا بِي».

وعلى طالبِ الحاجةِ والشَّفاعةِ أن لا يَطلبَ الحوائجَ إلَّا مِنْ أهلِها، ولا يَطْلبَها في غير حينها، ولا يَطلبَ ما لا يَستحقُّ منها؛ فإنَّ مَنْ طلبَ ما لا يَستحقُّ استوجَب الحرمان، وَلْيَتخيرْ من الكلام أطيبَه، ومن القول أعذبَه، ولا لومَ على من رُدَّتْ شفاعتُه ولو عظُم قدْرُ الشَّافع؛ فقد رَدَّتِ امرأةٌ شفاعةَ خير الخَلْق ﷺ حينما قال لها: «لَوْ رَاجَعْتِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ» (رواه البخاري).

وإذا قُضيتْ حاجةُ المرءِ فيَنبغي شُكرُ الشَّافعِ والمشفوعِ عنده؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» (رواه أحمد)، ويقول: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» (رواه أبو داود)، وإذا قصُرَتْ يدُك عن المكافأة؛ فليُطلْ لسانُك بالشُّكر؛ فخيرُ مواضعِ المعروف ما جَمع الأجر والشُّكْر.

فاتَّقوا اللَّهَ، وأعينوا إخوانكم، وتواصَوْا بالحقِّ والعدل، وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى؛ فلن يبقى للإنسان إلَّا عملُه، وذِكْرُه بالخيرات في النَّاس، والمَرْءُ حيٌّ بسجاياه، وإن كان موسَّداً مع أهل القبور في لَحْدِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مِن أعظم ما يُفسِدُ المعروفَ: المنُّ به وذكْرُه عند النَّاس؛ فالمِنَّة تَهدِم الصَّنيعَة، ولا خير في المعروف إذا أُحْصِي، والمعروفُ لا يَتِمُّ إلَّا بثلاثٍ: تعجيلِه، وتصغيرِه، وسترِه؛ فإنه إذا عجَّله هَنَّأَه، وإذا صغَّرَه عظَّمَه، وإذا سَتَره تمَّمَه، ومِنْ محاذير الشَّفاعة: أنْ تَشفعَ في أمرٍ محرَّمٍ، أو اقتطاع حقِّ امْرِئٍ مُسْلمٍ أو إلحاقِ الضَّرَر به، أو تقديم مؤَخَّرٍ، أو تأخير مُقدَّمٍ، والإسلام دين عدلٍ؛ يأمر بالمصلحة وينهى عن المفسدة، والشَّفَاعَةُ في الحدود من أعظم المنكرات.

وصلُّوا وسلِّموا على خير خَلْق اللَّه مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللَّه؛ فقد أمركم اللَّهُ بالصَّلاة والسَّلام عليه ...

إغَاثَةُ المَظْلُومِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

استخلَفَ اللَّهُ آدمَ وذريَّتَه في الأرض؛ لِيَعْمُرُوها بطاعتِه، وسخَّرَ لهم ما فيها فضلاً منه ورحمةً؛ ليستعينوا بنعمِه على مرضاته، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، ولا قِوام للحياة الطَّيِّبة إلَّا بعبادةِ اللَّهِ وحدَه واتِّباع سُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ، وتوحيدُ اللَّهِ أساسُ الأمْنِ في المُجْتَمَعات؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بشركٍ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامنَ والعشرين من شهر جمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والإيمانُ هو الجالِبُ للأمنِ، وكلاهما ضرورةٌ في كلِّ شأنٍ؛ فبِهما تَزدهِرُ الحياةُ، وتُغدَقُ الأرزاقُ، وتَتوثَّقُ الرَّوابِطُ بين أفرادِ المجتمع، وتَجتمِعُ الكلمةُ، ويأنَسُ الجميع، وتُقامُ الشَّريعةُ بطُمأنينة، وتُتَلقَّى العُلومُ من منابِعِها الصَّافِية، ويَتحقَّقُ العِزُّ والتَّمكين؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾، وإذا فُقِد التَّوحيدُ؛ حلَّ الخوفُ بدلَ الأمن، فتختلُّ المعايِشُ، وتُفارَقُ الأوطانُ، وتتفرَّقُ الأُسَر، وتتبدَّلُ طِباعُ الخلْق، ويذوقُ أهلُها لباسَ الفقر والجُوع، ولن تجِدَ مُجتَمعاً ناهِضاً وحبالُ الخوف تهُزُّ كيانَه.

وَمَنْ حَفِظ حدودَ اللَّه؛ فامتثَلَ أوامِرَه، واجتنَبَ نواهِيَه؛ حفِظَ اللَّه له دُنياه في بدنِه وولدِه وأهلِه ومالِه، وحفِظَ له دينَه من الشُّبُهات المُضِلَّة، ومن الشَّهواتِ المُحرَّمة؛ قال ﷺ: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**» (رواه الترمذي)، ولن يصِلَ أحدٌ إلى غايةِ كمال الأمر إلَّا بالأمنِ والإيمان، وحقُّ هذه النِّعمةِ: حفْظُها والتَّذكيرُ بها، وشُكرُها بتحقيقِ العُبوديَّةِ للَّه؛ قال تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾.

وصلاحُ الأرضِ بالعبادة، وأعظمُ فسادٍ فيها: الشِّركُ باللَّه، وظُلمُ العباد - كقتلِ النَّفس المُحرَّمة بغير حقٍّ، واستِباحةِ الأعراض، وترويع الآمِنين، ونكْثِ العهود والمواثيق -، وقد نفَى اللَّهُ الفلاحَ والسَّعادةَ عن

الظَّالِمين؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وسُنَّةُ اللَّه في الأوَّلين والآخرين هلاكُ الظَّالمين؛ قال سبحانه: ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾، ولَئِنْ تأخَّرَ هلاكُهم فهو لحكمةٍ أرادَها اللَّه؛ قال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾**» (متفق عليه).

وقد أمرَ اللَّهُ بزجرِ الظَّالِمين ورَدْعِهم عن طُغيانهم، وكفِّ بلائِهم وشرِّهم عمَّن تحتَهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وأمرَ النَّبيُّ ﷺ المؤمنين بنُصرة المظلُومين؛ فقال: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**» (رواه البخاري)، وهذا من حقِّ الأُخُوَّة في الدِّين؛ قال ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**» (متفق عليه).

وإغاثة المظلومين من شِيَمِ الرِّجال، ومن أفعالِ العُظماء، وبه أمرَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «**أَغِيثُوا المَظْلُومَ**» (رواه أحمد)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّحَالُفُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَالمُؤَاخَاةِ فِي اللَّهِ؛ أَمْرٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ»، وبذلك عُرِف نبيُّنا ﷺ قبل بعثته؛ قالت خديجةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا له: «فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه)، وقد تحالَفَت بُطونُ قريشٍ زمنَ الجاهليَّةِ في حِلفِ

الفضول، وتعاهَدُوا باللَّه ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلُوم على الظَّالِم حتى يُؤدَّى إليه حقُّه، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَكَانَ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ، وَأَشْرَفَهُ فِي العَرَبِ».

وتمامُ الفلاحِ وكمالُه وجمالُه بالفزَعِ إلى اللَّه وحدَه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَا دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ»، والطَّاعاتُ تُعجِّلُ بالنَّصر؛ قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، والدُّعاءُ مفتاحُه؛ قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، قال شيخُ الإسلام رحمه الله: «يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنْ لَا غِيَاثَ وَلَا مُغِيثَ عَلَى الإِطْلَاقِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنَّ كُلَّ غَوْثٍ فَمِنْ عِنْدِهِ».

ولجأَ الأنبياءُ والرُّسل إلى الاستغاثة باللَّه بطلبِ النَّصر؛ ففي غزوة بدرٍ دعا نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ ربَّه حتى سقط رداؤُه، وفي الأحزاب قال: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**» (متفق عليه)، ومن دعاء المؤمنين في كتاب اللَّه: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وبالصَّبر والتَّقوى يتلاشى كلُّ ضَررٍ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾، وذِكرُ اللَّه كثيراً في القتالِ من أسبابِ الفَلَاحِ؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، والصَّلاةُ عونٌ في الشَّدائِد؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، والتَّوكُّلُ

على اللَّه مع فعْلِ الأسبابِ إيمانٌ وقوَّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّوكُّلُ مِنْ أَقْوَى الأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا العَبْدُ مَا لَا يُطِيقُ مِنْ أَذَى الخَلْقِ وَظُلْمِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ».

وقول: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» مفزَعٌ عند الشَّدائِد، قالها الخليلان فأَتمَّ اللَّهُ لهما نصرَه.

وحُسنُ الظَّنِّ باللَّه توحيدٌ ونصرٌ؛ قال اللَّه في الحديثِ القُدْسيِّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (متفق عليه)، قال ابن مسعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ظَنَّهُ»، وتصديقُ وَعْدِه فتحٌ وبُشرى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالقُوَّةُ للَّه جميعاً، وهو غالبٌ على أمرِه، وسُنَّتُه سبحانه نصرُ الحقِّ وأهلِه، ودحْرُ الباطِل وحزبِه، وكتب النَّصرَ والعِزَّةَ لأوليائِه، والذِّلَّةَ والخِذلانَ لأعدائِه، والمُسلمُ يَفرحُ برفعِ الظُّلم عن المظلُومين وبإعلاء الدِّين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

المُؤمنُ مُتعلِّقٌ بربِّه، حَذِرٌ من العُجْبِ بنفْسه أو قوَّته أو كثرتِه؛ قال ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾.

والمُسلمُ راجِحُ العقل؛ يَتثبَّتُ فيما يَسمعُه، ويَحذَرُ شائِعاتِ الأعداء، فبِئسَ مطيَّةُ الرَّجُل: زعَمُوا؛ قال ﷺ: «كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» (رواه مسلم).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبيِّه ...

فَضْلُ السَّلَامِ وَآدَابُهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهده اللَّه فلا مُضِلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقَى ربَّه ارْتَقَى درجاتٍ، وطاب مَآلُه بعد الممات.

أيُّها المسلمون:

امتنَّ اللَّهُ على عباده بدينٍ جَمع المحاسنَ كلَّها، وبه صلاحُ الخلْقِ وسعادتُهم، وتكرَّمَ عليهم بكتابٍ فيه النُّورُ والهُدَى والشِّفاء، واختار سبحانه أفضلَ الخلْقِ رسولاً بهذا الدِّين إلى خير الأُمَم، لم يَدَعْ بابَ خيرٍ إلَّا دلَّنا عليه، ولا بابَ شرٍ إلَّا حَذَّرنا منه مع كمال نُصحه ورَحْمته.

في دينِ الإسلامِ أَقومُ الآدابِ وأزكاها، وهو شاملٌ لأُمُور الدُّنيا

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامسَ والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والدِّين، فَيَكمُلُ المُسْلِم في دينه وسلوكه وعبادته وخُلُقه، ويَجتمعُ له حُسْنُ صِلتِه بربِّه وخَلْقِه.

ومِنْ شعائرِ هذا الدِّينِ وآدابِه: تَحيَّةُ السَّلام؛ بذكرِ اسمِه تعالى **السَّلام**، وطلبِ السَّلامة منه مع العهد بالأمان أنْ لا يَنالَ المُسَلَّمَ عليه شرٌّ أو أذًى من المُسَلِّم؛ قال ﷺ: «**إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الأَرْضِ؛ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ**» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ولِعُلوِّ منزلة السَّلام؛ حَيَّا اللَّهُ به من عَلَا مقامُه في الدِّين؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عز وجل وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**» (متفق عليه).

ومِنْ خيرِ نعيمِ الجَنَّةِ سلامُ اللَّهِ على أهلها؛ قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، قال البغويُّ رحمه الله: «أي: يُسَلِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَوْلاً»، ويَتجدَّدُ لهم ذلك كلَّما يَلْقَوْنَه تعالى؛ قال عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾.

والملائكةُ تُحيِّي في الدُّنيا بتَحِيَّة الإسلام مَنْ شاء اللَّهُ مِنْ خَلْقِه، فألقى جبريلُ السَّلامَ على مَنْ قامتْ بحقِّ رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، قال النَّبيُّ ﷺ لعائشةَ رضي الله عنها: «**يَا عَائِشَةُ! هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» (متفق عليه).

وإذا فُتِحتْ أبوابُ الجَنَّةِ للمؤمنين فأوَّلُ كلامٍ يسمعونه: إلقاءُ الملائكةِ تَحِيَّةَ السَّلام لهم؛ قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، وإذا دَخلوا الجَنَّة وَفَدَ عليهم الملائكةُ من كلِّ أبوابِ الجَنَّةِ مُسَلِّمين مُهَنِّئِين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

ولِشَرفِ السَّلام وعظيم قَدْرِه؛ ارتضاهُ اللَّهُ لآدمَ وذريتِه؛ لمَّا خلق اللَّه آدمَ قال له: «اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ - النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ جُلُوسٌ - فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ» (متفق عليه)، وهو تَحِيَّةُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لَقِيَ موسى الخَضِرَ «فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ - أَيْ: لَا يُوجَدُ فِي أَرْضِي مَنْ يُلْقِي السَّلَامَ - قَالَ: أَنَا مُوسَى» (متفق عليه).

وهو شِعارُ المسلمين خاصَّة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ؛ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ» (رواه ابن ماجه)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي إِفْشَاءِ السَّلَامِ: إِظْهَارُ شِعَارِ المُسْلِمِينَ المُمَيِّزِ لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ المِلَلِ»، ولا يَتَأَهَّلُ لهذا الأدبِ غيرُهم؛ قال ﷺ: «لَا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ» (رواه مسلم)، و«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ؛ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ» (متفق عليه)، وفي الجَنَّة لا يُفارِقُهم، وبه يأنَسون، وبسماعه يتلذَّذون؛ قال تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۞

إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾، وبه يُحيِّي أهلُ الجنَّة بعضُهم بعضاً؛ قال ﷻ: ﴿خَلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَمٌ﴾.

في السَّلام حلولُ الخيرِ والبركة؛ قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً﴾، ومِنْ بركاتِها أنَّ أهلَها قريبُون من اللَّه؛ قال ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ: مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ» (رواه أبو داود).

مكانةُ السَّلامِ في الإسلام عظيمةٌ، فأوَّلُ ما تكلَّمَ به النَّبيُّ ﷺ حين قدم المدينة: الأمرُ بإفشاءِ السلام؛ قال عبد اللَّه بن سَلام رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (رواه الترمذي)، وبه أمَر النَّبيُّ ﷺ أصحابَه وأُمَّته؛ قال البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ - وَذَكَرَ مِنْهَا -: وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ» (متفق عليه)، قال النَّوويُّ رحمه الله: «إِفْشَاءُ السَّلَامِ: إِشَاعَتُهُ وَإِكْثَارُهُ، وَأَنْ يَبْذُلَهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

السَّلامُ مِنْ خيرِ خِصالِ الإسلام ومِن أفضلِ شُعَبه؛ «سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» (متفق عليه)، قال الخطَّابيُّ رحمه الله: «جَعَلَ خَيْرَ الأَقْوَالِ فِي البِرِّ وَالإِكْرَامِ؛ إِفْشَاءَ السَّلَامِ الَّذِي يَعُمُّ، وَلَا يُخَصُّ حَتَّى يَكُونَ خَالِصاً لِلَّهِ تَعَالَى بَرِيئاً مِنْهُ حَظُّ النَّفْسِ وَالتَّصَنُّعِ؛ لِأَنَّهُ شِعَارُ الإِسْلَامِ فَحَقُّ كُلِّ مُسْلِمٍ فِيهِ شَائِعٌ».

السَّلامُ يزيدُ إيمانَ صاحبِه؛ قال عمَّارُ بنُ ياسرٍ ﵁: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ».

ومن الواجبات: السَّلامُ على نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ؛ محبَّةً له وإكراماً؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ في تشهُّدِ الصَّلاةِ ركنٌ من أركانها.

وابتداءُ السَّلامِ وردُّه مِن حقِّ المسْلِم على المسْلِم؛ قال ﵊: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ - وَذَكَرَ مِنْهَا -: إِذَا لَقِيتَهُ؛ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» (رواه مسلم)، وفي لفظ: «رَدُّ السَّلَامِ» (متفق عليه).

وكما أنَّ السَّلام يَنتفعُ به الأحياء شُرِع الدُّعاء به للأموات؛ كان النَّبيُّ ﷺ إذا أتى المقبرة قال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ» (رواه مسلم).

بالسَّلام غَرسُ المَحبَّةِ وتَمكُّنُ أُلْفَةِ المسلمين بعضِهم لبعضٍ؛ قال ﵊: «لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (رواه مسلم)، قال عمرُ بن الخطَّاب ﵁: «ثَلَاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وُدَّ أَخِيكَ: تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ، وَتُوَسِّعُ لَهُ فِي المَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ»، وهو سِمَة الكرم؛ قال أبو هريرة ﵁: «إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ: مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ».

وهو دليلُ الخَيريَّة وخير دواءٍ للمتهاجرَين؛ قال ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ؛ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» (متفق عليه)، وبه حلولُ السَّلامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَفْشُوا السَّلَامَ؛ تَسْلَمُوا» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ومَن أدَّى السَّلام؛ كُتِب له عشرُ حسناتٍ إلى ثلاثين حسنة، وكان ابن عمرَ رضي الله عنهما يَخرجُ إلى السُّوق ويقول: «مَا لِي حَاجَةٌ إِلَّا أَنْ أُسَلِّمَ وَيُسَلَّمَ عَلَيَّ».

ومعَ تحقيقِ التَّوحيدِ وصحَّةِ الإيمان؛ وَجَب السَّلامُ لأهلِه الجنَّة؛ «قَالَ رجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ لِيَ الجَنَّةَ، قَالَ: طِيبُ الكَلَامِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ» (رواه ابن حِبَّان)؛ بل ولهم درجاتٌ عاليةٌ في الجنَّة؛ قال ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: فَلِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ قَالَ طَيِّبَ الكَلَامِ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (رواه أبو يعلى).

ولأهمِّية السَّلام وفضْلِه وكثرةِ فوائدِه؛ شُرِع لكلِّ مسلمٍ على كلِّ حالٍ، فمَن دَخل بيتاً سلَّم على أهله؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾، ولا يَدخلْ أحدٌ بيتَ غيرِه إلَّا بعدَ السَّلام والاستئذان؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ومَنْ طرَقَ بابَ غيرِه للاستئذان: يَبدأ أوَّلاً بالسَّلام، ثمَّ يليه الكلام؛ «اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِهِ: اخْرُجْ إِلَى هَذَا، فَعَلِّمْهُ الاِسْتِئْذَانَ؛ فَقُلْ لَهُ: قُلِ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَدَخَلَ» (رواه أبو داود)، ويُشرعُ أيضاً في المجالسِ عند دخولِها والخروجِ منها؛ قال ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ؛ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ؛ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ» (رواه أبو داود).

وإذا خَرجَ وعادَ كرَّر سلامَه ولو كان ذلك في المسجد؛ كما في حديث المُسِيءِ صلاتِه، وهو من حقِّ الطَّريق لِمَنْ جَلَس فيه؛ قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» (متفق عليه).

وكما للكبار في السَّلام حقٌّ فكذلك الصِّغارُ لهم فيه حقٌّ؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُ الأَنْصَارَ؛ فَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ» (رواه النسائي)، وسار على هذا النَّهجِ صحابةُ رسولِ اللَّه ﷺ؛ «مَرَّ أَنَسٌ رضي الله عنه عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ» (متفق عليه)، ولأَهَمِّيَّةِ السَّلامِ لم يَجْعَلِ اللَّهُ له وقتاً خاصّاً به؛ بل كُلَّما رأى

المُسلِمُ مُسْلماً سلَّم عليه؛ قال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ؛ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ومن سِمَاتِ السَّلام: إشاعتُه والإكثارُ منه وبذْلُه لكلِّ مُسلمٍ دون اختصاصِه بِمَنْ يُعرف.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالإسلامُ دينُ الخيرِ والسَّلام، يدعو لصفاءِ القلوبِ ونشْرِ الطُّمأنينَةِ والسَّكينَةِ في الأُمَّة، ويُرَغِّبُ في الأُلْفَةِ والمَحبَّةِ بينَ الخلْقِ، وكلُّما يُحَقِّقُ ذلك فإنَّ الإسلامَ يَأمرُ به أمرَ إيجابٍ أو استحبابٍ، ولا غنًى للفردِ والمجتمعِ عن سؤالِ اللَّهِ درْءَ الآفاتِ والشرورِ، ونزولَ الرحمة والبرَكة، وكلُّ ذلك يتحقَّقُ في ألفاظ السَّلام.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الابتداءُ بالسَّلام سنَّةٌ مرَغَّبٌ فيها، وردُّه واجب، والزِّيادةُ في الرَّدِّ مَندُوبةٌ، والمُمَاثَلَةُ واجبةٌ، ومن أدب السَّلام: أن يُسَلِّمَ الصَّغيرُ على الكبير، والرَّاكبُ على المَاشِي، والمَاشِي على القاعد، والقليلُ على الكثير، فإنْ ترَكَ الأوَّلُ السُّنَّةَ استُحِبَّ للآخَرِ فِعْلُها لا أنْ يبادرَه بها، ويُشْرَعُ تَكْرَارُ السَّلام عند الحاجة - كجمعٍ كثيرٍ أو ظنِّه عدم السَّماع -؛ عن أنسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثاً» (رواه البخاري).

ويُستحبُّ رَفْعُ الصَّوت بالسَّلام ابتداءً وردّاً وهذا مقتضى الإفشاء، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إِذَا سَلَّمْتَ فَأَسْمِعْ، وَإِذَا رَدَدْتَ فَأَسْمِعْ»، ويكونُ الإسماعُ دونَ أذيَّةٍ لأحدٍ - كنائم ونحوه -، فقد كان من هدْيه عليه الصلاة والسلام: «يَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لَا يُوقِظُ نَائِماً، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ» (رواه مسلم).

ويُستحبُّ ردُّ السَّلام على مَنْ أَرسل السَّلام وعلى من بَلَّغه؛ «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ، قَالَ: **إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلَامَ،** فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» (رواه النسائي).

ولا يَمنعُ من السَّلام وردِّه إلَّا خُطبةُ الجُمُعَة؛ لوجوب الإنصات فيها، وكذا حينَ قضاء الحاجة؛ فإنَّه ليس موضِعَ تحيّةٍ وذكرٍ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نَبِيِّه ...

فِهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ الْجُزْءِ الثَّالِثِ

الباب التَّاسِع: الحجُّ، وفيه ثلاثة فصول: ٥

الفصل الأوَّل: عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ ٦

فَضْلُ عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ ٧

الفصل الثَّاني: الاسْتِعْدَادُ لِلْحَجِّ ١٥

عِبَادَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِمَكَّةَ ١٦

فَضْلُ الحَجِّ ٢١

الرِّحْلَةُ إِلَى الحَجِّ ٢٩

مَقَاصِدُ الحَجِّ ٣٧

عِبَرٌ مِنَ الحَجِّ ٤٤

الفصل الثَّالث: أَعْمَالُ الحَجِّ ٥٢

أَطْوَلُ عِبَادَةٍ بَدَنِيَّةٍ: الحَجُّ ٥٣

أَيَّامُ الحَجِّ ٥٩

عَرَفَاتُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ٦٦

مَاذَا بَعْدَ الحَجِّ؟ ٧٥

الباب العَاشِر: الأمرُ بالمَعرُوف والنَّهيُ عن المُنْكَر، وفيه فصلان: ... ٨٣
الفصل الأوَّل: أَهَمِّيَّتُهُ ... ٨٤
الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ؛ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ ٨٥
ثَمَرَاتُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ... ٩٢
الفصل الثَّاني: النَّصِيحَةُ ... ١٠٠
الدِّينُ النَّصِيحَةُ ... ١٠١
آدَابُ النَّصِيحَةِ لِلْوُلاةِ ... ١٠٧
الباب الحَادِي عَشَرَ: العِلْمُ والعِبَادَةُ، وفيه فصلان: ... ١١٣
الفصل الأوَّل: العِلْمُ ... ١١٤
أُسُسُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ... ١١٥
العِلْمُ وَالتَّعَلُّمُ ... ١٢٣
العِلْمُ وَثَمَرَتُهُ ... ١٣٣
نَصَائِحُ لِلطُّلابِ وَالمُعَلِّمِينَ ... ١٤٢
الفصل الثَّاني: العِبَادَةُ ... ١٥٠
أَعَالِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ... ١٥١
أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ وَأُجُورُهَا كَبِيرَةٌ ... ١٦٠
الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ... ١٧١

جَزَاءً وِفَاقاً ١٨١
أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ تُغْفَرُ بِهَا الذُّنُوبُ ١٩٢
اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ ٢٠٢
مَوَاطِنُ البَرَكَةِ ٢٠٨
ذِكْرُ اللَّهِ ٢١٨
فَضَائِلُ الذِّكْرِ ٢٢٧
التَّسْبِيحُ ٢٣٣
التَّحْمِيدُ ٢٤٢
طَهَارَةُ القَلْبِ وَالبَدَنِ ٢٥٢
خَيْرُ يَوْمٍ فِي العُمُرِ: اليَوْمُ الَّذِي تَتُوبُ فِيهِ ٢٦١
أَسْبَابُ قَبُولِ الأَعْمَالِ وَحُبُوطِهَا ٢٦٩
البابُ الثَّانِي عَشَرَ: الذُّنوبُ والفِتَنُ، وفيه فصلان: ٢٧٩
الفصل الأوَّل: الذُّنوبُ ٢٨٠
عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ ٢٨١
خَطَرُ الذُّنُوبِ ٢٩٢
الفصل الثَّاني: الفِتَنُ ٣٠٠
الفِتَنُ ٣٠١

فِتْنَةُ المَالِ ٣١١
النَّجَاةُ مِنَ الفِتَنِ ٣٢٠
الثَّبَاتُ وَأَسْبَابُهُ ٣٢٧
البَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ: المُجْتَمَعُ، وفيه ثلاثة فصول: ٣٣٧
الفَصْلُ الأَوَّلُ: اسْتِقْرَارُ المُجْتَمَعِ ٣٣٨
نِعْمَةُ الأَمْنِ ٣٣٩
الاجْتِمَاعُ وَالائْتِلَافُ ٣٤٧
ضَرَرُ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ ٣٥٥
حُكْمُ المُظَاهَرَاتِ ٣٦٦
الفَصْلُ الثَّانِي: الأَقَارِبُ ٣٧٧
بِرُّ الوَالِدَيْنِ ٢٧٨
صِلَةُ الأَرْحَامِ ٣٨٥
صِلْ رَحِمَكَ ٣٩٦
الزَّوَاجُ السَّعِيدُ ٤٠٥
زَوَاجٌ مُبَارَكٌ ٤١٢
أَسْرَارٌ زَوْجِيَّةٌ ٤٢١
تَرْبِيَةُ الأَبْنَاءِ ٤٣٠

أَسْبَابُ انْحِرَافِ الأَبْنَاءِ ٤٤٢
الآبَاءُ والأَبْنَاءُ ٤٥١
بَيْتٌ مِثَالِيٌّ ٤٥٩
الفَصْلُ الثَّالِثُ: حُقُوقُ المُسْلِمِينَ ٤٦٧
الإِحْسَانُ لِلْيَتِيمِ ٤٦٨
قَضَاءُ حَاجَةِ المُسْلِمِ ٤٧٦
إِغَاثَةُ المَظْلُومِ ٤٨٣
فَضْلُ السَّلَامِ وَآدَابُهُ ٤٨٩
فِهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ الجُزْءِ الثَّالِثِ ٤٩٩

دار الدليقان للتوزيع
لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤

دار الدليقان للتوزيع
لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٧٧٠-٩